

المركز الديمقراطي العربي - ألمانيا



"الفيسبوك من فضاء للتواصل إلى مجال للتغيير الاجتماعي"
ازدواجية التأثير



رجاء عمار

2023

المركز الديمقراطي العربي

"الفيسبوك من فضاء للتواصل إلى مجال للتغيير الاجتماعي".
ازدواجية التأثير



المركز الديمقراطي العربي

"Le Facebook d'un espace de communication à un champ
de changement social:
Dualité d'influence"



VR . 3383 - 6839 B

DEMOCRATIC ARABIC CENTER

Germany: Berlin 10315 Gensinger · Str. 112

<http://www.democraticarabic.de>

TEL: 0049-CODE

030-89005468/030-898999419/030-57348845

MOBILTELEFON: 0049174274278717



2023

الناشر:

المركز الديمقراطي العربي

للدراستات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية

ألمانيا/برلين

Democratic Arab Center

For Strategic, Political & Economic Studies

Berlin / Germany

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه

في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق خطي من الناشر.

جميع حقوق الطبع محفوظة

All rights reserved

No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, without the prior written permission of the publisher.

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية- ألمانيا/برلين

البريد الإلكتروني book@democraticac.d



كتاب :

الفايسبوك

من فضاء للتواصل إلى مجال للتغيير الاجتماعي: ازدواجية التأثير

تأليف : الباحثة رجاء عمّار

رئيس المركز الديمقراطي العربي: أ. عمار شرعان

مدير النشر: د. أحمد بوهكو

تنسيق وإشراف : د ربيعة تمار المركز العربي الديمقراطي برلين ألمانيا

رقم تسجيل الكتاب: 40 B 68 - 3383 VR

الطبعة الأولى 2023م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"وَقُلْ رَبِّيَ زُنِّي عِلْمًا"

طه. الآية 114



المحتويات

1- مدخل إلى البحث

14.....	0.1- تمهيد
15.....	1.1- الموضوع :
15.....	1.1.1- مبررات الاختيار
15.....	1.1.1.1- مبررات موضوعية
16.....	1.1.1.2- مبررات نفسية
16.....	1.1.2- حدود الموضوع
16.....	1.1.2.1- حدود المكان
17.....	1.1.2.2- حدود الزمان
17.....	1.1.2.3- الإطار النظري
18.....	1.1.2.3.1- تحديد وتعريف البراديجم المعتمد
19.....	1.1.2.3.2- أسباب وأهداف الاختيار النظري
19.....	أ- أسباب الاختيار النظري
20.....	ب- أهداف الاختيار النظري
21.....	1.2- أهداف البحث
21.....	1.2.1- أهداف علمية معرفية



22.....	1. 2. 2- أهداف أخرى
22.....	1. 3- موقع البحث من البحوث السابقة
26.....	1. 4- الإشكالية
26.....	1. 4. 0- تمهيد
27.....	1. 4. 1- العنصر التساؤلي
28.....	1. 4. 2- الفرضيات
28.....	1. 5- تحديد المصطلحات-المفاتيح
29.....	1. 5. 1- الشبكات الاجتماعية الافتراضية/ مواقع التواصل الاجتماعي
30.....	1. 5. 2- الاتصال/ العملية الاتصالية
32.....	1. 5. 3- التفاعلية
33.....	1. 5. 4- التفاعل الاجتماعي
34.....	1. 5. 5- التأثير
35.....	1. 5. 6- التغيير الاجتماعي
36.....	1. 6- الاعتبارات المنهجية
36.....	1. 6. 0- تعريفات ممهدة لمصطلحات منهجية
36.....	1. 6. 0. 1- المنهجية
37.....	1. 6. 0. 2- المقاربات المنهجية
37.....	1. 6. 0. 3- المقاربة الوثائقية



- 38..... المناهج 4.0.6.1
- 38..... تحاليل المضمون 5.0.6.1
- 39..... التقنيات المنهجية 6.0.6.1
- 40..... شبكة تحليل المعطيات 7.0.6.1
- 40..... العينة 8.0.6.1
- 41..... المنهجية المعتمدة في أبعادها النظرية 1.6.1
- 42..... المنهجية المعتمدة في أبعادها التطبيقية 2.6.1
- 42..... تحديد عينة البحث 1.2.6.1
- 43..... نموذج شبكة تحليل المعطيات 2.2.6.1
- 44..... الصعوبات 3.6.1

2- مساهمة استخدام الفايسبوك في إثراء العملية الاتصالية

- 45..... تمهيد 0.2
- 46..... ديمقراطية الاتصال 1.2
- 48..... 1.1.2 خصوصيات الأساليب التفاعلية في شبكة الفايسبوك
- 48..... 1.1.1.2 وفرة الأساليب وتنوع الخدمات
- 50..... 1.1.1.1.2 التعبير عن الإعجاب
- 51..... 1.1.1.2 التعليق
- 52..... 1.1.1.2 المشاركة



- 52..... 1. 1. 1. 4- المحاور الفورية.
- 53..... 2. 1. 1. 2- تعدد الوظائف
- 53..... 2. 1. 1. 1- التشجيع على حرية الاختيار واتخاذ القرار
- 53..... أ- تفعيل دور الفرد في مرحلة الانضمام
- 54..... ب- تفعيل دور المستخدم في اختيار المضامين وكيفية التواصل
- 57..... ج- تفعيل دور المستخدم للتحكم في المضمون الإشهاري
- 58..... د- منح الفايسبوك مكانة هامة للمستخدم في إدارة العملية الاتصالية
- 59..... 2. 1. 1. 2- تنوع استراتيجيات المحافظة على دينامية العملية الاتصالية
- 59..... أ- حث المستخدم على توسيع دائرة التفاعل العلائقية
- 59..... ب- تطوير الأساليب التفاعلية واقتراح أخرى جديدة
- 60..... ج- السعي إلى تخليد الممارسة الاتصالية للمستخدم
- 61..... 2. 1. 2- خصوصيات المضامين المنشورة على الفايسبوك
- 63..... 2. 1. 1- اختلاف الأساليب المعتمدة في طرح المواضيع
- 65..... 2. 2. 1. 2- تنوع المواضيع المطروحة
- 68..... 3. 2. 1. 2- تنوع الأدوار
- 68..... 3. 2. 1. 2. 1- دور توعوي/تحسيبي
- 71..... 3. 2. 1. 2. 2- دور تنقيفي
- 75..... 3. 2. 1. 2. 3- دور نقدي
- 78..... 3. 2. 1. 2. 4- دور إعلامي/إخباري



2.2- عولمة القضايا الاجتماعية: مساهمة استخدام الفايسبوك في إرساء اتصال

عابر للحدود والأوطان.....79

2.2.1- تبني موقف موحد تجاه قضية معينة.....80

2.2.2- تدويل الحدث ونقله من المجال الافتراضي إلى الفضاء العمومي.....85

2.2.3- التعبئة الاجتماعية الافتراضية.....86

2.3- دور المضامين الفاييسبوكية في عقلنة الاتصال.....88

2.3.1- أساليب عقلنة الاتصال.....89

2.3.1.1- التوضيح من خلال تقديم نموذج.....90

2.3.1.2- الإشارة إلى السلوك غير المقبول.....94

2.3.1.3- النقد.....96

2.3.1.4- المقارنة.....99

2.3.1.5- التشجيع.....101

2.4- استنتاج: خصائص النقلة الاتصالية على مستوى الأساليب والمضامين.....105

2.4.1- خاصية الوفرة.....106

2.4.2- خاصية النجاعة.....106

2.4.3- خاصية التحكم.....107

3- مساهمة الأساليب التفاعلية للفايسبوك في إحداث خلل اتصالي

3.0- تمهيد.....108



- 109..... 3. 1- تراكم أساليب التفاعل
- 109..... 3. 1. 1- انقسام آراء الباحثين حول تأثير تراكم أساليب التفاعل
- 111..... 3. 1. 2- مظاهر ونتائج تراكم أساليب التفاعل
- 112..... 3. 1. 1- سلعة الاتصال : تغليب العقل الوسائلي على العقل الإيجابي
- 112..... 3. 1. 1. 1- سلعة الاتصال
- 113..... أ- استيراد نفس الفكرة وترويجها
- 115..... ب- استخدام مبدأي العرض والطلب
- 119..... ج- تحويل مستخدم الفايسبوك إلى حريف يبحث عن المنتج المخصص له
- 121..... 3. 1. 2- تغليب العقل الوسائلي على العقل الإيجابي
- 122..... أ- تغييب عقلنة الممارسة الاتصالية
- 124..... ب- تضخيم الأنا وتغييب "النحن"
- 128..... 3. 1. 2- محاصرة المستخدم : إلزامية الاستخدام والإدمان
- 129..... 3. 1. 2. 1- محاصرة المستخدم والسيطرة عليه
- 132..... 3. 1. 2. 2- إلزامية الاستخدام والإدمان
- 134..... 3. 1. 3- استبعاد أساليب التفاعل لمستخدمي الفايسبوك: عدم التحكم في اتخاذ القرار
- 135..... 3. 1. 3. 1- استبعاد أساليب التفاعل لمستخدمي الفايسبوك
- 135..... 3. 1. 3. 2- عدم التحكم في اتخاذ القرار
- 138..... 3. 2- اختلال موازين التواصل
- 140..... 3. 2. 1- اختلال موازين التواصل على مستوى الممارسات الاجتماعية



- 143..... 3. 2. 2- اختلال موازين التواصل على مستوى العلاقات الاجتماعية.
- 144..... 3. 2. 2. 1- اختلال موازين التواصل والتفاعل مع الآخر.
- 146..... 3. 2. 2. 2- تبني المستخدم مواقف مهددة للرأسمال العلائقي.
- 148..... 3. 2. 3- دور الأساليب التفاعلية في اختلال موازين التواصل على مستوى العلاقات.
- 148..... أ- تقييم الإستراتيجية المعتمدة من زاوية الفايسبوك:
- 149..... ب- تقييم المستخدم للإستراتيجية المعتمدة من طرف الفايسبوك.
- 150..... 3. 2. 3- اختلال موازين التواصل على مستوى تقييم المكانة الاجتماعية.

4- مساهمة منشورات مستخدمي الفايسبوك في تفكير العملية الاتصالية

الأسباب والنتائج

- 156..... 4. 0- تمهيد.
- 157..... 4. 1- قولبة الاتصال: التواصل السلبي.
- 158..... 4. 1. 1- قولبة الاتصال.
- 159..... 4. 1. 1. 1- القولبة على مستوى الإخراج الفني للمضمون.
- 160..... 4. 1. 1. 2- القولبة على مستوى صياغة الرسالة الاتصالية.
- 160..... 4. 1. 1. 3- السعي إلى قولبة الخطاب اللفظي لمستخدمي الفايسبوك.
- 161..... 4. 1. 1. 4- السعي إلى قولبة الممارسة الاتصالية لمستخدمي الفايسبوك.
- 163..... 4. 1. 2- التواصل السلبي.
- 165..... 4. 2- الإفراغ من الجدوى: اتصال عشوائي.
- 165..... 4. 2. 1- الإفراغ من الجدوى.
- 165..... 4. 2. 1. 1- نقد لا طائل منه.
- 169..... 4. 2. 1. 2- عجز الرسالة الاتصالية عن تحقيق التفاعل الهادف.
- 175..... 4. 2. 2- اتصال عشوائي.



175	4. 2. 2. 1- استسهال إنشاء صفحات على الفاييسبوك
176	4. 2. 2. 2- إرساء ثقافة الصحافة
179	4. 2. 3- التشجيع على الاتصال العشوائي
181	4. 3- الابتزاز والاستغلال التفاعلي: التنفير من المساهمة في العملية الاتصالية
181	4. 3. 1- الابتزاز والاستغلال التفاعلي
181	4. 3. 1. 1- الابتزاز التفاعلي من خلال المتاجرة بالدين
185	4. 3. 1. 2- الابتزاز التفاعلي من خلال الاستدراج العاطفي
187	4. 3. 1. 3- استغلال المعاناة الإنسانية للتكسب التفاعلي
191	4. 3. 2- التنفير من المساهمة في العملية الاتصالية
193	4. 4- استنتاج

5- خاتمة عامة

193	1.5- تذكير بالسياق النظري والمنهجي
195	2.5- الاستنتاجات الأساسية
196	3.5- علاقة الاستنتاجات بالتيارات الفكرية المرتبطة بمسألة البحث
196	1.3.5- الاتصال الافتراضي والتيار النسقي السيبرنيتيقي
198	2.3.5- مسألة الهوية ومنطق السوق
202	3.3.5- الممارسات الاتصالية في الفاييسبوك من منظور نفسي (نظرية المنبه - الاستجابة)
204	4.3.5- التأثيرات المختلفة لاستخدامات الفاييسبوك والحرية
206	5.3.5- مسألة نشر المضامين في الفاييسبوك وعلاقتها بنظرية ترتيب الأولويات
207	4.5- تساؤلات جديدة



- 1.4.5- ازدواجية مواقف مستخدمي الفايسبوك من العملية 207
- 2.4.5- جدلية الاتصال الحر و وهم الحرية 209
- 3.4.5- ضرورة مساءلة الموروث النظري والحاجة إلى قطيعة ابستمولوجية 210
- 4.4.5- الحاجة إلى بلورة نظريات جديدة 210

6- تلخيص البحث

- 1.6- تلخيص باللغة العربية 212
- 2.6- تلخيص باللغة الفرنسية 213

7- هوامش البحث

- 1.7- البيبليوغرافيا 214
- 2.7- الفهارس 222
- 3.7- الملاحق 225



1- مدخل إلى البحث

1.0- تمهيد:

نشأت العوالم الافتراضية تلبية لحاجة الإنسان إلى توسيع رقعة الاتصال وإزاحة كل ما من شأنه عرقلة التفاعل. أصبح المجال الافتراضي بعد ذلك مرتبطاً بالحاجة إلى تحقيق غايات استوجبها السياق الاجتماعي الذي يدفع الفرد إلى العمل على تطويع الأساليب التقنية وفق مآربه والظروف المحيطة به، وخاصة حسب الإشكاليات التي تطرح نفسها بإلحاح، وتنتظر تقديم إجابات واقترح حلول. اكتسب مفهوم التفاعل أبعاداً جديدة عبر توفير الفضاء الافتراضي أشكالاً وطرقاً تعبيرية متعددة، يتم من خلالها تلقي الرسائل الاتصالية والتواصل مع الآخر، وتقديم واستعراض الآراء والمواقف ووجهات النظر المتباينة التي تؤثر وتتأثر بكل ما يحدث وما يستجد على كافة المستويات وفي جميع الميادين، "فمن خلال الشبكة العنكبوتية والهواتف النقالة، ولاحقاً مواقع التواصل الاجتماعي، ذهب الشباب العربي إلى بناء عالمه الافتراضي الحر، متجاوزاً أنظمة الستار الحديدي وسياسات الأبواب المغلقة"¹.

لئن أكد العديد من الدارسين دعم المجال الافتراضي لمبادئ الاتصال الأساسية لضمان سلامة العلاقات الاجتماعية، فإن هناك من يرى في هذا الانفتاح على العالم، الذي وفرته الشبكات الاجتماعية الافتراضية، تهديداً حقيقياً لبنية المجتمع، معتبراً "أن زوال الحدود، من كل نوع، يجر إلى تفتيت ما كان يسمى مجتمعاً"².

إن الاستقلالية التامة التي تستند على الفردانية قد تتعارض مع القيم المجتمعية التي يجب على الأفراد الالتزام بها واحترامها خدمة لمصلحة المجتمع، فقد ينجر عن الحرية التي وفرتها مواقع التواصل الاجتماعي التشتت والتشردم، إذا ما تشبث كل فرد برأيه معتبراً إياه الأصوب ما دام يخدم مصلحته الشخصية، متغافلاً عن حاجة البنية الاجتماعية إلى القيام على جملة من الاتفاقات.

في هذا الإطار، نبه بعض الباحثين إلى ضرورة التمييز بين ما حققه الاتصال على مستواه التقني من تطور وبين ما يشهده التواصل والتفاعل على المستوى الاجتماعي خاصة والإنساني عامة، فالتطور التقني للاتصال من حيث وسائله وأساليبه وشبكاته لا يرادف بالضرورة تجاوز المجتمعات

¹ توفيق شومان، "الربيع العربي: جدل التقليد والتغيير"، ثورات قلق، مقاربات سوسيو-استراتيجية للحراك العربي، (بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2012)، ص.195.

² محمود عودة، أسس علم الاجتماع، (بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1995)، ص.349.



ما تعانيه من خلل على مستوى العلاقات أو الممارسات أو التمثلات، سواء ارتبط الأمر بالمفاهيم والتصورات الشخصية أو المشتركة التي قد تكون رهينة لقيم رجعية، أو تتبنى مبادئ من شأنها عرقلة التحول نحو الأفضل، باعتبار ما يشوب الأدوار الاجتماعية من نقص في سياق التفاعل.

أفسح المجال الافتراضي المجال للاطلاع والتواصل عبر تمثين الأواصر الإنسانية ومحاولة تغيير عقلية الإقصاء بالرفع من درجة الوعي بالزامية احترام الاختلاف، رغم ذلك تشهد الأوضاع في المجتمعات المختلفة تدهورا من خلال تفهقر السلم المجتمعي الذي يعتبر رمزا لقبول الآخر ونتيجة لعملية اتصالية سليمة، مقابل زيادة في مظاهر العنف بمختلف أنواعه وعلى كافة الأصعدة.

بالتالي، يمكن القول، خاصة في هذه الظرفية، أن حقل الاتصال يشهد تطورات متلاحقة وحركة تغير مستمرة، وهو ما يولد قضايا تحتاج إلى الفحص والتدقيق والفهم، وي طرح احتمالات كثيرة تفرضها العملية الاتصالية بإشكالياتها الجديدة وأسئلتها المحرجة لليقين العلمي.

1.1- الموضوع:

يسعى البحث إلى التعمق في ازدواجية تأثير الأساليب التفاعلية التي يقترحها الفايسبوك وما ينشره مستخدموه من مضامين، لنستشف خصائص هذا التأثير ومظاهره ومستوياته، وما أحدثه في العملية الاتصالية والواقع الاجتماعي في الفترة التي تلت الثورات العربية المتزامنة مع تسجيل جملة من العمليات الإرهابية، للإجابة عن أسئلة محورية مرتبطة بالدور الذي اضطلعت به استخدامات الشبكة الاجتماعية الافتراضية، من خلال الاعتماد على ما توصلت إليه البحوث في كل من علم الاتصال وعلم الاجتماع من نظريات وتكاملهما إلى درجة تقديم حقل علمي قائم الذات، وهو علم اجتماع الاتصال.

1.1.1- مبررات الاختيار:

1.1.1.1- مبررات موضوعية:

تتبلور الحاجة إلى فسح المجال لبحوث علمية تتمحور حول خصوصيات الميديا الاجتماعية لفهم طبيعة المكانة التي احتلتها في ممارسات الأفراد وتأثيرها في العملية الاتصالية والتحويلات التي أحدثتها في الواقع الاجتماعي، في مرحلة فرضت فيها مواقع التواصل الافتراضي وجودها أكثر فأكثر، والإقناع بخصائصها والإمكانيات الكبيرة التي تتيحها.



تم اتخاذ الفايسبوك كمثال باعتباره أفسح المجال لمستخدميه للنشر بحرية، والتعبير بطرق فريدة عن آرائهم، ونقد الرموز القديمة المتداولة، محاولين التوفيق بين الوظيفة الاتصالية والدور الاجتماعي، معولين على ما توفره لهم هذه الشبكة من أشكال تفاعلية متعددة والتي فرضت نظاما رمزيا خاصا، مولدة بذلك تأثيرات في العملية الاتصالية، عبر الاستخدامات المختلفة.

1.1.1.2- مبررات نفسية:

تم اختيار موضوع الأطروحة كحلقة ثالثة، سبقتها رسالة الماجستير التي حملت عنوان: "الفضاء الافتراضي وبرز ملامح اتصال جديدة خلال الثورة التونسية وبعدها"، وفي نفس الإطار، تنزل الموضوع الذي طرح في شهادة الأستاذية المتمثل في "تأثير الشبكات الافتراضية في العلاقات الاجتماعية (الفايسبوك مثلا)".

يتموقع هذا الموضوع في نسق بحثي مترابط وشامل إلى حدّ ما لمختلف الزوايا التي تتعلق بشبكة الفايسبوك التي ما تنفك استخداماتها تطرح تساؤلات جديدة، وذلك في ظرفيات زمنية مختلفة ووقائع اجتماعية مغايرة.

يمكن تبرير اختيار الموضوع بالرغبة في تقديم إضافة نوعية، باعتبار أن الشبكات الاجتماعية الافتراضية احتلت وما تزال مكانة مميزة في بحوث الإعلام والاتصال وفي مجالات بحثية أخرى، وهو ما ولد وفرة كمية مع تشابه نتائجها أحيانا، ما يدفع إلى الحرص على بذل جهد أكبر في التحليل والاستنتاج لتقديم رؤية مختلفة تبتعد عن الثنائيات (وجهة نظر متفائلة تقابلها أخرى متشائمة، عرض الإيجابيات والسلبيات) وتجاوز الحتميات (حتمية تقنية، حتمية اجتماعية).

1.1.2- حدود الموضوع:

1.2.1.1- حدود المكان:

إن اختيار الفايسبوك كمثال على الشبكات الاجتماعية الافتراضية يجعل الحدود المكانية، بما في ذلك الجغرافية والبشرية والثقافية غير قابلة للتحديد بيسر، نظرا للعولمة التي تشمل جميع المجالات، بالتالي، سيتم الانطلاق من حيز مكاني ضيق إلى مجال جغرافي لا يعترف افتراضيا بالحدود.



في هذا الإطار، وحتى يكون البحث صورة مصغرة عن عملية اتصالية عالمية في مجتمع تجاوز نسبيًا الفروق ليتحد ضمن شبكة اجتماعية افتراضية، معتمداً أساليبها التفاعلية، سنختار صفحات من أمثلة مختلفة من حيث المكان ومتشابهة من حيث المضمون.

1.1.2.2- حدود الزمان:

يرتبط الموضوع بظرفية زمنية حساسة نظراً لأهمية الوقائع والمستجدات على الساحة الوطنية والعالمية، وهي الفترة التي تلت قيام الثورات العربية، التي وإن حالف التوفيق النسبي بعضها من خلال تحقيق جزئي لبعض الأهداف، فالمجتمعات العربية وحتى الغربية وجدت نفسها في مواجهة ظاهرة العنف الاجتماعي الذي ولده التطرف الديني والإرهاب، وهو ما تسبب في تسجيل حالات الاغتيال ثم عمليات التفجير التي شملت أماكن تتميز برمزياتها.

من ناحية أخرى، نحتاج إلى الوقوف عند حقيقة التغييرات الطارئة، في الظرفية الزمنية الراهنة، على التمثلات والممارسات التي تشهد عمليات هدم وبناء متواصلة، ورصد الخلل الوظيفي الذي ينجم عنه التتميط والقولبة، وهو ما يشكل خطراً على ضرورة الاختلاف، ويتسبب في تشرذم الفاعل الاجتماعي بين الواقعي والافتراضي.

1.1.2.3- الإطار النظري:

يعتبر من الضروري تحديد الإطار النظري للدراسة، فهو بمثابة العُدّة التي يجب التسلح بها، قبل الانطلاق في عملية تحليل العناصر التي يتضمنها البحث، بما أن "النموذج قالب يحدد وجهة نظر الباحث"³.

يساعد النموذج على إرساء قواعد المنطق التحليلي وبلورة الجهاز المفاهيمي، ويتم الاعتماد عليه لتوضيح مجموعة من الفرضيات الممكنة، وإدراك العلاقات بين العناصر الأساسية في الظاهرة محل الدراسة، وتحديد التوجه النظري للأطروحة.

³ Serge Paugam, *les 100 mots de la sociologie*, (Paris, PUF, Que sais-je ?, 2010), p.21.



بالتالي، هو أرضية معرفية يحتاجها الباحث لضمان تموقعه أولاً في الحقل العلمي الذي ينتسب إليه، ولفهم الظواهر التي تحتاج إلى دراسة وتفكيك إشكالياتها ثانياً، مع إمكانية تقديم إضافة لإثراء النموذج، وجعله أكثر نجاعة وإماما بالمستجدات وقدرة على الإحاطة بها ثالثاً.

1.1. 2. 3. 1- تحديد وتعريف البراديغم المعتمد:

تتمثل النماذج المرتبطة بالواقع الاجتماعي في البنائية الوظيفية والتفاعلية الرمزية والتبادل الاجتماعي والصراع الاجتماعي والمثالية النقدية والبنوية الماركسية، وانطلاقاً من الحاجة إلى إطار نظري يتمتع بصفة النجاعة التي تخدم عملية التحليل من زوايا مختلفة، فإن موضوع الدراسة يحتاج بالأساس إلى براديغم التفاعلي الرمزي.

انطلق هربرت بلومر (Herbert Blumer) باستخدام مصطلح "التفاعلية الرمزية" في بحوثه سنة 1937، وأصبح إيراده متداولاً من طرف العديد من الباحثين الذين ساهموا في تطويره ومنحه أبعاداً جديدة، وهو ما أكسبه عمقا ومتانة، حيث تم إلقاء الضوء على الوظيفية الجديدة مع تشارلز هورتن كولي (Charles Horton Cooley)، ليحلل جورج هربرت ميد (George Herbert Mead) نظرية التبادل، وهو ما أضفى تنوعاً على الجهاز المفاهيمي للمنظور التفاعلي.

تحدث تشارلز هورتن كولي عن الانطباعات وقاعدة التنبؤ بسلوك الآخر ومساهماتها في البناء الاجتماعي. بالتالي، لا يتوقف الأمر عند الحاجة إلى دراسة الظواهر الاجتماعية في كليتها، إنما منح الفاعل الاجتماعي أهمية كبرى، للتأكيد على العلاقة التكاملية بين الفاعل والمجتمع على كافة المستويات، فالمجتمع بضوابطه وما يفرضه من ممارسات يؤثر في الفاعل الاجتماعي بأشكال عدة، وكل فرد يحمل جملة من التصورات والقناعات، ويتبنى أنماطاً سلوكية من منطلق الحاجة إلى الاعتراف بفرديته والتعبير عن ذاتيته في المجتمع بطريقة أو بأخرى.

ركز جورج هربرت ميد على ضرورة توقع تصرفات الآخرين لإنجاح عملية الاتصال من خلال معرفة السلوك المقبول اجتماعياً والنجاح في لعب أدوار الآخرين، وهو ما عبر عنه بمصطلح التكيف الاجتماعي، ويتم الاعتماد على منظومة رمزية واللجوء إلى شبكة من المعاني.

يمكن أن نستشف من خلال التعريفات السابقة محورية التفاعل والرموز أولاً، والانطباعات والأدوار ثانياً، والذات والمجتمع ثالثاً، كمصطلحات مفاتيح لبراديغم التفاعلية الرمزية الذي ما فتئ الباحثون يسعون إلى توسيع دائرة استخداماته المعرفية، وهو ما جعل العديد من النظريات تنبثق من براديغم



التفاعلية الرمزية، والهدف في كل مرة مزيدا من التعمق في الذات الاجتماعية وتحليل تمثاتها وممارساتها.

في هذا السياق، اقترح أرفنج جوفمان (Erving Goffman) مقارنة المدخل المسرحي، حيث "يشبه الحياة اليومية بالمسرح وخشبتة، ومثلما يقوم الممثلون بإبراز صور معينة، نسعى جميعا إلى تقديم ملامح معينة لشخصياتنا ونخفي صفات أخرى"⁴.

من النظريات المنبثقة أيضا عن براديجم التفاعلية الرمزية، يمكن أن نذكر نظرية بناء المعنى التي تولدت عنها نظرية الغرس واقترحها جورج جربنر (George Gerbner)، وتتمحور بالأساس حول الأنماط التي يعتمدها الفاعلون الاجتماعيون لتطوير معارفهم وما يحيط بهم في واقعهم الاجتماعي المحلي والعالمية.

1.1. 2. 3. 2- أسباب وأهداف الاختيار النظري:

لا يتم اختيار إطار نظري لموضوع الأطروحة بصفة عشوائية، إنما على الباحث الاطلاع على جميع النماذج العلمية المرتبطة بصفة مباشرة أو غير مباشرة بالحقل الذي يتنزل فيه بحثه، ليستطيع في مرحلة لاحقة اتخاذ الاختيار الأنسب للبراديجم الذي يتفق إلى أكبر مدى ممكن مع التمشي المنهجي ويتلاءم مع الرؤى التحليلية ويخدم الغايات المرسومة للفهم والضبط.

أ- أسباب الاختيار النظري:

* ثراء الجهاز المفاهيمي:

يتسم براديجم التفاعلية الرمزية بثراء جهازه المفاهيمي، ف"هو يستند إلى مجموعة من المفاهيم الأساسية وهي الرموز والمعنى والتوقعات والسلوك والأدوار والتفاعل"⁵، وهي تقريبا المفاهيم التي ستوظف من خلال عناصر البحث المتمحورة حول العملية الاتصالية المرتكزة على منظومة رمزية تحتاج استقراء مظاهرها ومساءلة تصوراتها أسلوبيا ودلاليا، وكيفية إنتاجها واستقبالها، ورصد تأثيراتها التي قد تبلغ درجة الازدواجية على مستوى التمثلات والممارسات وتحليل الأدوار التي يضطلع بها الأفراد.

⁴ مصطفى خلف عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، (جامعة القاهرة، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2002)، ص. 241.

⁵ محمود عودة، أسس علم الاجتماع، مصدر سابق، ص. 96.



* شمولية الرؤية التحليلية:

يتمثل السبب الثاني لاختيار براديجم التفاعلية الرمزية دون غيره من النماذج، في تمتعه برؤية تحليلية أكثر شمولاً من بقية الأطر النظرية التي تقتصر على تفسير الظواهر من زاوية معينة وإهمال زوايا أخرى على ما تكتسبه من أهمية، ف"إذا كان منظرو الوظيفة والصراع يقومون بتحليل أنماط السلوك في المجتمع على نطاق واسع، فإن المنظور التفاعلي يستقرئ الصور اليومية للتفاعل الاجتماعي من أجل فهم المجتمع ككل"⁶.

إذن، هذه الرؤية التفصيلية التي يتمتع بها المنظور التفاعلي تأخذ بعين الاعتبار الأجزاء التي تكون الكل، وتمنحه دلالاته، وعدم الاكتفاء بدراسة الكل وتعميم النتائج على الأجزاء، وهو ما يمنح فرصة التعمق في الاختلافات التي تتسم بها الأبعاد البحثية.

ب- أهداف الاختيار النظري:

تتمثل أساساً في:

أولاً، رصد ملامح الاتصال الافتراضي عبر شبكة الفايسبوك للوقوف عند سمات منظومتها التفاعلية، إضافة إلى دراسة الفرد وتمثلاته والمجتمع وديناميته من منطلق تأثير الأساليب والمضامين الفاييسبوكية في العملية الاتصالية واستعراض أشكالها المختلفة وتحديد مستوياتها.

ثانياً، تفسير الوضعية القائمة بين الواقع الاجتماعي والمجال الافتراضي من خلال محاولة تحليل عملية البناء التفاعلي وأدوار الفاعلين الاجتماعيين، مع إعطاء قيمة كبيرة للهوية المشتركة، للتعرف على مدى صحة الإقرار بأن الهوية تُبنى بصفة مستمرة ودائمة بواسطة التفاعلات الرمزية باعتبار أن الرموز ضرورية وتشهد تحويرات وتعديلات وبعضها يتطور وبعضها الآخر يُلغى.

بالتالي، سيمكن هذا البراديجم من تحقيق غاية بحثية أساسية تتمثل في توضيح مدى قدرة الفضاء الافتراضي على إرساء منظومته التفاعلية الخاصة وتمرير أساليبها وقواعدها الاتصالية بطريقة سلسة إلى أكبر عدد ممكن من الأفراد، حتى يتاح لهم المجال لبناء واقعهم الرمزي، وذلك عبر عملية استقصاء ومراقبة مستمرة لمحتوى المنظومة التفاعلية التي سنّ الفايسبوك قواعدها، وهو ما كان له تأثيرات في العملية الاتصالية من جهة والواقع الاجتماعي من جهة أخرى.

⁶ مصطفى خلف عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، مصدر سابق، ص. 236.



1. 2- أهداف البحث:

تكمن أهمية كل أطروحة في الأهداف التي يسعى الباحث إلى تحقيقها، لذلك فهو ملزم بتحديدتها قبل الانطلاق، لأنها وثيقة الارتباط بالتمشي المنهجي الذي سيعتمده، كما أن الأهداف هي الحافز الذي سيدفع إلى مواصلة التحليل والفهم والاستنتاج لبلوغ الغاية الأساسية التي رسمها لبحثه ولنفسه كباحث مبتدئ في طريقه لاكتساب خبرة علمية.

بالتالي، ترتبط الأهداف بصفة مباشرة بموضوع البحث لتقترن بإشكاليته، وتتماشى مع متطلبات الفرضيات، لتقديم إضافة نوعية قادرة على التأثير إيجاباً في الواقع الاجتماعي.

1. 2. 1- أهداف علمية معرفية:

أولاً، اكتشاف معالم الظاهرة في حد ذاتها والإحاطة بمختلف جوانبها، خاصة وأنها أثارت جدلاً علمياً كبيراً، وتعددت وتباينت حولها الآراء ووجهات النظر، للتمكن من إبراز خصوصية الفايسبوك كفضاء للتواصل باستعراض وتحليل الأشكال التفاعلية التي وفرها للفاعل الاجتماعي، ولنستشف تأثير ذلك في العملية الاتصالية.

ثانياً، إيجاد إجابة أو إجابات ممكنة حول طبيعة الأدوار التي يلعبها الفرد في الفايسبوك ودوافعه وغاياته، حيث لا يجب تجاهل كون الأفراد يعيشون في كنف العصر الرقمي الذي أثر بطريقة أو بأخرى في الواقع الاجتماعي، لرصد مظاهر ومستويات التغيير، باعتبار أن "كل دراسة تجدد للباحث التحدي لدفع عجلة تقدم المعارف"⁷.

ثالثاً، التطرق إلى مدى صحة بعض المفاهيم والاستنتاجات والنظريات، باعتبار أنها بحاجة دائمة للمساءلة وإعادة النظر حتى تتلاءم مع الوضع الراهن، لتترجم الواقع بما يشهده من تغيرات مستمرة وظواهر جديدة مثيرة للجدل العلمي.

⁷ Benoît Gauthier, Recherche sociale. De la problématique à la collecte des données, (Québec, Canada, Presses de l'université, 2009), p.54.



1.2. 2- أهداف أخرى:

تتمثل في السعي أن يكون البحث مرجعا، لا ليستفيد منه الباحثون في علوم الإعلام والاتصال فحسب، إنما ليستغله علماء الاجتماع مثلا لتحديد قرارات تطبيقية واستراتيجيات عمل لتثمين الجوانب الإيجابية التي يقدمها الفايسبوك لمستخدميه من خلال تطبيقاته المختلفة أولا، ووضع خطة لمعالجة الاختلالات التي قد تعاني منها العملية الاتصالية، والتي يكون لها تأثير في العلاقات الاجتماعية وفي عملية التغيير الاجتماعي البناء ثانيا، بما "أن البحث العلمي لمجرد البحث لم يكن في يوم من الأيام المبتغى، بل تتمثل الغاية في تطوير العلم للارتقاء بالمجتمع والإسهام في حل مشكلاته"⁸.

1.3. 3- موقع البحث من البحوث السابقة:

وجب الاطلاع بشكل موسع على أبرز الدراسات والبحوث والمقالات العلمية التي ترتبط بصفة مباشرة أو غير مباشرة بموضوع الأطروحة، "فمن المهم تحديد موقع البحث بالنسبة للمعرفة المشتركة"⁹، للتمكن من اكتشاف المخزون المعرفي والنظري الذي سيتم الانطلاق منه لتجاوزه عبر تسليط الضوء على جوانب لم تدرس.

تم التأكيد على دور تكنولوجيات المعلومات والاتصال في إحداث نقلة كمية ونوعية على مستوى البحوث، حيث شهدت علوم الاتصال كثافة في الدراسات والمقالات العلمية خاصة في حقل علم اجتماع الاتصال، لتحليل ما ولدته هذه التكنولوجيات بشبكاتها ومواقعها على مستويات عدة. نجد الدراسات التي اقتصر أصحابها على استعراض الخصائص، وهناك من توسع ليدرس الإمكانيات التي أتاحتها هذه الشبكات الافتراضية للفاعل الاجتماعي وتأثيرها في علاقاته وممارساته، ولعل أهم مرجع، من هذه الزاوية البحثية، ثلاثية مانيوال كاستلز (Manual Castells)، حيث أكد في كتابه مجتمع الشبكات. عصر المعلومات أن "الشبكات تشكل الكيان الاجتماعي الجديد لمجتمعاتنا"¹⁰.

⁸ عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، (الكويت، المجلس الوطني لثقافة والفنون والآداب، 1981)، ص167.

⁹ Benoît Gauthier, Recherche sociale. De la problématique à la collecte des données, ibid, p.56.

¹⁰ Nicolas Curian et Pierre-Alain Muet, La société de l'information, (Paris, La documentation française, 2004), p.17.



تعددت وجهات النظر إلى حد التناقض فيما يتعلق بالدور الذي اضطلعت به الشبكات الافتراضية، خاصة على مستوى العلاقات الاجتماعية، فلئن تم تثمين ما توفره من إمكانيات، عن طريق أساليبها التفاعلية الافتراضية، من شأنها تقوية الروابط وتوسيع رقعة العلاقات الاجتماعية، والإقرار بأنها "أدت دورا رئيسيا في تمتين الوحدة المجتمعية، إذ أمكنها أن تصنع في المجتمع مساحة شبكية واسعة، للتواصل والتفاعل بين الأفراد والجماعات"¹¹، هناك من حمل الفاييسبوك، مسؤولية تفكيك العلاقات الاجتماعية، معتبرا أنها "تساهم في تشظي المجتمع التونسي إلى جماعات صغيرة منغلقة على نفسها ومتصارعة ومجتمعة حول أنساق سياسية وفكرية وإيديولوجية متنافرة"¹².

بالتالي، تولي الرؤية الأولى هذه الشبكات أهمية، مؤكدة اضطلاعها بأدوار حساسة في العملية الاتصالية تحويرا وتطويرا وتجديدا، وتستعرض الرؤية ثانياة التأثيرات السلبية لمواقع التواصل الاجتماعي، وتنسب لها التسبب في إحداث هوة بين الواقعي والافتراضي، مما ينعكس سلبا على العلاقات والممارسات الاجتماعية، ما يهدد المجتمع بالتفكك والانحيار.

تم تنزيل هاتين الرؤيتين في سياق حتميتين إحداهما تقنية والأخرى اجتماعية، وهو ما يجب تجاوزه كي لا تكون النظرة أحادية، وللاخذ بعين الاعتبار أهمية التزاوج بين التقني والاجتماعي، وإبلاء جميع العناصر ما تستحقه من تحليل وتفسير يبيئها ما تستحقه من مكانة.

اهتمت العديد من الدراسات بإشكالية المجال الافتراضي في علاقته بالمجال العمومي على مستوى جدلية التأثير والتغيير. في هذا السياق، نجد ثلاث وجهات نظر متباينة، ففي الوقت الذي تم فيه طرح سؤال غايته التأكيد وتمثل في: "هل يمكن اعتبار الفاييسبوك الفضاء العمومي العابر للأوطان الذي تحدثت عنه نانسي فرايزر (Nancy Fraser) التي طرحت مجموعة من الاقتراحات: "تشجيع المساواة عوض تجاهل اللامساواة الاجتماعية والسماح لمختلف الجماهير بالتعبير عن اختلافاتها ومطالبها عن طريق مختلف فضاءات النقاش؟"¹³.

¹¹ خليل(فواد)، " الثورة" محادثة مجتمعية كبرى، ثورات قلق، مقاربات سوسيو-استراتيجية للحراك العربي، مصدر سابق، ص.78.

¹² صادق الحمامي، "المجال العمومي والفايسبوك وحرية الصحافة"،

[http://www.essahafa.info.tn/index.php?id=76&tx_ttnews\[tt_news\]=15027&tx_ttnews\[backPid\]=37&cHash=3Quijano\(Yves bb0ed75b8](http://www.essahafa.info.tn/index.php?id=76&tx_ttnews[tt_news]=15027&tx_ttnews[backPid]=37&cHash=3Quijano(Yves bb0ed75b8)

¹³ نور الدين علوش، "تحولات الفضاء العمومي في الفلسفة السياسية المعاصرة: من هابرماس إلى نانسي فرايزر"، مجلة إضافات، العددان 26-27، (بيروت، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، ربيع-صيف 2014)، ص.90.



لتأتي الإجابة المرتبطة بسياق اجتماعي وسياسي معين، وهو الثورة التونسية وما تولد عنها من تمثلات وسلوكيات، وما شهدته العلاقات الاتصالية من تغيرات، معلنة نفي إمكانية اعتبار الفضاء الافتراضي، وشبكة الفاييسبوك تحديداً، فضاء عمومياً، حيث تم الإقرار أن "شبكة الفاييسبوك ليست إلى حد الآن الساحة العامة (agora) التي نطمح لتأسيسها، تلك الساحة التي يلتقي التونسيون في إطارها لتشريع القوانين التي يجب أن تنظم مدينتهم بواسطة النقاش"¹⁴.

تم رصد المظاهر التي حالت دون ارتقاء موقع التواصل الاجتماعي إلى مستوى الفضاء العمومي، ونلاحظ اعتماد المرجع الاصطلاحي الهابر ماسي في تعريف المجال العمومي وفي تقييم الافتراضي.

في حين تجاوزت وجهة النظر الثالثة عملية البحث عن أوجه التماثل والاختلاف، ليتم السعي إلى المزوجة بين المجالين والتعبير عنهما من خلال مصطلح "الواقع المتضخم"، و"هو بكل بساطة ارتباط الواقعي بالافتراضي، حيث نستطيع استعمال تقنيات التمثيل الافتراضي لتقوم بتركيب ومطابقة صور أو معلومات افتراضية على العالم الواقعي (...)"، بالتالي، لم يعد ممكناً إيجاد تقابل بين التمثيل الافتراضي والفعل الواقعي"¹⁵.

تعددت الدراسات التي تناولت بالبحث دور مواقع التواصل الاجتماعي في قيام الثورات العربية والمساهمة في عملية التغيير الاجتماعي، وتوزعت الاستنتاجات بين مؤيد للدور الكبير كمساهم أساسي بفسح المجال للتعبير عن الرأي والتشجيع على الرفض والاحتجاج، سعياً لكشف الحقائق عن طريق النشر على نطاق واسع، وبين رافض لمنح هذه الشبكات الافتراضية وعلى رأسها الفاييسبوك دوراً في إحداث التغيير.

في نفس السياق، نجد من اعتبر مواقع التواصل الاجتماعي مجرد أداة، ويرى البعض الآخر أنها كانت سبباً من بين أسباب أخرى أهمها رفض أفراد المجتمع لواقع سياسي واجتماعي واقتصادي معين والحاجة إلى التغيير التي غدت ملحة.

¹⁴ صادق الحمادي، "المجال العمومي والفايسبوك وجريدة الصحافة"، مصدر سابق.

¹⁵ Philippe Quéau, "Le virtuel :une utopie réalisée", Quaderni, N.28, (France, La maison des sciences de l'homme, Hiver 1996), p.119.



في هذا الإطار، يتموقع البحث للتساؤل عن المرحلة التي تلت الثورات العربية، والتي تميزت بحصول جملة من الأحداث، سواء كانت سياسية أو اجتماعية، لعل أبرزها اكتساح مصطلح الإرهاب، لرصد ممارسات الفاعلين الاجتماعيين الذين استغلوا شبكة الفاييسبوك لتمرير رسائلهم الاتصالية.

من هذا المنطلق، من الضروري الاستفهام: هل يمكن الحديث عن مساهمة استخدام الفاييسبوك عبر أساليبه التفاعلية في نشر ثقافة "عابرة للقوميات" ودمقرطة الاتصال أم على العكس هناك سعي للتتميط والقولبة؟ إلى أي حد يمكن القول أن ثورة الاتصال قد ولدت اتصال الثورة؟ هل يمكن اعتبار الفاييسبوك مجالاً للتغيير الاجتماعي أم أنه لا يستطيع أن يلعب هذا الدور، ويبقى مجرد موقع للتواصل فحسب؟

من جهة أخرى، تطرح إشكالية "رأس المال الرمزي" الذي ما انفك "يتضخم" في الفاييسبوك، فهل يعتبر ذلك إثراء للمخزون الرمزي للمستخدمين أم سعياً للتفقير؟ ما هي انعكاساته على العملية الاتصالية في المجال الافتراضي والواقع الاجتماعي؟

سيتم طرح سؤال تأثير الشبكات الاجتماعية الافتراضية في السلوك الاجتماعي للحصول على إجابة أو إجابات ممكنة دون الجزم بأن طبيعة التأثير إما أن تكون إيجابية خالصة بتوفيرها للتحرير والتدعيم أو سلبية قاطعة من خلال سعيها للتقييد والتقنين.

نشير إلى ما بلوره الباحثون من مصطلحات، حيث تحدث دومينيك كاردون (Dominique Cardon) عن قوة التعاضدات الضعيفة (la force des coopérations Faibles) واكتشاف ما هو مشترك وجماعي (la découverte du commun)¹⁶، وأكد بيار بورديو (Pierre Bourdieu) على التكامل بين الفينومينولوجيا الاجتماعية والفيزياء الاجتماعية، كما أشار إلى الهيمنة الاتصالية، محلاً رأس المال الاجتماعي ورأس المال الرمزي، نجد أيضاً فلسفة هابرماس (Habermas) بما تتضمنه من "فعل تواصل" و"عقلانية" و"أخلاقيات النقاش"، وغيرها من المصطلحات التي تحيل إلى مقاربات كلاسيكية، لعل أبرزها نظرية مدرسة فرنكفورت (Ecole de Francfort) التي تحدثت عن "سلعة المضامين" و"تغليب العقل الواسطي على العقل الإيجابي" و"الفاشية العادية" و"المجتمع أحادي البعد".

¹⁶ Dominique Cardon, "Vertus démocratiques de l'Internet", *La Vie des idées*, 10 novembre 2009. URL: <http://www.laviedesidees.fr/Vertus-democratiques-de-l-Internet.html>



وهو ما يدفع إلى التساؤل: هل ما اقترحه الباحثون لا يعدو أن يكون إلا تسميات جديدة للظواهر مع الإبقاء على نفس التمشي التحليلي أم هناك عملية تزواج بين العدة النظرية الكلاسيكية والقضايا المعاصرة، كشفت أن النظرية ما زالت صالحة للاستخدام والتطبيق وإن اختلفت السياقات والتسميات؟

يحتاج حقل الاتصال إلى دراسة مستمرة وإلى أبحاث جادة إن كان ذلك على مستوى المفاهيم المبتكرة التي يتم تداولها في الواقع الافتراضي أو الممارسات الجديدة التي نسجلها في إطار السياق الاجتماعي على المدى القريب والبعيد.

1 . 4 - الإشكالية:

1. 4. 0- تمهيد:

من المهم الإشارة إلى أنه كلما زادت الإشكاليات المرتبطة بحقل من الحقول العلمية، كلما زادت أهميته، باعتباره مجالاً خصبا يستدعي بذل جهود تحليلية وتجاوز البداهة المعرفية واستخلاص الاستنتاجات التي لا تتوقف عند حد معين، وإنما تترك الأفق مفتوحاً لمزيد التعديل والتطوير.

يمكن ملاحظة تفاوت درجة أهمية الإشكاليات المطروحة، وهنا يتجلى دور الباحث في اختيار أكثرها إثارة للجدل، ومنح إحداها الأولوية لما تتمتع به من أنية، وارتباطها بشكل مباشر بالفرد والمجتمع وتأثيراتها المتسمة بالعمق والاستمرارية.

تجدر الإجابة عن سؤالين قبل اختيار قضية أو ظاهرة أو وضعية وتناولها بالتحليل، يتعلق السؤال الأول بمدى الحاجة إلى الاكتشاف، لأنه من الضروري توفر دافع معرفي لإزاحة الغموض لجعل القضايا المرتبطة بالموضوع واضحة، وهنا ينزل الاستفهام الثاني الذي يتكامل مع الأول ويتمثل بالأساس في ملاحظة وجود نقص أو خلل ما وضرورة العمل لتجاوزه، حيث "يمكن أن نعتبر أن هناك إشكالا عندما نشعر بالحاجة إلى تجاوز المسافة الموجودة بين وضعية البداية الغير مرضية ووضعية الوصول المرجوة".¹⁷

تتضمن الإشكالية العنصر التساؤلي وعنصر الفرضيات الذي تُدرج فيه الإجابات الممكنة في صياغة أولية، باعتبار أنه سيتم التثبت، في مرحلة لاحقة، من مدى صحتها، فقد تكون كافية أو تحتاج

¹⁷ Benoît Gauthier, *Recherche sociale. De la problématique à la collecte des données*, ibid, p.54.



تعديلا أو الإبقاء عليها مع إضافة إجابات أخرى ولدتها عملية التحليل، ومن المحتمل أن ننفيتها ونحصل على أخرى.

1.4.1- العنصر التساؤلي:

في البداية، ومن منطلق أن "البحث هو تقصي أو فحص دقيق لاكتشاف معلومات أو علاقات جديدة ونمو المعرفة الحالية والتحقق منها"¹⁸، فإن طرح التساؤلات يعتبر أمرا هاما، وذلك مهما كان مجال البحث الذي سنخوض غماره، إضافة إلى التحديد الدقيق إلى ما نطمح لمعرفته، لنصل إلى إجابات أقرب إلى الدقة منها إلى الغموض، وإلى تفسيرات تلتزم الموضوعية وتتأى عن الأحكام الذاتية، وهو ما دفع إلى طرح الإشكالية التالية:

* إلى أي مدى ساهم الفايسبوك في إثراء العملية الاتصالية ومساندة التغيير الاجتماعي في المجالين الافتراضي والعمومي؟:

- إلى أي حد تدعمت ديمقراطية الاتصال من خلال الأساليب التفاعلية للفايسبوك والمضامين التي ينشرها مستخدموه؟ إلى أي حد تمكن مستخدمو هذه الشبكة الافتراضية من عولمة القضايا الاجتماعية عبر تبني رأي موحد تجاه قضية معينة وتدويل الأحداث والتعبئة الاجتماعية الافتراضية؟ إلى أي حد اضطلعت المضامين الفاييسبوكية بدور عقلنة الاتصال: ماهي الأساليب المعتمدة؟ ماهي أهم سمات هذه المضامين؟

* إلى أي مدى أحدثت استخدامات الفايسبوك خلاا اتصاليا؟:

- إلى أي حد انجرّ عن تراكم أساليب التفاعل سلعة الاتصال ومحاصرة المستخدم إلى درجة استعباده؟ إلى أي حد نجم عن هذا التراكم تغليب العقل الوسائلي على العقل الإيجابي والإدمان وعدم التحكم في اتخاذ القرار؟ إلى أي حد تسبّب استخدام الأساليب التفاعلية الافتراضية في اختلال موازين التواصل على مستوى الممارسات والعلاقات وتقييم المكانة الاجتماعية؟

* إلى أي مدى يمكن تحميل مستخدمي الفايسبوك مسؤولية تفكير العملية الاتصالية؟:

¹⁹ J.Francis Rummel, *Introduction to reserch procedure*, (New york, Harper and Row, 1964), p.9.



- إلى أي حد يمكن القول أن بعض المنشورات قد تساهم في قبولية الاتصال، وإفراغ الرسالة الاتصالية من الجدوى، وتكريس الابتزاز والاستغلال التفاعلي؟ إلى أي حد قد تؤدي هذه المنشورات إلى تواصل سلبي وعشوائي وتنفير من المشاركة في العملية الاتصالية؟

1. 4. 2- الفرضيات:

تكتسي مسألة تحديد الفرضيات أهمية كبرى في مسار البحث، باعتبار أنها جملة من الاقتراحات المترابطة والمتلائمة بشكل منطقي وموضوعي مع الإشكالية المطروحة، قصد الإجابة عما تتضمنه من تساؤلات من جهة، ولبلورة محاور الدراسة من جهة أخرى، و"يجب على الفرضيات أن تكون عملية سواء كانت حقيقية لتفسيرها أو مفترضة لإثباتها أو نفيها"¹⁹، وهو ما تطلب اقتراح الفرضيات التالية:

أولاً، ينجم عن استغلال الأساليب التفاعلية للفايسبوك إثراء العملية الاتصالية في المجال الافتراضي وفي الواقع الاجتماعي من خلال ديمقراطية الاتصال وعولمة القضايا الاجتماعية والسعي لعقلنة الممارسة الاتصالية.

ثانياً، تحدث استخدامات الفايسبوك خلا اتصالياً نتيجة تراكم أساليب التفاعل واختلال موازين التواصل.

ثالثاً، تتسبب بعض المنشورات الفايسبوكية في تفكير العملية الاتصالية، وهو ما قد ينجر عنه عرقلة عملية التغيير الاجتماعي على مستوى الممارسات والأدوار وتقييم المكانة الاجتماعية.

1. 5- تحديد المصطلحات - المفاتيح:

تعتبر مرحلة تعريف المصطلحات - المفاتيح خطوة هامة تسبق عملية الانطلاق في التحليل، حيث سيتم تحديدها حسب ما يعلن عنه الموضوع بصفة مباشرة أو غير مباشرة، للتطرق إلى كل مصطلح بالتفصيل، بالوقوف عند خلفيات نشأته التاريخية أولاً، واستعراض التعريف أو التعريفات المقدمة له من طرف الباحثين ثانياً، مروراً بمراحل تطوره حسب السياق المجتمعي ثالثاً.

¹⁹ Serge Paugam, les 100 mots de la sociologie, ibid, p.15.



1. 5. 1- الشبكات الاجتماعية الافتراضية/ مواقع التواصل الاجتماعي:

لا يعتبر مصطلح الشبكات الاجتماعية حديثاً، حيث "يجب التذكير بأن استخداماته هي في الواقع قديمة جداً في مجال العلوم الاجتماعية، جون بارن (John Barnes) هو أول من استخدم هذا المفهوم بشكل منظم لوصف الأشكال الخاصة للتراتبية الاجتماعية في الجزيرة النرويجية الصغيرة التي قام بدراساتها سنة 1950".²⁰

تم اعتماده لقياس العلاقات الاجتماعية في إطار نظرية الذرة الاجتماعية، وهي أصغر وحدة في قياس العلاقات، وتتصل كل ذرة اجتماعية بغيرها من الذرات الأخرى مكونة الشبكة الاجتماعية التي تتمحور بالأساس في جملة الروابط ذات الخصائص المختلفة، وكلما كانت متألفة وقوية ساهمت في دعم البناء الاجتماعي، أما إذا ضعفت أو اصرها ساعدت على تنافر الذرات، بالتالي، تفكيك الشبكة. يدفع التعريف اللغوي للمصطلح إلى منحه دوراً فاعلاً في نسج العلاقات ومحاولة دمجها رغم اختلافات الأفراد وخصوصياتهم لتكوين كل غير متجانس، لكنه، يتكامل وظيفياً في إطار بناء اجتماعي متناسق.

تطور استخدام المصطلح بتطور تكنولوجيات المعلومات والاتصال، مع تواتر الحديث عن الفضاء الافتراضي، ليكتسي مصطلح الشبكات الاجتماعية مفاهيم جديدة تتماشى والتحويلات الحاصلة، ويحتل مكانة بارزة، إلى درجة الإقرار أن "الشبكات تشكل الكيان الاجتماعي الجديد لمجتمعاتنا"²¹، واعتبارها وليدة تزاوج التقني والعلائقي، وتتميز بمنح الفاعل الاجتماعي إمكانات لم تكن متاحة له من قبل.

ساهمت الشبكات الاجتماعية الافتراضية من خلال أساليبها التفاعلية وتطبيقاتها في تحوير جملة من الدلالات وقلب الموازين الاعتيادية لنشأة العلاقات الاجتماعية، وإن كانت تحافظ على الغايات الجوهرية للشبكة الاجتماعية بأساليب متعدّدة، وهي تشكيل ودعم الروابط وتقريب الفاعلين الاجتماعيين، إلا أنها غيرت شيئاً فشيئاً من مرتكزات البنى الاجتماعية التقليدية ومظاهرها الأساسية.

تنوعت التسميات التي أطلقت على هذه الشبكات، فالبعض اكتفى بإضافة عبارة "افتراضية" أو "رقمية"، والبعض الآخر خيّر استخدام مصطلح "مواقع التواصل الاجتماعي"، في حين نجد من جمع بين التسميتين ليستعمل في بحوثه مصطلح "مواقع الشبكات الاجتماعية" أو "شبكات التواصل الاجتماعي".

²⁰ Idem.

²¹ Nicolas Curian et Pierre-Alain Muet, La société de l'information, ibid, p.17.



اتفق أغلب الباحثين، سواء في مجال الإعلام والاتصال أو في السوسيولوجيا، على تقديم الشبكات الاجتماعية الرقمية نوعاً جديداً من الاتصال، وهو الاتصال الافتراضي، وما يتمتع به من خصوصية، كحرصه على توفير حيز أوسع لحرية الاختيار مقارنة بالشبكات التقليدية، إضافة إلى منح العلاقات الاجتماعية مظاهر جديدة تحددها ممارسات الأفراد التي "تندرج في إطار ما يسمى نموذج "الحداثة السائلة" والمتحركة التي تحيل على مجتمعات الفردانية والاستقلالية"²².

لئن تم التأكيد في العديد من البحوث أن الشبكات الاجتماعية الافتراضية منحت المستخدم الفرصة لتعزيز فردانيته وتدعيمها من خلال اختياره للممارسات التي تشبع متطلباته الاجتماعية والنفسية، بحثاً عن إثبات الذات، فمن الملاحظ، من زاوية نظر أخرى، أن مواقع التواصل الاجتماعي ترسخ تنميطة للتمثلات وقولبة لطرق التعبير.

في هذا الإطار، تتجلى أهمية البحث الذي تتلخص الغاية منه في الكشف عن ازدواجية تأثير الشبكات الاجتماعية الافتراضية، في العملية الاتصالية بمختلف عناصرها وفي عملية التغيير الاجتماعي.

ما فتئ موقع الفاييسبوك يفرض وجوده أكثر فأكثر من خلال الإمكانيات التفاعلية التي يتيحها، وهو ما دفع لاختياره مثلاً عن مواقع التواصل الاجتماعي، نظراً للمكانة التي احتلها واكتسبها بفضل الاستخدام المكثف له، حيث يبقى عدد المستخدمين لهذه الشبكة مرتفعاً مقارنة بغيرها، ولا يقتصر الاستخدام على فئة معينة، وإنما هي محل إقبال من طرف الفئات المختلفة.

سيتم الإجابة بالأساس عن سؤال: هل ساهم استخدام الفاييسبوك في تحسين وتطوير العملية الاتصالية أم تسبب في قولبة أساليبها ومضامينها؟ وهل يشكل عاملاً لإثراء التغيير الاجتماعي أم لتفقيده؟

1. 5. 2- الاتصال/ العملية الاتصالية:

ما فتئ مصطلح الاتصال يكتسي أهمية بالغة، وتتشعب إشكالياته المرتبطة بدرجات متفاوتة بحقول علمية أخرى، خاصة منها تلك التي تتمحور مواضيع بحثها حول الإنسان عامة وتمثلاته لذاته ولواقعه.

²² الصادق الحمّامي، "كيف نفكر في مواقع الشبكات الاجتماعية؟ إحدى عشرة مسألة أساسية"، مجلة أكاديميا، السنة الأولى، العدد السادس، (منوبة، المنشورات الجامعية، جوان 2012) ص 18.



تختلف التعريفات المقترحة لمصطلح الاتصال حسب النظريات، وهو ما جعله يشهد تطورا ملحوظا حيث تم الانتقال من الاتصال المباشر إلى الاتصال الجماهيري إلى الاتصال التفاعلي. تم الاكتفاء في النظريات الأولى، كنظرية المعلومات، بتحليل الاتصال على أساس نموذج خطي دون التطرق إلى أهمية مسألة التأثير التي أشار إليها هارولد لاسويل (Harold Lasswell): "من يقول ماذا عن طريق أية قناة لمن وبأي تأثير؟"، أو كما سماه ولبر شرام (Wilbur Schramm) رجوع الصدى، إضافة إلى أهمية السياق النفسي والعوامل الاجتماعية.

إذن، العملية الاتصالية هي "عملية تنتقل من خلالها "الرسائل" أيا كانت طبيعتها والركائز المستخدمة فيها، من فرد إلى آخر، بحيث تجعل التفاعل الاجتماعي ممكنا"²³، حيث يرتبط الاتصال بمسألة الهوية والإدراك الاجتماعي، وينبع من وجود جدلية بين الأنا والآخر، وينطلق من أرضية مشتركة ومن ذاكرة جمعية ومن شبكة من الرموز والمعاني المتداولة والمتفق عليها.

انتقل الاتصال من عمليات تبادل إلى عمليات اجتماعية، وما انفك يتطور حسب ما تشهده المجتمعات من تحولات على المستوى التكنولوجي، وما رافقه من تمثلات للذات وللآخر وللعالم حتى أن جيرار لوكلارك (Gérard Leclerc) اقترح مفهوم "مجتمع الاتصال"²⁴، في إشارة واضحة للمكانة التي احتلتها العملية الاتصالية التي رسختها الانترنت، ودعمت مبادئها وقوانينها مواقع التواصل الاجتماعي.

لا يجب استخلاص أن المسألة تقتصر على التطور الحاصل على مستوى الوسائل المعتمدة، فالالاتصال الافتراضي تجاوز نظرية مارشال ماكلوهان (Marshall McLuhan) الذي اعتبر "الرسالة هي الوسيلة"، ليتبنى إلى حد ما نظرية مانيوال كاستيلز (Manual Castells) الذي يرى أن "الرسالة هي نفسها الشبكة" كما تحدث عن "الاتصال الجماهيري-الآلي" (l'auto communication de masse).

شهدت العملية الاتصالية نقلة كمية ونوعية من حيث وفرة الأساليب واختلاف التقنيات والتطبيقات، ولم يحل ذلك دون التنبيه إلى ما غدا يشكله من مخاطر تهدد علاقة الفرد بذاته وعلاقاته مع الآخرين

²³ جيل فيريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع (Vocabulaire de la sociologie)، ترجمة أنسام محمد الأسعد، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، 2011)، ص.53.

²⁴ Gérard Leclerc, Société de la communication, Une approche sociologique et critique, (Paris, P.U.F,1999), p.129



من جهة، والبنى الاجتماعية ووظيفيتها من جهة أخرى، فالاتصال الذي كان وسيلة يستخدمها الأفراد حسب ما يختارونه من قنوات لتمرير رسائلهم، "غزا" حياتهم الاجتماعية إلى درجة التحكم فيها. فهل يمكن الحديث عن "لوثة" اتصالية نتيجة الاتصال المفرط والجامح، خاصة وأن هناك من أكد أن العولمة الاتصالية "تمتظ السلوك وتساعد على إلغاء التنوع الثقافي والذهني والإبداعي".²⁵؟

1. 5. 3- التفاعلية:

يمكن القول أن التفاعلية كمصطلح "ظهر سنة 1964، إبان صياغة اللغة الرقمية، وهو يسم إمكانيات التفاعل بين الآلة والمستخدم عن طريق إجراءات تستدعي الصيغة التحويلية"²⁶، وهو ما يشير إلى ارتباطه، عند نشأته، بحقل العلوم التقنية، حيث يقوم بالأساس على النموذج الحسابي المنطقي الذي يعتمد على التحديد، منذ البداية، لكيفية اشتغال آلة، لتبلغ جملة من الغايات المطلوبة منها حسب الإمكانيات المهيأة لها للاستجابة لأهداف مستخدميها.

في هذا السياق، ساهمت التفاعلية في تسهيل تمرير الرسائل بين الأطراف المختلفة مع ضمان التفاعل الاجتماعي، وهو ما دفع بعض الباحثين إلى التأكيد على كفاءة مصطلح التفاعلية في دراسة الظواهر الاجتماعية.

غدت التفاعلية محل جدل، منذ التحولات التي تشهدها تكنولوجيات الاتصال بشكل متواصل، و"تغلغل" أساليبها وتقنياتها وتمثلاتها في جل مظاهر الحياة الاجتماعية، ولعل من أبرز التساؤلات التي أثارها: "عما نتحدث عندما نطرح إشكالية "تفاعلية تكنولوجيات الإعلام والاتصال"؟: عن استثمار تكنولوجيات الإعلام والاتصال من طرف مستخدميها؟ عن مهارة المبرمجين والمصممين في جعل هذه التقنيات مألوفة حتى الحميمية؟ أليست التفاعلية سوى إثارة للاهتمام إلى درجة الصدمة،

²⁵ المنصف وناس، "عناصر أساسية لبناء علم اجتماع الاتصال (محاولة فهم في ثنائية الاتصال والهيمنة)"، المجلة التونسية لعلوم الاتصال، عدد 48/47، (جامعة منوبة، تونس، جويلية 2006/ جوان 2007)، ص.31.

²⁶ Joëlle Le Marec, "Dialogue interdisciplinaire sur l'interactivité", *Communication et langages*, n°128, 2ème trimestre 2001, p.106.

http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/colan_0336-1500_2001_num_128_1_3079



أم أنها على العكس تمثل مرجعية وضمانة جديدة لشرعية الممارسات الاجتماعية والعادات الجماعية؟²⁷

وهو ما سيتم الإجابة عنه للوقوف عند خصائص التأثير المزدوج للأساليب التفاعلية الافتراضية.

1.5.4- التفاعل الاجتماعي:

يتمثل في مجموعة العمليات الاجتماعية المتسلسلة غير المتجانسة والمتحولة والمتطورة، في هذا الإطار، تحدث بيار بورديو (Pierre Bourdieu) عن أهمية تجديد الممارسة الاجتماعية، التي تسعى لتحقيق هدف مشترك عن طريق توزيع الأدوار، والالتزام بجملة من المعايير (التطبيع المعياري - التعلم الاجتماعي - المحاكاة - آلية العدى الانفعالية - التحكم من خلال الترويض والترغيب - الذكاء الانفعالي/ العاطفي...)، التي تتشكل على أساسها جملة العلاقات، التي تشمل العلاقة بين الفرد وذاته وبين الفرد والمجموعة من ناحية، والعلاقة بين الفرد ومحيطه، من ناحية أخرى، أي كيفية تشكل صورة الآخر وتمثله من خلال الضمير الجمعي، عبر جملة الرموز الاجتماعية.

تعددت الدراسات حول مصطلح التفاعل الاجتماعي بمفهومه الكلاسيكي، قبل ظهور تكنولوجيات الاتصال الحديثة، فقد أكد ماكس فيبر (Max Weber) على أهمية دراسة تأويل معنى الفعل الاجتماعي، واهتم جورج هربرت ميد (George Herbert Mead) بخصوصية التفاعل الاجتماعي في تعزيز العلاقات الاجتماعية، وذلك لإثبات الكفاءة الاتصالية لكل فاعل وأهمية الدور الاجتماعي الذي يضطلع به في إنجاح عملية التفاعل الرمزي.

اكتسب مفهوم التفاعل الاجتماعي أبعاداً مختلفة بتوفير المجال الافتراضي لأساليب متعددة منحت المستخدمين إمكانية اختيار الدور الاجتماعي وتوسيع دائرة العلاقات. يمكن القول أن استخدام الفايسبوك ساهم في بلورة أنماط جديدة من التفاعل الاجتماعي، وهو ما يدفع إلى التساؤل عن تأثيرها المزدوج في المنظومة الرمزية التي تقوم عليها العملية الاتصالية.

²⁷ Christin Papilloud, "Interactivité et lien social. L'interactivité", volume 4, n°1, 2010,

<https://ticetsociete.revues.org/769>



1.5.5- التأثير:

شغلت مسألة التأثير حيزا هاما من الإشكاليات المطروحة، ويتجدد حضورها بصفة أكثر إلحاحا في كل مرحلة يشهد فيها الاتصال جملة من التحولات التي تدفع إلى إعادة التساؤل، للكشف عن الخصائص واستقراء المظاهر، وتحليل أساليب ومضامين العملية الاتصالية التي تتغير خصوصياتها حسب القناة التي تركز عليها أولا وحسب استخدام الأفراد لهذه القناة ثانيا.

في هذا السياق، تنتزل مسألة تأثير الشبكات الاجتماعية الافتراضية عامة والفايسبوك بصفة خاصة التي تعددت حولها وجهات النظر حسب زاوية البحث المعتمدة، واختلفت فيها الاستنتاجات، سواء كان على مستوى التلقي أو الاستخدام، التمثل أو الممارسة، التطويع والقبض أو الانقياد وإفلات زمام التحكم.

إن مسألة التأثير ليست محسومة ولا تحمل بعدا واحدا، فهي مثيرة لجملة من التساؤلات التي تحتاج الوقوف عندها لمحاولة الإجابة عنها، وبما أن التأثير مرتبط بالقائم بالاتصال الذي يلعب فيه دور المنتج والمرسل والمتلقي، فذاك يجعل التأثير متعدد الأبعاد ومختلف الخصوصيات.

لم يعد بالإمكان الاكتفاء بالقول أن التأثير قوي أو ضعيف، مباشر أو على مرحلتين، ولا يمكن في سياق خول للجميع تقريبا نفس الإمكانيات للتواصل والتفاعل عن الدور الذي يضطلع به قادة الرأي، ففي مرحلة الاتصال التفاعلي وفيما يرتبط بالفايسبوك، هناك رؤية تشاركية تستبعد المقاربات العمودية وحتى الأفقية والهرمية.

نجد إجابات عدة حول طبيعة التأثير، فمنها ما يميل إلى اعتبار الشبكات الاجتماعية الافتراضية مساحة غير محدودة للتحرك، مانحة فرصة لتشكيل علاقة جديدة مع الذات ومع الآخر، من شأنها تغيير طبيعة التعامل مع الواقع الاجتماعي وعدم الاكتفاء بالقبول السلبي والتكيف القسري، إنما تفعيل المشاركة في العملية الاتصالية والنقد والاقتراح وغير ذلك من خصوصيات الديمقراطية.

أكد باحثون آخرون أن مواقع التواصل الاجتماعي قد تساهم في إحداث خلل على مستوى العملية الاتصالية، وتهديدا لسلامة البناء الاجتماعي، حيث تم استخدامها لنشر الفوضى أو خلق أزمة أو عدم التعامل العقلاني مع مشكلة من مشاكل المجتمع والانحياز عن الموضوعية اللازمة، سواء كان ذلك قصدا



أو دون قصد، معتبرين أن "الشبكة الاجتماعية هي غالباً ما تكون مختبراً من أين تنطلق حملات التضليل يخدمها غياب عادة القراءة النقدية للمضامين الإعلامية"²⁸.

بالتالي، سنحاول الوقوف عند تأثير الفاييسبوك في العملية الاتصالية في المجال الافتراضي وفي الواقع الاجتماعي ومحاولة التوفيق بينهما بإرساء علاقات من شأنها تدارك الخلل، الذي وإن ولده الاتصال، فهو الذي يمكن من تجاوزه.

إن الخلل، في هذا الإطار، ليس بالضرورة تهديداً للبناء الاجتماعي ونسقيته، وإنما هو هام لتعديل الوظائف وجعل بعض القيم الاجتماعية محل نقاش لترسيخها أو تعديلها أو تقويضها، وتبني أخرى أكثر تلاؤماً مع السياق المجتمعي المتغير.

1. 5. 6- التغيير الاجتماعي:

إذا تمت العودة إلى الجذور التاريخية، "يعزى الفضل إلى وليم أوغبرن (w.ogburn) في انتشار مصطلح التغيير الاجتماعي، وتخليصه من المصطلحات الغامضة التي أطلقت عليه كـ "التقدم" والتطور وغيرهما، عندما نشر كتابه "التغيير الاجتماعي"²⁹، كما سجل المصطلح حضوراً مكثفاً في أعمال كارل ماركس (Karl Marx)، فمن خلال نظرية "المادية التاريخية والمادية الجدلية"، أكد على أهمية التغيير كمحرك للمجتمعات، وألبد صراع مستمر بين قديم سيهزم وجديد سينتصر.

تعددت الدراسات حول إشكالية التغيير الاجتماعي، وتجاوزت المقاربة الحتمية الماركسية، لتجعل من التغيير عملية غير ثابتة النتائج، باعتبار أنها لا ترتبط دائماً بأهداف محددة مضبوطة سلفاً، حيث "قد تكون حركة التغيير إلى الأمام أو إلى الخلف، إلى أعلى أو إلى أسفل. ارتقاء وتقدماً، أو نكوصاً وتخلفاً، (...)، وقد يكون هذا التغيير تلقائياً وقد يكون مخططاً، بطيئاً في سرعته، أو ثورياً جذرياً وسريعاً"³⁰.

²⁸ Riadh Ferjani, "la révolution Facebook n'a pas eu lieu", Akademia, n.1, (Tunis, Université Manouba, Janvier 2012), p.12.

²⁹ جيل فريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، مصدر سابق، ص.126.

³⁰ أحمد عبد الجواد رأفت، مبادئ علم الاجتماع، (جامعة القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، 1983)، ص.126.



إن التغيير سيرورة تتميز بالدينامية والبحث عن الوضعيات الأكثر ملاءمة لتطلعات الفرد، مستبطنة غايات تسعى لتحقيقها، وتوقفها يعني فناء مجتمع ما، إذن، يمكن القول أن التغيير الاجتماعي هو أشبه بحتمية تحتاجها المجتمعات كركيزة للتجدد وربما للهدم وإعادة البناء، أو قلب الموازين، أو اندثار خصائص اجتماعية وثقافية وأطر مرجعية، لتحل أخرى مكانها.

تدعم حضور المصطلح مع انتشار تكنولوجيات الاتصال الحديثة، إلى درجة التأكيد "أنه فعلا عصر التغيرات والتحويلات اللامتناهية، والتي لا يمكن توقع آثارها وانعكاساتها المستقبلية، والتي لم تترك أي مجال دون أن تخترقه وتحديث فيه تطبيقات حديثة واستخدامات جديدة، ملغية بذلك نظيراتها التقليدية أو على الأقل تقليص أهميتها ومعدل استعمالها"³¹.

شمل التغيير الاجتماعي الذي رافق الاستخدام المتنامي للفايسبوك جميع المستويات، لذلك سيتم تحليل مظاهره ومستوياته لاستجلاء التأثير المزدوج: هل ستدفع الأساليب التفاعلية والمضامين المنشورة نحو إثراء عملية التغيير الاجتماعي، بدعم غايات الفاعلين الاجتماعيين أم ستتسبب في التفجير عاجزة عن الاستجابة لانتظارات الأفراد إلى مجتمع يؤمن بالحاجة إلى التغيير للمحافظة على حيويته بما يتماشى مع متطلبات العصر وتحولاته؟

1. 6- الاعتبارات المنهجية:

1 0.6- تعريفات ممهدة لمصطلحات منهجية:

1 0.6 .1- المنهجية:

تعتبر الإطار والمحرك، في نفس الوقت، للعملية التحليلية في جميع مراحلها، حيث " يمكن تعريف المنهجية على أنها القدرة على التوظيف الجيد للمناهج والتقنيات التي لا يكتفي الباحث بمعرفتها،

³¹ إبراهيم بعزیز، "دور وسائل الإعلام الجديدة في تحول المتلقي إلى مرسل وظهور صحافة المواطن"، مجلة *الإذاعات العربية*، العدد 3، (تونس، اتحاد إذاعات الدول العربية، 2011)، ص 45.



بل من الضروري أيضا إتقان استخدامها أي تكيفها بدقة شديدة فيما يتعلق بالموضوع المحدد للبحث أو الدراسة من ناحية والأهداف من ناحية أخرى³².

تشتمل المنهجية على ثلاثة مستويات أساسية، وتتمثل في مستوى المقاربات والتمشيات والمبادئ العامة أي العدة النظرية ذات البعد الفلسفي والإبستمولوجي أولا، ومستوى المناهج التي تفسح المجال لاعتماد طريق علمي له قوانينه الخاصة التي تسمح بتحديد كيفية التعامل مع موضوع البحث، مع مراعاة الظروف الملائمة لحل المشكل المطروح ثانيا، ومستوى التقنيات والأدوات ثالثا. بالتالي، تتضمن المنهجية بعدان: البعد النظري والبعد التطبيقي وهما متكاملان ومترابطان عضويا.

1.6.1. 2- المقاربات المنهجية:

تمثل المقاربة المنهجية طريقا معرفيا يتيح الاكتشاف الذي سيؤدي إلى الاستفادة عبر استخدام منهج معين يتمشى وطبيعة القضية المطروحة، كما أنه سيسمح بالسعي قدما في هذا الطريق الممهّد ليضيف بصمته الخاصة، لذلك "يمكن اعتبار المقاربة المنهجية سيرورة فكرية لا تنطوي على مراحل أو تمشي نسقي أو صرامة معينة، ولكنها نوع من حالة الفكر وضرب من التنظيم العام الذي يموقع الخلفية الفلسفية أو النظرية للباحث أو الدراسة"³³.

هناك طريقان رئيسيان لمحاولة الاقتراب من "الحقيقة" العلمية، ويتمثلان في طريق الوثائق بمختلف أصنافها سواء على مستوى المصادر المعتمدة أو المستوى التحليلي، وهوما يعرف بالمقاربة الوثائقية وطريق الميدان الاجتماعي الذي يندرج في صلب المقاربة الإمبيريقية التي تعتمد لبلوغ الغايات البحثية على الملاحظة والتجربة المخبرية والتحقيقات السوسولوجية الكمية والنوعية بواسطة الاستبيان والمقابلة.

1.6.1. 3- المقاربة الوثائقية:

تمكن هذه المقاربة عبر خصائصها الاستطلاعية من التعرف على الظاهرة عن قرب وملامسة الواقع، وهو ما يسمح بتحليل وفهم دقيقين للقضايا المرتبطة بموضوع البحث، وتقوم على ثلاثة أصناف من المناهج، وهي التحاليل الوثائقية الكلاسيكية أولا وتحاليل المضمون ثانيا وتحاليل الخطاب ثالثا،

³² Omar Aktouf, *Méthodologie des sciences sociales et approche qualitative des organisations : Une introduction à la démarche classique et une critique*, (Montréal, Les presses de l'Université du Québec, 1987), p.29.

³³ Omar Aktouf, *Méthodologie des sciences sociales et approche qualitative des organisations : Une introduction à la démarche classique et une critique*, (Montréal, Les presses de l'Université du Québec, 1987), p.27.



لذلك من المهم الاطلاع على خصائص هذه المناهج لمعرفة أيها الأنسب للخطة البحثية، والذي يضمن، بما يشتمل عليه من تقنيات نظرية وتحليلية، الاستجابة لمتطلبات الموضوع.

1.6.0.4- المناهج:

تعتبر عملية اختيار المنهج الملائم للأطروحة من المسائل الجوهرية التي يجب إيلائها درجة كبيرة من الاهتمام والدقة، ف"ليس هناك بحث علمي دون منهج واضح، يتم وفقا لقواعده دراسة المشكلة محور البحث وتحليل أبعادها ومسبباتها ومعرفة جوانبها وتأثيرها وتأثرها بالظواهر المحيطة، ووفقا لأدواته يتم قياسها والتنبؤ بحركتها والوصول إلى معالجات ونتائج محددة"³⁴.

إذن، كلما كان الاختيار المنهجي مناسباً لموضوع البحث ولإشكاليته وفرضياته، تم التوصل إلى نتائج تتسم بالموضوعية، فالمنهج هو بمثابة الطريق الذي سننتهجه لبلوغ الأهداف المرجوة من البحث أولاً وللاقترب من "اليقين" المعرفي ثانياً، وإن كان ذلك يتسم بالنسبية باعتبار أن الجدل العلمي يبقى قائماً.

1.6.0.5- تحاليل المضمون:

1.6.0.5.1- تحاليل المضمون البسيطة:

لا تعتبر تحاليل المضمون حديثة العهد، فقد اعتمدها الباحثون في عدة حقول علمية، وإن انطلق استخدام المصطلح باقتراح تسمية التشفير/ فك التشفير، أو الترميز/ فك الترميز من طرف المختصين في علم اللغة بفروعه المختلفة، ولعل أهمها السيميولوجيا، وتطور استخدامه ب"صرف الانتباه إلى ما يتعدى مجرد مستوى دلالة المطابقة أو الظاهر في المعلومات التي يراد نقلها في رسالة ما، نحو مستويات المعنى الإيحائي (الضمني أو الافتراضي أو الكامن) التي تحمل في العادة على "ظهر" ما يبدو وحدات بسيطة من المعلومات الصريحة التي يمكن أن تنقلها الرسالة"³⁵.

³⁴ محمد عبد الغني مسعودي ومحسن أحمد الخضيرى، الأسس العلمية لكتابة رسائل الماجستير والدكتوراه، (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1992)، ص.41.

³⁵ بينيت(طوني) وغروسبيرغ(لورانس) وموريس(ميغان)، مفاتيح اصطلاحية جديدة. معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع

(New keywords. A Revised Vocabulary of Culture and Society)، ترجمة سعيد الغانمي، (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، سبتمبر 2010، 2010)، ص.50.



يقوم هذا المنهج على جملة من المبادئ المترابطة، وذلك لبلوغ المآرب بطريقة سلسلة تخول تفكيك المنظومة الرمزية أولاً بشكل تفصيلي، لرصد دلالاتها ثانياً، وإعادة تشكيل الصورة واضحة ثالثاً.

1.6.0.5-2 تحاليل المضمون المقارنة:

تم اقتراح تحاليل المضمون المقارنة، من طرف عالم الأحياء التطوري والإحصاء الانجليزي رونالد فيتشر (Ronald Ficher) الذي تمحورت بحوثه حول تقدير الاحتمال وتحليل التباين. يجب أن تتوفر شروط تسمح باستخدام هذا المنهج، لعل أهمها طرح نفس القضية أو الحادثة وتأثيراتها، التي قد تكون هي ذاتها أو متناقضة في صلب المجتمع الواحد أو بين المجتمعات، بما أن "المنهج المقارن يقتضي إجراء مقارنة منطقية بين الظواهر الاجتماعية المتشابهة بوضوح في سياقات اجتماعية مختلفة"³⁶.

1.6.0.6- التقنيات المنهجية:

تعرف التقنية بأنها "مهارة تقليدية مرتكزة على تجربة شبه مقننة ومنتقلة من جيل إلى آخر"³⁷، وتخول اختبار الفرضيات وتحليل عناصر الموضوع، وتتماشى مع خصوصية العينة. إذن، هي وسيلة نظرية لما تتضمنه من مبادئ وقواعد وقوانين تم التوصل إليها بعد الاختبار، لتكون في خدمة الباحثين عند الحاجة، وتطبيقية لما توفره من آليات عمل تجعل المهمة التحليلية أكثر يسراً، فمن خلال التقنيات، يمكن فهم الظواهر وتفسير القضايا استناداً على المنطق العلمي، وهو ما يجعل الاستنتاجات تبتعد عن الذاتية والأحكام المسبقة، وهو ما يكسب البحث قيمة معرفية باعتبار أن ما تم التوصل إليه هو مجهود قائم على البرهنة. لا يتوقف الأمر عند هذا الحد، فتقنيات البحث تساعد على توصيف الواقع وتحليله، مانحة الفرصة لمساءلة المقاربات، ولفت الانتباه إلى حدودها، والزامية بلورة نظريات جديدة لمعالجة الإشكاليات التي ما فتئت تكثر وتتسبب فيما يتعلق بالعملية الاتصالية.

³⁶ مصطفى خلف عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، مصدر سابق، ص.86.

³⁷ جيل فيريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ترجمة أنسام محمد الأسعد، مصدر سابق، ص.169.



1. 6. 0. 7- شبكة تحليل المعطيات:

يمكن تعريفها بأنها "إحدى أدوات جمع البيانات الرئيسية المرتبطة بأسلوب البحث في تحاليل المحتوى، حيث تجمع هذه الأداة بين فئات التحليل ووحدات المعنى المرتبطة به لتحليل العناصر الكمية والنوعية"³⁸.

تتطلب جمع المعلومات وتبويبها وتصنيفها، للتمكن من تأويلها من خلال تفكيك رمزيها واستعراض دلالات مضامينها حسب ما يتم ضبطه من فئات تحليلية، و"كل فئة هي بناء اجتماعي وتاريخي نشأ، في لحظة زمنية معينة، تلبية لجملة من المتطلبات المحددة والمفصلة. بالتالي، توفر الفئة تصورا للظاهرة المعروضة، دائما ما يكون جزئيا وقابلا للنقاش"³⁹.

1. 6. 0. 8- العينة:

إن العينة في معناها البسيط جزء من كل، ولا يتم الانتقاء بشكل عشوائي أو حسب الرغبة الذاتية، بل يجب التحلي بالموضوعية لاختيار جزء يمتلك من الخصائص القادرة على إعطاء فكرة يمكن تعميمها على الكل.

إذن، يمكن القول أن العينة قد تمثل المجتمع في كليته، كما قد يقتصر الأمر على فئة منه حسب الزاوية التحليلية. قد يكون اختيار مفردات العينة عشوائيا / احتماليا أو قصديا مع البرهنة على قدرة المجتمع المستهدف على تمثيل المجتمع المتاح.

مهما كان نوع العينة المختارة، فهي تلتزم بشرط أساسي وهو الشمولية، ف"إذا كان المطلوب تحليل المواقف المختلفة أو تقلب السلوك، يجب على العينة أن تمكن، قبل كل شيء، من تحديد قدر الإمكان الوضعيات الأكثر تناقضا واختلافا"⁴⁰.

³⁸ Corno(Christian), Une approche multidisciplinaire de la recherche en sciences humaines, (Montréal, Chenelière Education, 2010), p.133.

³⁹ Serge Paugam, les 100 mots de la sociologie, ibid, p.33.

⁴⁰ Serge Paugam, les 100 mots de la sociologie, ibid, p.33.



1. 6. 2- المنهجية المعتمدة في أبعادها النظرية:

تم اللجوء إلى منهج تحليل المضمون وذلك لدراسة مختلف أشكال التفاعل التي وفرها الفايسبوك لمستخدميه، للتعرف على مدى إقبال الأفراد على استغلال هذه الأساليب من ناحية، وكيفية استغلالهم لها من ناحية أخرى، كما سيسمح هذا المنهج بمعرفة آثار الأساليب التفاعلية الخاصة بشبكة الفايسبوك والمضامين التي ينشرها المستخدمون، في العملية الاتصالية وفي عملية التغيير الاجتماعي.

تتطلب عمليتي التفسير والفهم تحليلاً للرموز ورصد ديناميتها وتنزيلها ضمن الواقع الاجتماعي الذي يؤثر فيها وتؤثر بدورها فيه، باعتبار أن "الطموح يتجاوز ما يقف عنده السيميولوجي الذي ينحصر عمله في أفق العلامة وأنساقها، ليبنى نسيجها ضمن واقع اجتماعي متغير، مما قد يسمح بالحديث عن سيميولوجيا الفعل أو الظاهرة الاجتماعية"⁴¹.

تجدر الإشارة إلى أن الاعتماد على تحليل المضمون يمكن من تأويل الرموز واستعراض دلالاتها التي قد تكون دلالة مباشرة، أي ذلك المعنى الأولي للرمز، مع التعمق في مدلوله الإيحائي، أي القصد الكامن الذي يكتسي أهمية بالغة قد تفوق الدلالة الواضحة ذات المعنى المتعارف عليه.

يعد التقيد بدراسة مجتمع ما والأخذ بعين الاعتبار لقضاياها التي يتم فهمها من خلال تنزيلها في سياقها أمراً كافياً، لكن، عندما يغدو هذا السياق عالمياً، فإنه لا يمكن تفسير ما يجري في مجتمع ما، إلا إذا تم توسيع دائرة التحليل لإدراج مقارنة من شأنها التوضيح، وهو ما يستدعي استخدام منهج تحليل المضمون المقارن، حيث "يتعلق الأمر (...) برصد حركة العلامة وهي تتجول في عوالم مختلفة سوسيو ثقافية وتاريخية"⁴².

بالتالي، هناك حاجة إلى جمع المضامين المتعلقة بظاهرة ما في سياقات مختلفة والتي مُنحت رموزها نفس المدلولات في الواقع الاجتماعي العالمي، باعتبار أن توحيد المنظومة الرمزية للعالم لا يخفي ازدواجية تأثيره في الهوية الخاصة بكل مجتمع، في هذا السياق، دعا البعض إلى تبني هوية عالمية لمجابهة الاضطرابات التي تشهدها المجتمعات، وهو إن كان اقتراحاً لحل، قد يتحول إلى مؤدٍ لمشكلات فيما يتعلق بالقولبة والتنميط.

⁴¹ محسن بوعزيزي، "السيميولوجيا الاجتماعية"، مجلة إضافات، العدد التاسع، (الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، شتاء 2010)، ص. 73.

⁴² نفس المصدر، ص. 73.



من الضروري، في هذا السياق، الاقتراب من عينة البحث ومحاولة استقصاء تمثلاتها ومراقبة ممارساتها والأخذ بعين الاعتبار لفرديانية الفاعل الاجتماعي، الذي وإن التزم بالضوابط، فإن له تصورات الخاصة التي يجب فهم رمزيتها لتفسير الأسس التي تحدد سلوكه ودوره وعلاقاته، "فإدراك هذا الواقع لا يتم دون وجهات نظر الأشخاص الفاعلين، لذا لا بد من استجلاء تأويلهم لأوضاعهم وللظواهر الاجتماعية"⁴³.

1. 6. 3- المنهجية المعتمدة في أبعادها التطبيقية:

تستوجب هذه المرحلة تحديد عينة البحث وأداة التحليل اللازمة التي ستعتمد لتحقيق الأهداف.

1. 6. 3. 1- تحديد عينة البحث:

تم ترجيح أن تكون العينة غير الاحتمالية هي الأكثر استجابة لمتطلبات الموضوع وتماشيا مع أهداف الخطة البحثية. في هذا الإطار، نشير إلى أن لهذه العينة تسميات مختلفة، لعل أهمها العينة القصدية والعينة التحكومية، وهو ما يدفع إلى القول أنها تعتمد بشكل كامل على ما يحدده الباحث، دون إهمال الشرط الأساسي، وهو كفاءة العينة في الإحاطة بمختلف زوايا موضوع البحث وتضمنها للعناصر التي تشكل أبعاده المتعددة.

يتمثل المضمون المستهدف في صفحات الفايسبوك، وبحكم أنه يعسر دراستها كلها في إطار مجهود بحثي واحد، تم الاكتفاء بمضمون بعض الصفحات التي تكون أكثر تلاؤما مع الموضوع، وتخدم بصفة مباشرة الأطروحة، للتمكن من التحكم في مفرداتها حسب ما تتطلبه مستويات التأثير التي سنقوم برصدها، والتي لا تتبنى اتجاها واحدا، ولا تقتصر على زاوية تحليلية معينة، بما أن الموضوع المطروح متشعب الرؤى، ومن المستحسن دراسته من زوايا المختلفة، لبلوغ نتائج من شأنها تحقيق الأهداف والالتزام بالموضوعية التي تستوجب فحصا يشمل جميع الخصوصيات.

إن اختيار عينة البحث أبعد ما يكون عن الذاتية، حيث تم الاعتماد على ثلاثة مرتكزات، وتتمثل: أولاً، مدى خدمتها لموضوع البحث وارتباطها به، مع عدم الاقتصار على مضامين الصفحات التي تتمتع بنسب انضمام مرتفعة، إنما اختيار مفردات بحث من صفحات تنخفض فيها أعداد المنضمين،

⁴³ نصر الدين العياضي، "الرهانات الاستمولوجية والفلسفية للبحث الكيفي: نحو آفاق جديدة لبحوث الإعلام والاتصال في المنطقة العربية"، مجلة شؤون اجتماعية، عدد 107، (الإمارات، الجامعة الأمريكية بالشارقة وجمعية الاجتماعيين والاقتصاديين، 2010)، ص.7.



وذلك لاستعراض جميع مظاهر التفاعل والوقوف عند مختلف التمثلات والممارسات الاتصالية الافتراضية، والأخذ بعين الاعتبار الآراء المتباينة التي يتم على أساسها لعب دور اجتماعي دون آخر. ثانياً، توضيح مختلف الأدوار التي اضطلع بها مستخدمو الفاييسبوك، من خلال توظيفهم للأساليب التفاعلية الخاصة التي وفرتها هذه الشبكة الاجتماعية الرقمية، التي أثرت بدورها في تمثلاتهم وممارساتهم الاتصالية الافتراضية من جهة، وعلاقتهم بواقعهم الاجتماعي وتعاملهم مع القضايا المطروحة في المجال العمومي من جهة أخرى.

ثالثاً، ارتكاز العينة على الصورة نظراً لما تتمتع به من أهمية ومكانة اتصالية، وباعتبار أنها أكثر المضامين حضوراً واستعمالاً في شبكة الفاييسبوك على مستوى النشر والتقاسم والتفاعل، وإحداثاً لتأثيرات مختلفة في شتى المواضيع المرتبطة بعلاقة الإنسان بذاته وبالآخر. بالتالي، مثلت وفرتها وتباين فحواها نوعاً من الثراء الرمزي والدلالي الذي سيخدم البحث، الذي ينطلق بتحليل مضمون صفحة الفاييسبوك بصفة عامة، وما توفره لمستخدميها من أساليب تفاعلية.

1. 6. 3. 2- نموذج شبكة تحليل المعطيات:

فئات المضمون	فئات الشكل
- في أي سياق نشر؟: * السياق التاريخي *مدى تواتر حضور المنشور	- القائم بالاتصال: * الفاييسبوك: (لقطة شاشة) المضامين المتعلقة بأساليب الفاييسبوك لعرض الاستراتيجيات التفاعلية. * مستخدمو الفاييسبوك.
- ما الذي تطرق إليه المنشور: * الموضوع : مدى ارتباطه بالشأن الخاص للفرد/مدى انفتاحه على الشأن المجتمعي المحلي والعالمي. * المجال السياسي/ الاجتماعي/ الاتصالي...	- نوع الصورة وعناصرها : صورة فوتوغرافية- رسم - خطاب لفظي- منشور يتضمن صورة مع خطاب لفظي.
- لماذا نشر؟ : الغاية/الغايات	- الإخراج الفني: الألوان- التقنية المستخدمة- الخلفية- الخط المعتمد وحجمه -اللغة.



<p>- مدى النجاح في تحقيق الأهداف: * الكفاءة الاتصالية * القدرة على التأثير والتغيير على المدى القريب والبعيد.</p>	<p>- طريقة صياغة الرسالة: * طريقة التعبير: مباشر - غير مباشر * الأساليب المعتمدة (التأكيد- الاستفهام- التعجب...)</p>
---	--

1.6.4- الصعوبات:

يمكن حصر الصعوبات في أمرين أساسيين:

أولاً، صعوبة دراسة كافة الصفحات وتحليل مضمونها، وهو ما سنحاول تجاوزه باختيار عينة غير احتمالية، أي الاقتصار على المضامين التي تخدم موضوع البحث من حيث إشكاليته وفرضياته والمحاولة قدر الإمكان التحلي بالموضوعية.

ثانياً، صعوبة منح الرمز في شبكة الفاييسبوك دلالة معينة وموحدة، لذلك من المهم الإشارة إلى أن ما سيتم تقديمه خلال عملية تحليل المضمون هو قراءة علمية، لكنها، لا تبلغ حد اليقين على مستوى الدلالات الممنوحة، وإنما هي رؤية من وجهة نظر محددة حسب خطة البحث ومتطلباته، تلتزم بالمنطق العلمي قدر المستطاع، وهذا لا يعني إلغاء احتمالات قراءات أخرى ممكنة، بما أن "الفعل الاجتماعي هو نتاج تناقضات سوسيوولوجية، وهو قابل للقراءة المتنوعة بتنوع القراء وأنواعهم"⁴⁴.

في هذا السياق، لا ننسى أن هناك من بين مستخدمي الفاييسبوك من لا يعلن عن تمثلاته، ولا يعبر من خلال ممارساته عن الدور الذي يريد الاضطلاع به، أي يكتفي بالتصفح والاطلاع دون مشاركة، ولا يمكن أن نعتبر هذا القرار سلبياً، إنما هو وجه من أوجه التفاعل الذي لا يمكن ضبط غاياته بصفة دقيقة.

تتنزل، في هذا الإطار، أهمية الاعتراف بمحدودية أي بحث يرتبط بالإنسان الذي يعسر تقنين ردود فعله وتصورات ورؤاه، فحتى تلك التي يتم التعبير عنها لا تكون ثابتة على الدوام، بل هي في أغلبها متغيرة،

⁴⁴ محمود أحمد عبد الله، "تأويل الفعل الاجتماعي عند بول ريكور. قراءة نقدية"، مجلة إضافات، العدد الثامن، (بيروت، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، خريف 2009)، ص.34.



وهو ما يتطلب، في حقل علوم الاتصال خاصة والعلوم الإنسانية والاجتماعية عامة، محاولة فهم الأسباب والأهداف والغايات، وربط المظاهر والخصوصيات بسياق معين، مع التزام الحياد.

2- مساهمة استخدام الفايسبوك في إثراء العملية الاتصالية

2.0- تمهيد:

شهد الاتصال الافتراضي تبلور العديد من الأساليب من خلال البرمجيات والتطبيقات التي خولت للفرد إنتاج المضامين التي تمثله، مع إمكانية عرض ما تحمله من رسائل، وبذلك لم يعد مجرد متلق مستهلك، إنما أصبح منتجا فاعلا وذلك في إطار رؤية تشاركية تسمح له بالتعبير.

في نفس السياق، نلاحظ أن شبكة الفايسبوك ركزت خاصة على التفاعل كأولوية وغاية، نظرا لأهمية هذه العملية على مستوى العلاقات الاجتماعية، التي يسعى كل فرد إلى ربطها مع الآخرين لتقاسم الأفكار والآراء، مع ما يستوجبه ذلك من التزامات معنوية، ليس مفادها تقييد الحرية وفرض تمثيلات معينة دون أخرى أو الإقصاء من المشاركة أو التهميش، إنما احترام الاختلافات التي لا تشكل تهديدا للمجتمع، إنما تهدف إلى تحقيق التكامل الوظيفي.

ساهمت الأساليب التفاعلية للفايسبوك في إلغاء الحدود افتراضيا بين المجتمعات، و"عدت الثقافة والمواطنة مفتوحتان على الصعيد العالمي"⁴⁵، وهو ما ولد ما يمكن تسميته ب"تدفق الثقافات المختلفة"، وهو ما يعطي دفعا للبحار أكثر للتعرف على قضايا المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد، لكن أيضا في المجتمعات الأخرى، ليدمجها ضمن محاور اهتمامه، فتخرج اهتمامات كل مجتمع من إطارها المحلي الضيق لتغدو مشاغل عالمية.

تحتاج العملية الاتصالية لضمان استمراريتها، بشكل يتلاءم مع المتطلبات المجتمعية وسلامة العلاقات بين الأفراد، إلى احترام جملة من القواعد التي تهدف إلى حسن استغلال الأساليب التفاعلية التي يوفرها

⁴⁵ Alain Bouldoires, "Du monde virtuel au monde réel", Communication et langages, n°123, (Paris, 1er trimestre 2000). p. 115.



الفايسبوك، كي لا يتحول الحق في حرية التعبير إلى فوضى تواصلية، ولا يتمسك كل مستخدم لهذه الشبكة بفرديته حد التطرف، حيث يجب أن "يكون كل فاعل في حالة من الاعتماد المتبادل ويسعى إلى إعطاء الأولوية لمصلحته الشخصية. وذلك بإدخال توقعات الآخرين ضمن استراتيجيته"⁴⁶.

انطلاقاً مما ذكر، يمكن تحديد مساهمة الفايسبوك في إثراء العملية الاتصالية من خلال العناصر الثلاثة التي يبرزها الرسم البياني التالي:

الرسم الباني عدد 1: مساهمة الفايسبوك في إثراء العملية الاتصالية



يستدعي كل عنصر من هذه العناصر تحليلاً عبر رصد المظاهر والوقوف عند الخصوصيات، اعتماداً على استقرار الأساليب التفاعلية للفايسبوك، وتفكيك رمزية المضامين التي نشرها مستخدموه لأغراض اتصالية، وإن اختلفت، فإنها تشترك في الأهداف الثلاثة المتمثلة في توسيع الدائرة الاتصالية وتفعيل الأدوار المجتمعية مع احترام جملة من المبادئ التي تضمن للاتصال نجاعته.

2. 1- ديمقراطية الاتصال:

لعل من بين أكثر الآراء التي نالت تقريبا إجماعاً، واتفقت حولها وجهات نظر الباحثين الذين خاضوا إشكالية المجال الافتراضي بصفة عامة ومواقع التواصل الاجتماعي على وجه الخصوص،

⁴⁶ جيل فيربول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، مصدر سابق، ص. 120.



هي التي أكدت أن هذا المجال، سمح لأغلبية الأفراد، على اختلاف مستوياتهم وانتماءاتهم واتجاهاتهم، المشاركة في عملية الاتصال.

تم منح فرصة التعبير من خلال هذا المنبر للإفصاح عن وجهة النظر التي كان يُحَبِّد الاحتفاظ بها، إما خوفاً من ردود الفعل أو عدم امتلاك الشجاعة الاتصالية الكافية لتقاسم التصورات مع الآخر، وعدم إيجاد الصيغ المناسبة لترجمتها بالشكل المطلوب، أو لعدم التمتع بالحرية التي تخول الإدلاء بالرأي، خاصة إذا تعلق الأمر بأنظمة سياسية استبدادية لا تؤمن بالتعددية، وهو ما مكنت الشبكات الاجتماعية الافتراضية من تجاوزه عبر ما أرسته من أساليب تفاعلية، وفرت خصوصيات جديدة للعملية الاتصالية.

شهد مصطلح الديمقراطية بدوره انفتاحاً على العديد من الميادين بعد أن كان مرتبطاً بصفة رئيسية بالمجال السياسي وركيزة من ركائز المجال العمومي "الهابرماسي"، ليشمل الميادين الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في إطار الدفاع عن الحقوق المجتمعية، والسعي إلى إلغاء الحدود أمام المبادلات التجارية، وتشجيع التلاحق الثقافي بين الحضارات، "فإن مبدأ العلمنة (...). يشكل امتداداً للاعتراف بالحقوق الشخصية اعترافاً يشكل ركيزة الديمقراطية في المجتمع الحديث"⁴⁷،

كشف الحديث عن ديمقراطية الاتصال في المجال الافتراضي حقيقة الفرق بين التصورات الكلاسيكية للديمقراطية في المجال العمومي التي هيمنت وما تزال، وقادها كل من هابرماس (Habermas) وحنه ارندت (Hannah Arendt)، وما أنتجته، في مرحلة لاحقة في إطار سياق تاريخي مخصوص، الدراسات الناقدة لكل من نانسي فرايزر (Nancy Fraser) وألان توران (Alain Touraine) وسوزان جورج (Susan George) ونعوم تشومسكي (Noam Chomsky).

غدت "الديمقراطية العمومية" محل مساءلة، فهي الديمقراطية التي لا تتمتع بها سوى الفئة المثقفة المالكة الوحيدة لحق النقاش حول قضايا المجتمع، وإنتاج "الآراء الرشيدة" التي يتم تبنيها كراي عام تلتزم به بقية الفئات المكونة للمجتمع، في حين ساهمت الشبكات الاجتماعية الرقمية في تكريس أنماط جديدة لتجسيد الديمقراطية، التي تسمح للجميع بالمشاركة في العملية الاتصالية، وتمنح فرصة لإثبات الذات أولاً، وتدعيم الحضور عبر تطويع الأساليب التفاعلية ثانياً بجعلها متاحة للجميع في إطار تكافؤ الفرص.

⁴⁷ محمود عودة، أسس علم الاجتماع، مصدر سابق، ص.275.



سنسعى لتحليل مساهمة الفايسبوك في ديمقراطية الاتصال باستعراض السمات الأساسية للأساليب التفاعلية المتمثلة في وفرة الأساليب وتنوع الخدمات وتعدد الوظائف في مرحلة أولى، ثم ننتقل في مرحلة ثانية إلى التركيز على خاصيتين من خصائص المضامين المنشورة على الفايسبوك، ألا وهما تنوع المواضيع وتعدد الأدوار.

2.1.1 - خصوصيات الأساليب التفاعلية في شبكة الفايسبوك:

2.1.1.1 - وفرة الأساليب وتنوع الخدمات:

أرسى الفايسبوك أساليباً تفاعلية تمكن الفرد من الاستخدام حسب ما يشبع حاجته الاتصالية ويرضي متطلباته، مع إحداث نقلة على مستوى نظرية الاستخدامات والإشباع ذاتها، باعتبار أن المستخدم لا يتمتع بحق الاختيار بين المضامين المعروضة لإشباع رغبته الاتصالية فحسب، إنما أفسح له المجال لإنتاج المضمون، ليغدو فاعلاً في عملية اتصالية ما عادت تقتصر على الإرسال من أطراف معينة لتستقبلها الجماهير أو ترفضها، إنما كل فاعل اجتماعي يدخل طواعية للدائرة الاتصالية لينتج مضامينه الخاصة.



يتضمن الرسم البياني التالي أبرز الأساليب التفاعلية الخاصة بالفايسبوك:

الرسم البياني عدد 2: وفرة أساليب التفاعل وتنوع الخدمات



تنقسم صفحة الفايسبوك إلى عدة أعمدة، تتوسطها المضامين المعروضة والتي تحتل المساحة الأكبر، مع رصف العديد من الأساليب التفاعلية، ليتعرف المستخدم بمجرد دخوله إلى حسابه على عدد المعجبين بمنشور من المنشورات، وأسماء من قاموا بالتعليق، وعدد الدعوات التي أرسلها أشخاص يودون الالتحاق بقائمة أصدقائه، ويكتشف الدعوات التي بلغته للمشاركة في أحداث سيتم تنظيمها ليعلن اهتمامه أو مشاركته، ويرسل بدوره الدعوة إلى الحدث -إذا أراد ذلك- لأصدقائه، إلى جانب الإشعار بعدد الرسائل التي تصل أثناء الإبحار في الشبكة أو تلك التي وصلت بعد إغلاق الحساب.

قد يكون المستخدم هو قائد "الجوقة" التفاعلية من خلال إنتاجه للمضامين، وقد ينضم إلى "مجموعة افتراضية" تعرض مضامينا تتماشى مع اهتماماته، وقد يختار عدم القيادة وعدم الانضمام، ويتنقل بين هذا وذاك أو يلعب الدورين معا، ونستعرض بعض الأمثلة عن أساليب التفاعل في شبكة الفايسبوك، مع محاولة الوقوف عند خصوصيتها وتوضيح رمزيها بشكل تفصيلي.

2.1.1.1- التعبير عن الإعجاب:

تستقبل شبكة الفايسبوك الأفراد الذين يودون الانضمام إليها بصورة من الحجم الكبير لهذا الأسلوب، وهو ما يمكن تفسيره باستغلال رمزيته واعتماده شعارا مع إضافة قلب أحمر دليلا على الترحاب، سواء كان ذلك عند الالتحاق أو التعبير عن انتظار تجدد التواصل عبر الشبكة، فمصممو هذا الشعار يعملون على زيادة ترسيخ استخدامه كأسلوب تفاعلي تعبيرى من شأنه توسيع الحلقة الاتصالية.

يُعد هذا الأسلوب من أبرز الأساليب التفاعلية التي ميزت وما تزال شبكة الفايسبوك، وهو طريقة سهلة وبسيطة للتفاعل مع المنشورات ومنح دلالات المضامين قيمة، كتعبير عن الاطلاع عليها والإفصاح عن ذلك.

قد لا يعني الإعجاب بالضرورة الرضى والقبول التامين، باعتبار أن ردود الفعل البشرية غير محددة التأويل بصفة نهائية، فالإعجاب كأسلوب تفاعل يحتمل العديد من التأويلات الممكنة إلى جانب التأكيد على الحضور التفاعلي، والاهتمام بالمضمون المنشور، فهو قد يتسع دلاليا لترجيحات ذهنية وشعورية عديدة.

قام الفايسبوك باقتراح جملة من التعبيرات التي تندرج في صلب هذا الأسلوب، حيث تم عرض أمثلة عن الانفعالات التي يمكن أن تنتج عند تلقي المستخدم لمضمون منشور معين، يمكنه الاقتصار



على الأسلوب المعهود الذي يعتبر محطة انفعالية أولى ليتجاوز الإعجاب إلى التعبير أن قلبه مال إيجابا لما شمله مضمون ما من رموز فيضغط زر القلب، وقد يثير المنشور ضحكه أو دهشته أو استغرابه أو حزنه أو غضبه أو تعاطفه.

تم رصف هذه الاحتمالات التفاعلية في هيئة وجوه تحمل تعابيرا واضحة وبسيطة قادرة على تبليغ نوع الانفعال الذي انتاب المستخدم، وهي أساليب تبلغ رسالة مباشرة، قد يتم الاكتفاء بها دون الحاجة إلى ركن الإحساس في صيغة كلمات قد تعجز، في بعض الأحيان، عن ترجمة الأحاسيس.

إن هذا الأسلوب، بقدر الحاجة إلى إرساله، ينتظر المستخدم بدوره تلقيه من طرف بقية المستخدمين كرجع صدى على ما ينشره، فهو يمنح للمضمون قيمة اتصالية مضافة، ونوعا من النجاح التفاعلي لرسالة القائم بالاتصال، "ويمكن ملاحظة سلوكيات المستخدمين لشبكات التواصل الاجتماعي، لتبصر مدى حرصهم على جلب اهتمام أكبر عدد ممكن من المتابعين، والحصول على أعلى نسب الإعجاب (like) لما ينشرونه ويبثونه من مضامين"⁴⁸، وهو ما يجعل "رأس مالهم الرمزي"، حسب عبارة بيار بورديو (Pierre Bourdieu)، يتدعم ويكبر.

2.1.1.1.2- التعليق:

يتيح هذا الأسلوب للمستخدم الحق في التعبير عن رأيه بشأن المضامين التي يتم نشرها في الشبكة الافتراضية، وله الحرية من خلال تعليقه أن يؤيد أو يعارض وهو ما يدعم "دمقرطة" الاتصال، كما قد يدفع الفرد إلى التخلي عن حياديته وتشجيعه على المشاركة.

قد لا تكون ردود الفعل حول رأي تضمنه التعليق هي الأكثر أهمية مقارنة باتخاذ قرار التعبير عن الرأي والإدلاء به دون خوف والتخلص من التردد، ليمتلك الفرد نوعا من "الشجاعة" الاتصالية التي تخول له استعراض وجهة نظره، وقد يتضمن التعليق طلب المستخدم من صاحب المنشور مزيدا من التوضيح والاستفسار، ليستجلي ما بقي غامضا بالنسبة إليه، كما قد يتم الاعتماد على أسلوب

⁴⁸ عبد الله الزين الحيدري، "الميديا الاجتماعية: المصانع الجديدة للرأي العام، مركز الجزيرة للدراسات"، دراسات إعلامية، 25 جانفي 2017، ص.6، <http://studies.aljazeera.net/ar/mediastudies/2017/01/170125101407970.html>



"التعليق" لفتح نقاش بين المتفاعلين حول موضوع المنشور، وقد تتوسع حلقة النقاش لتتجاوزها إلى قضية أخرى.

إن الفكرة التي يتم التعبير عنها بصفة عامة من خلال مضمون هذا المنشور أو ذلك، تبقى منقوصة ومجرد وجهة نظر، تعرض الواقع من زاوية معينة، وفي ذلك اعتراف جريء إلى الحاجة إلى مستخدمي الفايسبوك، ودعوة كي يتفاعلوا مع هذه المضامين ووضعتها محل نقاش وجدل للتمكن من بلوغ مرحلة التعاضد الذي يفسح المجال للاختلاف حتى تكون النظرة أكثر شمولية.

2.1.1.1.3- المشاركة:

نجد في نفس الصف التفاعلي، إلى جانب أسلوب الإعجاب والتعليق، زر المشاركة (partager) كخيار ثالث، قد يتم الاكتفاء به وتقاسم مضمون مع الأصدقاء في القائمة فقط، أو بشكل أكثر اتساعاً مع كل من يزور الحساب الشخصي.

توفر "المشاركة" الفرصة للمضمون أن يصل إلى أكبر عدد ممكن من المستخدمين ومنحه انتشاراً قد يبلغ درجة الاكتساح، ولا تعني المشاركة بالضرورة التماثل في الرؤى، فقد يتم تقاسم وجهات النظر المختلفة عن الرؤية الذاتية لمستخدم الفايسبوك.

قد يهدف المستخدم إلى إبراز ما يتبناه الآخرون من أفكار، عبر نشره لمضمون لا تتفق رمزية دلالاته مع وجهة نظره، وهذا التباين يصب في عمق ديمقراطية الاتصال التي تركز على "تكوين ما هو مشترك انطلاقاً من الارتباطات الغير متجانسة"⁴⁹.

2.1.1.1.4- المحاور الفورية:

يسمح هذا الأسلوب للمستخدم بالتواصل مع من يريد، سواء كان أو لم يكن في قائمة أصدقائه، وتوجيه رسائله إليه، ويتم توضيح إذا كان الشخص المراد إبلاغه الرسالة مبحراً في ذلك الحين عبر الشبكة، أو أنه ليس في وضعية تفاعلية مع تحديد المدة الزمنية بكل دقة انطلاقاً من لحظة خروجه من شبكة

⁴⁹ Dominique Cardon, « Vertus démocratiques de l'Internet », ibid. <http://www.laviedesidees.fr/Vertus-democratiques-de-l-Internet.html>



الفايسبوك. يمكن التحكم في هذا الأسلوب واختيار بقاء التفاعل مخفياً، أو إبقاء المحادثة الفورية ممكنة وفعالة لأشخاص دون غيرهم.

مهما كان اختيار الفرد وتوجهاته التعبيرية، نلاحظ إرساء شبكة تفاعلية تستجيب أولاً لحاجة الفرد للتعبير عن أفكاره في أي موضوع يحدده، ثانياً إفساح المجال للتواصل مع الآخر، ثالثاً، إكساب ردود الفعل المراد إبلاغها صيغاً عملية من خلال توفير عدد كبير من الأساليب التفاعلية التي تتميز بتقديمها لخدمات مختلفة، ومن ذلك تنظيم حدث ودعوة الآخرين للانضمام، وهو ما يسمح بتيسير الترتيبات التنظيمية لمرحلة التطبيق على أرض الواقع، وذلك من خلال عملية اتصالية يسهل فيها التفاعل مع أعداد كبيرة من المستخدمين في نفس الوقت.

يمكن أن نستخلص في هذا السياق، أن الفايسبوك منح لكل مستخدم فرصة اتخاذ القرار وتفعيله، إضافة إلى ذلك، إمكانية إنشاء صفحته الخاصة التي يستعرض فيها تمثلاته، ويحاول جلب أكبر عدد ممكن من المستخدمين للانضمام والتفاعل، سواء قاسموه نفس التصورات أو عارضوه، فكلما كانت الصفحة أهلة وقادرة على الاستقطاب، اكتسب صاحبها سلطة رمزية، مع إمكانية الحذف (supprimer) أو التعديل (modifier)، أي أنه يتحكم في مضامينه بالطريقة التي يشاء، وليس هناك تفاعل بصفة نهائية، إنما هو دائماً محل مراجعة.

2. 1. 1. 3- تعدد الوظائف:

تتشترك هذه الوظائف في الأهداف، وهي الدعم والتحفيز وتوفير الأرضية التفاعلية المناسبة التي تكسب العملية الاتصالية دينامية مستمرة.

2. 1. 1. 2- التشجيع على حرية الاختيار واتخاذ القرار:

أ- تفعيل دور الفرد في مرحلة الانضمام:

وضع الفايسبوك استراتيجية تشجع على الدخول في صلب العملية الاتصالية الافتراضية، وذلك من خلال سهولة الانضمام وعدم تعقد التسجيل، يكفي تعمير قائمة البيانات الشخصية بمعطيات حقيقية أو اختيار أخرى إذا كانت هناك رغبة في التستر وعدم الكشف عن ملامح الهوية، فمن حق المستخدم، في هذا العالم



الافتراضي، تقديم نفسه بالطريقة التي يشاء، فقد يكون هو ذاته، وقد يعتمد إلى خلق شخصية مغايرة، ويتقمص الدور الذي يريد، ويعبر عن تمثلاته حسب المنظومة الرمزية المتداولة أو تشكيل شبكته الخاصة ومحاولة الإقناع بعالمه الدلالي.

بالتالي، يتمتع مستخدم الفاييسبوك منذ الخطوة الأولى بالحرية في تقديم شخصه مع الإبقاء على صفاتها الواقعية أو إكسابها ملامح مغايرة، فتولد ذات افتراضية موازية لذاته الملموسة على أرض الواقع، وقد تتزوج الذاتان وتتداخلان.

بعد ذكر البيانات الشخصية، نجد المرحلة المتمثلة في البحث عن الأصدقاء ودعوتهم، وذلك عبر ثلاث عمليات تضم خيارات، ما يمكن ملاحظته في هذا السياق، أهمية هذه المرحلة نظرا للتركيز عليها، وفي ذلك تكريس لأهمية العلاقات على مستوى التفاعل.

لا يكتفي الفاييسبوك بالإرشاد، وإنما يقرن ذلك بالثناء على المستخدم لنجاحه في عملية التسجيل، وتحديد اختياراته، على مستوى الظهور والنشر وغير ذلك فيما يتعلق بالخصوصية، باستخدام عبارات مثل "أحسننت" و "ممتاز"، لتأتي بعد وقت وجيز رسالة تنصدر الشاشة تبلغ الفاعل الاجتماعي أنه غدا عنصرا من عناصر العملية الاتصالية الافتراضية، مع التذكير أن البيانات، سواء كانت الشخصية أو المتعلقة بالخصوصية أو تلك المحددة للخيارات التفاعلية مع المضامين ليست نهائية، ويمكن تعديلها متى أراد المستخدم ذلك بالطريقة التي يراها الأنسب لمتطلباته الاتصالية.⁵⁰

ب- تفعيل دور المستخدم في اختيار المضامين وكيفية التواصل:

يبحث المستخدم عن الصفحات وينضم إليها، ويمكنه أن يشترك فيها (s'abonner)، فتصله المضامين التي تنشرها دون الحاجة إلى إعادة كتابة اسم تلك الصفحة التي يود زيارتها للاطلاع على آخر ما نشرته، ويكفي أن يضغط على زر الإعجاب، ثم قبول تلقي مضامينها، كما يمكنه أن ينضم إليها والاقتصار على ذلك دون أن ترده منشوراتها في صفحته الخاصة، ويبقى تلقي الرسالة رهين إرادته في زيارة الصفحة.

⁵⁰ انظر الوثيقة عدد 1 في الملاحق صفحة 225.



يغدو الحساب الشخصي ثريا بالمنشورات، كلما ارتفع عدد الصفحات التي يتم الانضمام إليها، ويمكن التحكم في طرق استقبال المضامين وتراتبية عرضها (الأحداث المميزة أم الحديثة أولاً)، كما يمكن حجب أو حتى حذف أي منشور من جدار حسابه الفاييسبوكي، أو التعبير عن رفض مضمون معين بالإشارة إليه (signaler)، وفي اختيار هذا الأسلوب التفاعلي إعلام لصاحب الصفحة بشكل خاص وللنضمين عامة، للفت الانتباه لوجهة نظر القائم بهذا التفاعل الذي يعتبر اشتمال المضمون على خلل أو نوع من التهديد.

إن، يشبه الفاييسبوك، بهذه الطريقة، البرلمان حيث يعرض كل مبحر في الشبكة الافتراضية وجهة نظره، وتدار النقاشات التي قد تبلغ درجة التصادم، وإن كان هناك نوع من التقاسم، فهناك المحتفظ وهناك الرفض أيضاً، وهي حيوية تفاعلية ترسخ الديمقراطية التي تشجع الإدلاء بكل الآراء مع التأكيد على احترام سلامة العملية الاتصالية، وتجنب ما يهددها كالانسحاق إلى نشر المضامين التي تدعو للكراهية، وتمس من كرامة وحرمة الآخرين، وهو ما يجعل هذا الأسلوب من التفاعل شبيهاً بناقوس الخطر الذي يتم الضغط عليه كي تستنفر المجموعة، أو المطالبة بنقطة نظام.

يختار المستخدم جمهوره المستهدف الذي يسمح له بالاطلاع على منشوراته، ويحدد جمهوره المستبعد الذي لا تظهر له كل أو بعض مضامين الصفحة باعتبارها مخفية، حيث يتجه نحو خانة الخصوصية، ويدخل البيانات التي تتماشى مع سياسته التفاعلية، ويتثبت منها عبر جملة من الخطوات التفصيلية، وترد في الوثيقة التالية مضامين لتوضيح ما أسلف تحليله:



الوثيقة عدد 2: تفعيل دور المستخدم من خلال حرية الاختيار واتخاذ القرار



قد يتم إدراج اسم مستخدم عند نشر مضمون ما، سواء من طرف أحد الموجودين في قائمة الأصدقاء أو غيرهم إذا كان الحساب الفايسبوكي قابلاً للتصفح من طرف العموم، فذلك إخبار بالصلة التي تربط الشخص أو الأشخاص المدرجة أسماؤهم بالمنتشر، ويمكن للمستخدم القبول بهذه العلاقة التي تم اعتباره طرفاً من أطرافها كما يمكنه الرفض وسحب اسمه.



في هذا الإطار، يتوجه الفايسبوك بعدة رسائل في شكل أسئلة مرفقة باحتمالات تظهر على الشاشة بصفة متلاحقة، تنطلق ب (ماذا تريد أن تفعل؟ / كيف تريد أن تتصرف؟). يلي ذلك توضيح الوضعية وتحديد المضمون (صورة. مقطع فيديو. خطاب لفظي).

قد يكتفي المستخدم باختيار سحب ظهوره دون تبرير، لكن، تخول له الشبكة الافتراضية ذكر الأسباب، سواء تعلق الأمر بتعدي مضمون المنشور على المستخدم أو على صديق من أصدقائه. يستجيب الفايسبوك لطلب مستخدميه في سحب تعيين هويتهم الافتراضية في مضمون من المضامين، مع التأكيد أن هذا المضمون ما زال موجودا، لكنه لا يظهر في صفحة المنسحب أو المطالب بالحب.

يوفر موقع الفايسبوك احتمالا ثان وهو الحظر (bloquer)، ولا يعود بإمكان القائم بإدراج اسم المستخدم في أحد منشوراته أن يفعل ذلك مرة أخرى، ولا يستطيع تنزيل منشور في صفحة هذا المستخدم أو حتى الاطلاع على مضامينها أو التعليق عليها، وذلك بفضل أساليب التحكم في أنماط التلقي والاستقبال والعرض وتحديد الخصوصية.

ج- تفعيل دور المستخدم للتحكم في المضمون الإشهاري:

يخصص الفايسبوك أعمدة للإشهار، وهو أمر يتعلق بالشبكة بشكل رئيسي، لكنها ارتأت أن تشرك فيه المستخدم بطرح سؤال للاستفسار عن مدى تفاعله مع العروض الإشهارية التي تظهر على صفحته، فهي خاصة به ولا يجب إرغامه على تلقي مضامين إشهارية أو استقبالها، وهي لا تشبع حاجاته الاتصالية ولا يتفاعل معها، لذلك يتم استشارته وأخذ وجهة نظره بعين الاعتبار لمعرفة مدى اهتمامه.

يكفي أن يضغط المستخدم على زر يمثل وجها ضاحكا للتعبير على إقباله، أو اختيار الوجه العابس، إذا لم يلق هذا النوع من التسوق إعجابه، كما يمكن التصرف في تراتبية عرض المواد الإشهارية، ومنح الأولوية لتلك التي تعنيه على مستوى العرض، لتليها تلك التي تحظى باهتمام أقل أو حذف الإشهار، حيث يوجد في أعلى كل عرض من الجانب الأيمن علامة قاطع ومقطع التي بمجرد الضغط عليها يغدو مخفيا. إذن، يملك المستخدم أساليب التحكم في المضامين المختلفة، أي المنشورات الذي قد يتم إدراج اسمه فيها وأيضا تلك التي ينشرها الآخرون في صفحته وحتى المضمون الإشهاري.⁵¹

⁵¹ انظر الوثيقة 3 عدد في الملاحق صفحة 226



د- منح الفايسبوك مكانة هامة للمستخدم في إدارة العملية الاتصالية:

يلجأ الفايسبوك إلى عرض رسائله ذات الصيغة التحفيزية التي تخلو من أمر وإجبار، إنما تؤكد للمستخدم أنه طرف أساسي في اتخاذ القرار، حيث يمكنه الرفض كما يمكنه قبول التجربة، وهي تجربة لا تتطلب الكثير من الوقت، بالتالي، فلن يكلف الاطلاع إلا ضغطة زر للانطلاق في كشف ملامح الأسلوب التفاعلي، وقد يستعمله إذا استدعت حاجته الاتصالية ذلك.

في نفس السياق، يقوم الفايسبوك، من حين لآخر، بسبر آراء يتضمن في الغالب سؤالاً واحداً مرفقاً بالإجابات الممكنة المتراوحة بين الإيجاب التام والنسبي والنفى القاطع، وتتوسطهما الإجابة التي لا تميل إلى أي اتجاه، وهو ما يمكن ملاحظته من خلال المضمونين الذين تستعرضهما الوثيقة التالية:

الوثيقة عدد 4: قيام الفايسبوك باستبيان وتشريك المستخدمين في تقييم الشبكة

المضمون الثاني

Êtes-vous d'accord ou pas d'accord avec l'affirmation suivante :
Facebook attache de l'importance à ses utilisateurs.

Tout à fait d'accord

D'accord

Ni d'accord ni pas d'accord

Pas d'accord

Pas du tout d'accord

المضمون الأول

Vérification de la confidentialité



Bonjour Raja !

Nous avons un nouvel outil qui vous aide à vérifier rapidement quelques-uns de vos paramètres de confidentialité pour vous assurer qu'ils sont définis comme vous voulez.

Cela ne devait vous prendre qu'une minute ou deux. Voulez-vous essayer ?

Non, merci

C'est parti !

نستشف التصريح بأهمية رأي كل مستخدم في تقييم الشبكة ونجاعة وظائفها، وكل الآراء ستؤخذ بعين الاعتبار، فإذا تمثل الرأي في الإيجاب والتأييد فسيقع الحفاظ على التمشي مع المضي قدماً نحو تطويره، وإذا تم إبداء عدم الموافقة والرفض سيبحث القائمون على الشبكة عن الأسباب والقيام بدراسة الوضع من زواياه المختلفة، وإذا تم التعبير عن الحياد سنتكثف المحاولات الاتصالية والاقتراحات التفاعلية لإثارة الاهتمام لتفعيل دور المستخدم في العملية الاتصالية الافتراضية، فمن حقه المشاركة في تحديد ملامحها وطرق تقديمها.



2. 3. 1. 1. 2- استراتيجيات المحافظة على دينامية العملية الاتصالية:

أ- حث المستخدم على توسيع دائرة التفاعل العلائقية:

قد تكون الغاية الأساسية للجوء للفرد للتسجيل في هذه الشبكة وامتلاك حساب فيها، هي التواصل مع الأشخاص الذين تربطه بهم علاقات في الواقع الاجتماعي، سواء تجمعهم بهم صلة صداقة أو زمالة أو قرابة، ليسمح الاتصال الافتراضي بتوثيق الروابط الاتصالية المباشرة وتدعيم حيويتها بمنح أشكال أخرى للتعبير تتميز بالتنوع، وإتاحة الفرصة حتى لتلك الانفعالات التي يسعى الأفراد إلى السيطرة عليها أو تجنب إظهارها في الاتصال المباشر.

إذن، يغدو الفايسبوك فضاء يسمح باستمرار العملية الاتصالية التي يديرها الفاعلون الاجتماعيون فيما بينهم حسب سياقاتهم المحددة، ولتسهيل البحث، يدرج المستخدم عنوانه الإلكتروني مع التشجيع الذي تورده هذه الشبكة الافتراضية مؤكدة أن القيام بذلك يسمح بإيجاد عشرين شخصا منضمين إلى الشبكة كمعدل.

لا يقتصر الأمر على العلاقات التي تربط المستخدم بمن يعرفهم، حيث يمكنه إرسال دعوات لأشخاص لا صلة له بهم، وقد يوغل المستخدم في بحثه، ليربط علاقات مع مستخدمين ينتمون إلى مختلف القارات متخطيا بذلك الحدود المكانية والزمنية والعراقيل اللغوية.

تطول قائمة الأصدقاء إلى أن تصل إلى خمسة آلاف شخص، وعند ذلك لا يستطيع إضافة صديق آخر، لكن، ذلك لا يمنع أن يشترك في صفحته (s'abonner)، لتصله المضامين التي يتم نشرها في الصفحة أي أن الشخص، وإن لم يكن ضمن قائمة الأصدقاء، إلا أن العلاقة موجودة والتلقي والإرسال دائبين والتفاعل الافتراضي متاح.

ب- تطوير الأساليب التفاعلية واقتراح أخرى جديدة:

هناك عمل على التطوير والتجديد، بتطوير بعض الأساليب التفاعلية لجعلها أكثر كفاءة في الاضطلاع بالوظيفة الاتصالية، إضافة إلى "التوليد التفاعلي الوظيفي"، أي العمل المتواصل على ابتكار أساليب تفاعلية قد تحل محل أخرى على مستوى الوظيفة، لكنها تتميز عنها بتأديتها بأكثر دقة وحسب التمثل



المطلوب والممارسة المنشودة من طرف المستخدم، أو تتمخض عن الحاجة إلى أسلوب يتكفل بتعبئة فراغ تفاعلي في العملية الاتصالية الافتراضية.

لا يتم ذلك عن طريق مقاربة كلية، وإنما يتم دراسة الأفراد والأخذ بعين الاعتبار لاحتياجات عينة لها متطلبات معينة، لتأتي بعد ذلك مرحلة التطبيق التي يتكفل بها واضعو البرمجيات ومصممو التطبيقات، حيث "وضع باحثون من جامعة غرناطة (l'université de Grenade) برنامجا يسمح بتكييف الشبكة الاجتماعية الفايسبوك لتعدو قابلة للاستخدام من طرف الأشخاص الذين يعانون من إعاقات بصرية"⁵².

ج- السعي إلى تخليد الممارسة الاتصالية للمستخدم:

اقترح الفايسبوك الإبقاء على التواصل مستمرا من خلال المحافظة على صفحة كل مستخدم على قيد التفاعل حتى بعد وفاة صاحبها.

بالتالي، هناك سعي لتخليد العملية الاتصالية التي تحافظ على حيويتها عبر عرض المضامين وتفاعل الآخرين معها، ولا يعيق تواصلها حتى الموت، الذي من المتعارف أنه يقطع الصلة الملموسة بين الميت ومعارفه، باعتبار أنه ما عاد بإمكانه تحقيق التبادل القائم على الإرسال والتلقي، إلا أن وجود الحساب الافتراضي الذي سبق ونشر فيه صاحبه، وارتبط بجملة من العلاقات التي تضمها قائمة أصدقائه الذين بإمكانهم زيارة الصفحة متى شاؤوا، للالتقاء به افتراضيا ونشر رسائلهم التي، وإن لن يتلقاها، إلا أنها ستعرض على من تربطهم علاقة به ويعلقون عليها ويتفاسمونها وتعطيهم دفعا تفاعليا.

يتولى موقع الفايسبوك عملية التذكير بما نشره هذا المستخدم على حسابه، في السنة الفارطة مثلا في يوم محدد من شهر معين، من مضامين، ويتم بذلك إنعاش الذاكرة التفاعلية وتأكيد تواصل حضور صاحب الصفحة في العملية الاتصالية، و"فشل" الموت في استبعاده منها باعتبار أن العلاقات ما زالت قائمة، عبر المضامين التي لا يتم إتلافها أو التنازلي عنها، إنما الإبقاء عليها جاهزة لتضطلع بوظائفها المختلفة،

⁵² Joel Ignasse, "Un logiciel pour adapter Facebook aux non-voyants", *sciences et avenir*, 23-01- 2013 à 12h26, <http://www.sciencesetavenir.fr/high-tech/20130122.OBS6251/un-logiciel-pour-adapter-facebook-aux-non-voyants.html>



"فجميع يمكنهم إذا رغبوا أن يتحصلوا على نوع من الخلود الرقمي. عندما تموت الأنا الواقعية، تواصل الأنا الرقمية التواجد"⁵³.

أرست الشبكة الافتراضية جملة من الأساليب التفاعلية التي أفسحت المجال للمستخدم، من خلال ما تتميز به من خصوصيات، للتواصل بحرية معتمدا على ما تمنحه من خيارات، وهو ما من شأنه دعم سيرورة تتبنى نقلة اتصالية تتميز بالاستمرارية، هذا من جهة ومن جهة أخرى، سنتوقف في المرحلة التحليلية المولية عند خصوصية المضامين المنشورة على الفايسبوك.

2.1.2- خصوصيات المضامين المنشورة على الفايسبوك:

تتنوع المواضيع المطروحة في المضامين التي ينتجها المستخدمون، وتختلف الأدوار التي تلعبها رسائلها الرامية إلى النجاح في إحداث التأثير حتى تكون العملية الاتصالية الافتراضية ذات جدوى، محققة غاياتها في إرساء تفاعل تشاركي.

يضطلع المستخدم بدور محوري في العملية الاتصالية الافتراضية عبر اختيار المنظومة الرمزية لإنتاج المضامين التي يحملها وظيفية التعبير عن وجهة نظر معينة حول موضوع ما أو رأيه في قضية من قضايا واقعه الاجتماعي أو مسائل تتعلق بمجتمعات أخرى.

قد يلجأ الفاعل الاجتماعي إلى الفايسبوك لنشر مضامين تعطي فكرة لبقية المستخدمين عن حالته النفسية سعيا منه لتقاسم ما تولده هذه الحالة، وفي ذلك إقرار علني بالحاجة إلى التفاعل مع الآخر، وإكساب هذه الانفعالات العابرة أهمية بمنحها وزنا تفاعليا.

إن التركيز على الذاتية لإنشاء دعامة عاطفية افتراضية يشجع المستخدم على التوسع شيئا فشيئا، وتحميل مضامينه نبذة عن حياته الشخصية، لتسليط الضوء على بعض الجوانب المرتبطة بماضيه، كنشر صورة له على مقاعد الدراسة أو في رحلة وتذكير أصدقاء طفولته بها، أولئك المنضمين إلى قائمة أصدقائه في الفايسبوك، والكشف للآخرين الذين قد لا تربطه بهم معرفة شخصية عن هذه الجوانب.

⁵³ Doan Bui, "Sur Facebook, les morts continuent d'exister", *Le nouvel observateur*, publié le 02-11-2013 à 17h21m, <http://tempsreel.nouvelobs.com/societe/20131030.OBS3270/sur-facebook-les-morts-continuent-d-exister.html>



قد يستغل الفرد هذا الفضاء الافتراضي المتاح له لتقاسم مضمون يواصل من خلاله حياته الافتراضية اليومية، كأن يرجو لأصدقائه يوماً سعيداً مثلاً، كما قد يخصص منشوره للإفصاح عما ينتظره من أعمال في ذلك اليوم، وقد يكتفي بنشر مضمون إذا استجد حدث ما أو حصلت له واقعة غير معهودة، كما قد يتخذ هذا المجال الافتراضي للتطرق إلى قضايا ترتبط بالشأن العام.

بالتالي، تتسم المضامين في شبكة الفاييسبوك بجملة من الخصوصيات، لعل أهمها حث الفرد على المشاركة في العملية الاتصالية الافتراضية، ليس فقط عن طريق تلقي مضامين الآخرين، إنما توفير الفرصة لتقديم مضمون يحمل بصمة المستخدم الشخصية، حيث بإمكانه الاعتماد على الرموز المتداولة في بلورة رسائله، كما قد يقترح رموزاً ذات دلالات مميزة وجديدة، لإثراء المنظومة الرمزية من ناحية، وإكساب دوره ومساهمته في المجال الافتراضي فائدة من ناحية أخرى.

في نفس السياق، تحدث إريك فان هيبال (Eric Von Hippel) عن ديمقراطية الابتكار⁵⁴، بالتالي، توسع مفهوم التفاعل، فكل مستخدم لشبكة الفاييسبوك هو قائم بالاتصال وله الحق في إنتاج مضامين مبتكرة ونشرها على أوسع نطاق.

⁵⁴ Eric Von Hippel, *Democratizing innovation*, (Massachusetts, MIT Press, 2003), p. 53.



2.1.2. 1- اختلاف الأساليب المعتمدة في طرح المواضيع:

تتضمن الوثيقة التالية بعض المنشورات التي سيتم تحليلها لتوضيح تنوع الأساليب في المضامين المنشورة في شبكة الفاييسبوك:

الوثيقة عدد 5: اختلاف الأساليب المعتمدة في طرح المواضيع



نشير إلى عدم تقيد مستخدمي الفاييسبوك في الخطاب اللفظي الذي تضمنته كل صورة من الصور في الوثيقة بلغة واحدة، فقد تم استخدام الفرنسية والعربية والعامية، كما اختلف نوع الخط بينها إضافة إلى حجمه، والتباين على مستوى التصميم.

إن، يجتهد القائم بالاتصال في إنتاج الرسالة التي تتضمنها الصورة عن طريق اختيار الرموز القادرة على تبليغ المدلول، والتركيز على الإخراج الفني الذي قد لا يحتاج إلى تعقيد، إنما على العكس يميل



إلى التبسيط والاختصار، لتصل الرسالة بالسرعة والدقة المطلوبتين، وتنجح في لفت الانتباه أولاً، والانتقال إلى التفاعل معها في مرحلة ثانية.

يتم طرح المواضيع اعتماداً على عدة أساليب، وذلك على مستوى الألوان كالأبيض والأحمر، إذا كان المستخدم سيخوض شأنًا يتعلق بتونس (المضمون الأول)، لأن لهذين اللونين رمزية واضحة، إضافة إلى الهلال والنجمة الموجودين في العلم التونسي كوشم على الكف الذي يرفع إبهامه علامة على شيء إيجابي، لتتخذ بذلك الرسالة اتجاهها معيناً لدى المتلقي، كما قد تضم الصورة في شبكة الفاييسبوك رسوماً أو صوراً فوتوغرافية، وقد تكتفي أخرى بخطاب لفظي.

تتنوع أساليب الخطاب اللفظي في مضامين الصور، فقد يتم اللجوء إلى أسلوب إخباري تقريرية مباشر، واستخدام ضمير المتكلم لبيان ما يتبناه من رأي شخصي يحتاج نشره على أوسع نطاق، ليحظى بالتفاف أكبر عدد ممكن من المستخدمين، باعتباره يدعو إلى حب الوطن وضرورة حمايته وعدم السماح بتدميره، وهي رسالة لا تخلو من عمق، كما أن مدلولها لا يختلف فيه أفراد المجتمع منطقياً، بما أنه يؤكد على الوطنية التي من المفترض أن يتمتع بها كل فاعل اجتماعي.

يقوم المستخدم بتحميل الصورة وظيفية الاستفهام، الذي قد يكون بسيطاً وقد يكون إنكارياً، مثل "ويني الوطنية؟" (المضمون الثاني)، وهو في نفس الوقت اسم لصفحة، ونجد في الخلفية رسماً يتضمن أشخاصاً يحملون بين أيديهم العلم التونسي وكأنهم محتشدون في مظاهرة أو مجتمعون لتبليغ احتجاجهم، خاصة وأن الاستفهام تكرر مرتين، وهو ما يحصل عادة في مظاهرة تتسم بتكرار الهتافات، وقد يكون ذلك دعوة لمتلقي هذه الرسالة للإجابة عن هذا السؤال وإثبات الاستعداد للتعبير عنها عملياً.

في المضمون الثالث، يتخذ مستخدم الفاييسبوك من يده وسيلة لتبليغ رسالته معتمداً أسلوباً مميزاً، إذ يسخر باطن كفه للكتابة عليه، ويقتصر على عبارة واحدة تتسم بالتشويق ودفع حب الاطلاع مثل "أريد"، حيث تفتح هذه الكلمة باب التساؤل إلى ما تطمح إليه هذه الإرادة، ليلعب كل إصبع من الأصابع دوراً يتكفل بالتوضيح.

تتخلص مطالب المستخدم من التفكير في مصالحها الذاتية الضيقة، لتعبر عن حاجتها لتحقيق مطالب إنسانية (حرية وعزة وتطوير وإنجاز وعدل)، لتكتمل الرسالة بكتابة (أنا عربي) على الذراع، مع اختيار أن يكون تموقعها في الشريان الرئيسي المرتبط بالقلب لتحميلها دلالة أعمق، قد تتمثل في أن الإنسان



تتتمي مضامين هذه الوثيقة إلى نفس الصفحة (صفحة حل مخك. حل عينيك. ومن بعد حل فمك)، وتكمن أهمية هذه الإشارة أن أغلب الصفحات، حتى تلك التي تم إنشاؤها لهدف معين وترتبط بقضية محددة، لا تقتصر على معالجة موضوع دون سواه، إنما يتم التوسع شيئاً فشيئاً لإثراء الصفحة بمواضيع شتى مع السعي للارتباط بالمشاغل الإنسانية بصفة عامة، والقضايا التي ما تزال عالقة، ولم يتم إيجاد حلول جذرية لها.

يتناول **المضمون الأول** وضعية المرأة، في البلدان العربية، وطرح الموضوع بشكل كاريكاتوري، تطول فيه قائمة المحرمات التي تفرضها القواعد الاجتماعية على المرأة مقارنة بقصر قائمة المحرمات الدينية.

في ذلك نقد مباشر للمجتمع، وما يقوم بتركيزه من ضوابط تمنع المرأة من التمتع بحريتها ككائن يتوق إلى التخلص من قيوده، ومن المفروض تمهيد السبل الكفيلة لبلوغ أهدافها عوض سن العوائق التي تشل حركتها وتعمق حيرتها، وهو ما توضحه ملامح المرأة في الرسم.

تم الاعتماد على أسلوب النفي والتأكيد في **المضمون الثاني**، للتطرق إلى موضوع آخر يهم هذه المرة ما تتميز به البلاد التونسية من مواقع طبيعية تبلغ ذات مرتبة الجمال التي تتبوّأها المواقع الطبيعية العالمية المعروفة، والتي يطمح التونسي إلى زيارتها.

تسعى الصورة المعروضة إلى الكشف عن مواطن الجمال المجهولة من طرف التونسي ذاته، وعدم علمه بوجودها يدفعه إلى مقارنة لا تقوم على أسس صحيحة، فهو يقارن بين الجمال الذي تتمتع به البلدان الغربية وبين افتقار بلده لهذا الجمال، في حين أنه موجود إلى درجة تتماثل فيها خصائص الموقعين الطبيعيين الغربي والتونسي، وقد لا يجد مشاهد الصورة فرقا يجعله يميز مكانا بعينه، إذا لم يتم إضافة خطاب لفظي يدرج المعلومة حول الموقع الجغرافي.

في هذا السياق أيضا، هناك نقد غير مباشر فيه تأكيد على ضرورة تغيير النظرة إلى الأشياء وعدم الاكتفاء بالأحكام المسبقة، من خلال السعي إلى تكثيف الرحلات لزيارة المدن التونسية لاكتشاف ما تنتسم به من خصوصيات، وذلك كفيل بالافتخار بما تزخر به من مشاهد طبيعية قد تغني عن تمني السفر، الذي يكون في بعض الحالات صعب التحقق لما يتطلبه من نفقات وإجراءات معقدة.



في الصورة الثالثة، إلى جانب المضمون المميز للصفحة، وهو إشارة الى ضرورة التحكم في العقل وإعماله، تم إيراد جدول يتضمن عمودين يدعم بذلك الأسلوب المعتمد في هذه الصورة ألا وهو المقارنة أيضاً، وهي مباشرة تفصل بين ما يهدد المجتمع وما يخدم سلامة بنيته، بين ما يعرقل الديمقراطية في مختلف الميادين وبين ما يعطيها دفعا لتترسخ أكثر، وتتغلغل كقيمة ثابتة من قيم المجتمع.

لم يقتصر الأمر عند هذا الحد، إنما تم تقديم نتيجة كل نوع من التمثلات والممارسات التي يتبناها الفاعلون الاجتماعيون مع فسح المجال لكل مستخدم من مستخدمي الفايسبوك للاختيار الحر بين أن تكون غايته من الاختلاف الهدم والتشتيت، باعتبار أنه لا يستند إلى الحجة، وبين أن يكون اختلافه فاعلا لإثراء النقاش وتبادل وجهات النظر في كنف الموضوعية، وهو ما من شأنه دعم الروابط، سواء في الواقع الاجتماعي أو في المجال الافتراضي.

نشير في سياق تنوع المواضيع، كخصوصية يتسم بها المضمون التفاعلي في الفايسبوك، أن ما تم عرضه ليس سوى جزء بسيط من الكل المتميز بالوفرة كما، والاختلاف الشامل في جميع المستويات نوعا.

انطلقت شبكة الفايسبوك من رؤية قاعدية متمثلة في بعث موقع للتواصل الاجتماعي، لضمان استمرارية التبادل العلائقي بشكل افتراضي يكمل العملية الاتصالية القائمة على التفاعل المباشر، لتتحول هذه الشبكة شيئا فشيئا إلى مجال لا يستخدمه الأفراد فحسب، وإنما الحكومات والمنظمات والجمعيات ووسائل الإعلام التقليدية التي وجدت في هذا الفضاء "توأما" التفاعلي الافتراضي الذي يكملها، ويساعدها في نشر رسائلها وعرض مواضيعها، لتستعيد مضامينها الصدى الذي بدأ يتضاءل، منذ انطلاق تجذر استخدام الفايسبوك في الممارسة الاتصالية والإعلامية على حد سواء.

يستخدم الفاعل الاجتماعي الفايسبوك لإشباع حاجته المعرفية والتعبيرية، حيث يتمكن من الاطلاع على نفس الموضوع من زواياه المختلفة، حسب رؤى قد تبلغ درجة التباين والتناقض، مع إتاحة الفرصة أن يضيف وجهة نظره في الموضوع، ويناقش ويعرب عن موافقته أو رفضه.

من جهة أخرى، يحتل اليومي مكانة هامة في مواضيع المضامين المنشورة، لتكتسب الديمقراطية بعدا جديدا، حيث يعقد الفرد علاقة جديدة مع ذاته بالأساس ومنح تصورات أكثر التصاقا بحياته الخاصة حقها في الظهور، بل وقد يذهب إلى أبعد من ذلك عبر السماح للأفكار المتراكمة في لاوعيه بالتجلي، والتعبير عن المطامح التي يسعى الوعي إلى التستر عنها واستبعادها إلى درجة الإقصاء.



تشمل ديمقراطية الاتصال مستويات من العلاقات ألا وهي علاقة الفرد بذاته وعلاقته مع الآخر وعلاقته بالمجتمع وعلاقته بالعالم بأسره، إذن، هناك شمولية في الرؤية، وهناك تلك الحيوية التي تتضمن المواجهة بين الأضداد والموافقة النسبية والتصادم والتكامل والتنافر والبحث الدائم، وهو ما يجعل العملية الاتصالية تعيش على وقع نقلات متواصلة.

3.2.1.2- تنوع الأدوار:

استغل الفاعل الاجتماعي الفاييسبوك كـمجال للتعبير والمناقشة وعرض مستجدات الفضاء العمومي، وكشف الجوانب المجهولة أو التي يتم السعي لإخفائها، ما يساهم في ديمقراطية "الفعل الاتصالي"، كما سماه هابرماس (Habermas)، وهو ما جعل المضامين التي يتم إنتاجها تضطلع بأدوار متنوعة، ويستعرض الرسم البياني التالي أبرزها:

الرسم البياني عدد 3: تنوع الأدوار التي يضطلع بها المضمون التفاعلي الافتراضي



3.2.1.2.1- دور توعوي / تحسيسي:

تزامن هذا الدور مع ظرفية معينة ألا وهي الانتخابات التونسية، حيث تم اتخاذ الفاييسبوك منبرا مفتوحا للتشجيع على التصويت، باعتباره يرسخ الديمقراطية التي يطمح كل فرد إلى تحقيقها، لما تحمله من أبعاد ترسخ الرؤية التشاركية والمساهمة في تفعيل التمثلات عبر الممارسة.



تعددت المضامين المرتبطة بالحدث الانتخابي، والمشجعة، من خلال الأساليب المعتمدة والرسائل الموجهة، على عدم التفريط في هذا الحق وما يكتسبه من أهمية بالغة على المستوى الفردي والجماعي.

بالتالي، لم تعد هناك قضايا يحتكرها المجال العمومي باعتبار أن مستخدمي شبكة الفاييسبوك يتطرقون إلى جميع مشاغل واقعهم الاجتماعي، ويمكن ملاحظة أن الالتفاف حول قضية ما يتدعم، كلما تعلق الأمر بغايات ترتبط بالمصلحة العامة وبتماسك البنية الاجتماعية، ورفض الذات الإنسانية للظلم بجميع مظاهره.

تتضمن الوثيقة التالية بعض المضامين التي سيتم الوقوف عند الآليات التعبيرية التي ارتكزت عليها، ورمزية رسائلها لتلعب دورا توعويا تحسيسيا:

الوثيقة عدد 7: اضطلاع المنشورات على الفاييسبوك بدور توعوي / تحسيسى

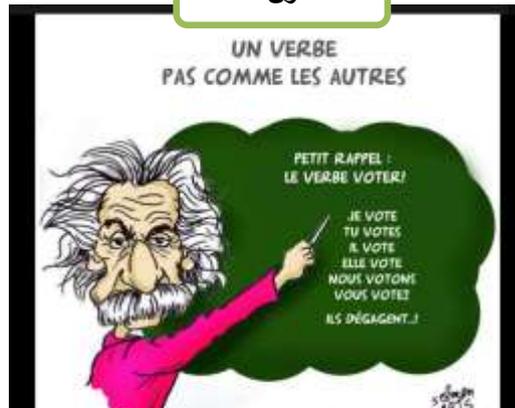
المضمون الثاني



المضمون الأول



المضمون الثالث



تم اختيار صور تستند على أسلوب الكاريكاتور الذي يتسم ببساطته، إذ نلاحظ أن الرسمين الكاريكاتوريين الأول والثاني خاصة المأخوذين من صفحة (erevolution) لا يحتويان إلا على بعض الخطوط البسيطة التي شكلت في الرسم الأول الشخصية المميزة لهذه الصفحة ذات الابتسامة العريضة والتي يتم توجيه الرسائل من خلالها، ونرصد في الرسم الثاني يدا وصندوق الانتخابات.

تم ترك القلم كإشارة معلنة على أن إنتاج المضامين، ونشرها للمساهمة في العملية الاتصالية الدائرة في الفايسبوك لا يحتاج تقنيات معقدة أو خبرة في استخدام البرمجيات المختصة في تصميم الصورة وتعديلها وإدخال التغييرات عليها، فالمهم هو الفعل التواصل الذي لا يتطلب من صاحبه إلا الوضوح ليبلغ مراده، ولتحقق عملية التبادل التفاعلي مع الآخر.

لا يعد التعويل على الأسلوب الكاريكاتوري اختياراً يحيد عن الموضوعية التي يتطلبها تشخيص القضية وعرضها، إنما على العكس، يعطي المضمون فرصة أكبر حتى يطلع عليه الآخرون، فقد يبتعد البعض عن تلك المنشورات التي يطول فيها الخطاب اللفظي والتي تتطلب وقتاً أطول، سواء في القراءة أو في تأويل رموزها وفهم معانيها.

يستبطن الأسلوب الساخر الجدية، ويتميز خطابه بالمباشرة، ونجد ذلك مثلاً في عبارة (vote) في المضمون الأول وهو فعل أمر لا يكشف بصفة سافرة عن الإلزامية وفرض توجه معين قد ينفر المتلقي.

أوكلت مهمة الإقناع إلى حرف من حروفه الذي احتوى العلم التونسي بنجمته وهلاله، لتغدو دعوة الانتخاب موجهة من طرف الوطن، وهو ما يستدعي تلبية طلبه انطلاقاً من نداء الواجب، وفي تفعيل الانتماء مصلحة البلاد، لكن أيضاً مصلحة الفرد لتأكيد المشاركة والاضطلاع بدور في رسم سياساته واختيار توجهاته.

يؤكد الخطاب اللفظي الذي يشتمل عليه الرسم الكاريكاتوري على تجسيد الممارسة الديمقراطية بواسطة عملية الانتخاب، ولا يتقيد بتوجه سياسي معين، وإنما هو مسؤول على حث الفاعلين الاجتماعيين بأسلوب تهديدي ساخر (انتخب إلي يجي لا نجيك) على عدم التفريط في حق تقرير المصير، فالمهم هو التمرن على المساهمة لاستعادة الحق في الممارسة الديمقراطية.



يتواصل هذا "التهديد" الذي تضمنته الرسالة في **المضمون الثاني**، لكن ليس بصفة ساخرة، إنما بجديّة واضحة، عبر عنها الرسم الذي كشف بشكل بسيط، من خلال اليد التي تحمل أوراقاً نقدية، أن التصويت ليس نابعا عن اختيار، إنما تم ترويض حرية صاحبها وشراء صوته بالمال، أي رشوته لينتخب شخصا معينا، وقد تُنتهز فرصة غياب الفرد لاستخدام اسمه دون علمه أو رضاه، وكأنه قام بعملية التصويت، والحال أنه لم يشارك أصلا الديمقراطية.

تشجع هذه الرسالة التوعوية والتحسيسية المختصرة والواضحة (صوت وإلا سيصوتون في مكانك) الفاعلين الاجتماعيين على الخروج عن حياديتهم التي قد تكون لها آثار سلبية على المجتمع بأكمله، في حين أن تفعيل الدور من شأنه الوقوف في وجه الاختلالات والممارسات التي تعوق الديمقراطية.

يمنح **المضمون الثالث** فعل التصويت تفردا عن بقية الأفعال العادية من حيث التصريف، وتم الاعتماد على شخصية علمية بارزة معروفة، ألا وهي اينشتاين (Einstein) المتميز بقانون نسبتيته الذي قام بتطبيقه أيضا، وهو يمنح هذا الدرس المجاني المفتوح للعموم لتعلم الديمقراطية والاستفادة منها.

تتكفل ضمائر المفرد والمثنى والجمع الحاضر بفعل الانتخاب الذي يوحدهم على اختلافهم لتكون النتيجة تصريف الجمع الغائب (هم) بالاستبعاد، باعتبار أن الممارسة الانتخابية ستمكن من استرجاع الحق في تقرير المصير وتسيير الشؤون وفق رؤية ترفض الاستبداد الذي اتسم به ضمير الجمع الغائب الذين اقتصر تفكيرهم في مصالحهم وتجاهل مصالح بقية الضمائر.

أكدت الرسالة التي وجهها الرسم الكاريكاتوري أن الفرصة متاحة للأخذ بزمام الأمور وتجسيد الفعل واحتلال دور الفاعل لا المفعول به، فتقلب الأمور لصالح الضمائر الباحثة عن التحرر، وهو ما يجعل الممارسة الانتخابية ضرورة لإنقاذ الديمقراطية والحرية والحق في المشاركة في الشأن العام.

2.3.2.1.2 - دور تثقيفي:

نستشف من خلال المضامين المنشورة في الفايسبوك نوعا من الوعي الجمعي الذي يعترف أن التغيير مستمر والثورة وما حققته ليس إلا لبنة أولى في البناء الديمقراطي، ويجب على الجميع المساهمة في تشييده، وهو ما دفع بعض القائمين بالاتصال إلى تحمل مسؤولية تثقيفية بالعودة إلى المراجع للاستشهاد بما توصل إليه كبار المفكرين في قضايا مصير الإنسان والمجتمعات، وضرورة تزامن قيام

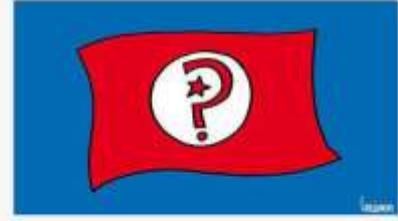


ثورة في حقل معين بثورة فكرية، بما أن الأفكار هي القدرة على تشخيص الأوضاع الراهنة، وتحليلها لرسم الخطط الكفيلة بتجاوز العراقيل وبلوغ الغايات المنشودة.

تتضمن الوثيقة التالية منشورات جمعت بين الصورة والخطاب اللفظي لتوجه رسائل ذات صبغة تنقيفية:

الوثيقة عدد 8: اضطلاع المنشورات على الفايسبوك بدور تنقيفي

المضمون الأول



المضمون الثاني



المضمون الثالث



إن كل ثورة تطرح بعد قيامها مجموعة من التساؤلات النابعة من خصوصيات المرحلة ذاتها، والمعطيات التي سيتم على أساسها مواجهة المراحل التي ستليها، فالثورة ليست مرادفاً لحلول جذرية، بل هي قطيعة لا تهدم ما سبقها كلياً، إنما تحافظ على نتائج التجارب كخبرة، وتعتمد عليها كأساس للتجاوز، لتتخلى عن كل ما من شأنه إعاقة تحقيق الغايات الإنسانية.

عبرت الصورة الأولى عن الحيرة، موردة العلم الذي يتمتع بالحرية الكاملة مرفرفاً في السماء، إلا أن هلاله تحول إلى علامة استفهام حول المصير والمستقبل وما يجب فعله لتحقيق تغير فعلي، وقد يعني هذا التساؤل ببساطة أشد: ماذا يعني الوطن؟، ماهي الخطوات التي يتوجب على أفراد الوطن القيام به من أجل المستقبل، وبماذا عليهم التسلح للمضي قدماً نحو أهدافهم التي لم تتجسد بعد؟

هذه الحيرة علامة صحية باعتبار أن هناك اعتراف بالحاجة إلى فهم المعطيات الجديدة للمعادلة الديمقراطية، وهي حيرة تبحث عن إجابة، وتستعرض ملامح ممكنة عنها بإيراد خطاب لفظي يتضمن



أقوالا تخدم السياق التثقيفي، مقدمة لمستخدم الفايسبوك، الزائر لهذه الصفحة والمطلع على منشورها، طبقا معرفيا يتشكل من أصناف عدة، تتكون من أفكار ولدها فلاسفة وأدباء، لطالما دفعوا شعوبهم للتحرر من القيود، وعاشوا تجربة الثورة (الثورة الفرنسية مثلا وعصر الأنوار..)، وكتبوا عنها، واضطلعت مؤلفاتهم بدور المرشد إلى المسؤوليات التي يجب تحملها لتجاوز التهديدات التي تنعكس على جميع عناصر المجتمع.

يتم التأكيد، مرة أخرى، على أهمية الفعل كمحفز مع الاعتراف بالاختلاف الكامن بين الأفراد الذي لا يعتبر عائقا، إنما على العكس، يجب أن تتحد وجهات النظر المتباينة، فالاختلاف القائم على الاحترام هو الركيزة الديمقراطية التي ستتحقق على أساسها النقلة المرجوة.

يرصد **المضمون الثاني** شخصا يبذل مجهودا لإبعاد الصخور التي تعوقه على مواصلة دربه نحو غايته التي ما تزال حسب الصورة بعيدة المنال، وفي ذلك تجسيد للتونسي الذي قام بثورة لم تحقق بعد هدفه ألا وهو الديمقراطية، إنما أرشدته فحسب إلى السبيل الذي يجب أن يسلكه، وتجشم أعباء هذه الرحلة المليئة بالعراقيل (الفقر، البطالة، الأنانية، الجهل، التعصب) للوصول إلى المبتغى الذي تم تمثيله بشمس مشرقة تبرز في آخر الطريق.

نرى في نفس هذا الدرب فاعلا اجتماعيا آخر يزيح بدوره صخرة الفساد، وفي ذلك تعبير عن ضرورة تحمل كل فرد أو مجموعة مسؤولية إزاحة عائق من العوائق، باعتبار أن شخصا واحدا غير قادر بمفرده على تخليص الدرب منها، فهي مهمة مشتركة بما أن المأرب ذاته الذي يطمح إليه الفاعلون الاجتماعيون.

اتسمت الرسالة التي حملها المضمون، عبر رموزه البسيطة ظاهريا والعميقة في مدلولاتها الباطنية، بالموضوعية من حيث التزام المنطق من خلال تصوير الواقع كما هو، بما فيه من مشاكل تتفاوت من حيث درجة الصعوبة في حلها وتجاوزها، وذلك ما يمكن استنباطه عبر اختلاف حجم الصخور، بالتالي، لم يتم اللجوء إلى التزييف بالباس المجتمع قناعا يخفي عيوبها تغلغت في بنيته، في كافة المجالات، وبرزت مظاهرها وتبعاتها بشكل جلي.

إن بلوغ الغاية لا يتحقق بسهولة، وقد يمني الفاعلون الاجتماعيون بالهزيمة بتدحرج الصخور من جديد، لذلك تبقى إمكانية التحقق مقترنة بالوعي، وهو ما دعمه **مضمون الصورة الثالثة** التي رافقها خطاب لفظي لفيلسوف ومفكر، لتغدو البرهنة بأرائه حجة بليغة يتم اعتمادها للإقناع، فإلى جانب خلفية الرأس الموشومة



بكلمة "الوعي"، وهو إخراج فني فيه تأكيد على الأهمية التي يتحلى بها الوعي البشري في ضبط جميع تمفصلات حياة الإنسان، ابتداء من تصوراته حول نفسه وتمثله للآخر وكيفية تعامله مع مجريات واقعه.

يجب أن يحضر هذا الوعي بصفة دائمة كأنه موشوم في الأفكار والممارسات، ويخول للفاعل الاجتماعي رفض الأفكار الرجعية التي تحولت إلى عبء وعائق، ليقتراح رأياً آخر يتماشى مع خصوصيات واقعه الاجتماعي الذي يشهد تغيرات، ولن يتحقق ذلك إلا إذا تسلح بذهن يقظ وخصب، لتشمل الثورة جميع المستويات، ولعل أهمها ثورة فكرية، سيتم على أساسها امتلاك القدرة على التحليل والنقد والنقاش وتقديم الاقتراحات واحترام الاختلاف وتثمينه كقيمة ديمقراطية.

لا يقتصر الأمر على تقديم الأفكار النظرية، إنما تزداد الحاجة إلحاحاً إلى اقتراح خطوات عملية، وهو تم التعبير عنه من خلال المضمون في الوثيقة التالية:

الوثيقة عدد 9: الوعي بأهمية التطبيق على أرض الواقع وعدم الاكتفاء بالتظهير



تمثل المنشور في رسم كاريكاتوري، ارتكز على أساليب المبالغة والتضخيم، حيث نرى أوراقا مكدسة على الطاولة، وبالكاد يظهر وجه الشخصية – الرجل من ورائها، وإذا استمر عدد هذه الملفات، التي ترمز إلى النظريات والاقتراحات والخطط التي لم تطبق بعد، فستحجبه تماماً، وتتحول بدورها إلى مشكل، وهي التي من المفترض أن تلعب دور المرشد عن طريق ما تتضمنه من معطيات ومقاربات واستراتيجيات.



تظهر الحاجة الملحة للانتقال إلى التطبيق باعتباره العنصر الذي يتكامل مع التنظير، ويمنحه الأبعاد العملية التي تحولته إلى وقائع ملموسة، فالإقتصار على الاضطلاع بدور التثقيف عبر النشر المكثف للمضامين القائمة على الأفكار، سواء كانت العلمية أو الفكرية أو الفلسفية، في أي مجال من المجالات، لا يوفر للمستخدمين سلاحا ناجعا لمواجهة الأزمات التي قد يشهدها واقعهم الاجتماعي.

إن، هناك دعوة صريحة من خلال الخطاب اللفظي الذي جاء على لسان الشخصية المجهدة العينين نتيجة الاطلاع على النظريات، إلى إيجاد حل لمشكلة فرضت نفسها، تتعلق بكيفية الانتقال من التنظير إلى التطبيق حتى لا يكتفي مستخدم الفايسبوك بالاطلاع والتلقي والتخزين، فالمجهود المعرفي لا يكتمل إلا من خلال إرساء الأسس العملية، فهي ركيزة جوهرية للإقناع بالجدوى والنجاعة.

2.1.2.3- دور نقدي:

حملت بعض منشورات الفايسبوك بعدا نقديا لإبلاغ رسالة الفاعل الاجتماعي، في المجال العمومي، الذي يحتج على أوضاع لم تشهد تحسنا ملحوظا، ولم تنم الاستجابة لتطلعاته، أو للإشارة إلى وجود أزمة سياسية ناجمة عن غياب العمل المشترك من أجل الصالح العام والإقتصار على خدمة المصالح الذاتية، وهو ما يمكن ملاحظته من خلال المضمونين في الوثيقة التالية:

الوثيقة عدد 10: تحميل مستخدمي الفايسبوك بعدا نقديا للمضامين

المضمون الثاني



المضمون الأول



لعل من أبرز مظاهر ديمقراطية الاتصال هو التكامل بين المجالين العمومي والافتراضي، حيث غدا بإمكان الفاعل الاجتماعي نقل جميع التحركات والاحتجاجات التي تعلو فيها الأصوات بالهتافات، وترفع الأيدي اللافتات التي تختلف مضامينها وطرقها الأسلوبية في توجيه الرسائل.

يتم توثيق جميع التفاصيل عبر مقاطع الفيديو أو الصور الفوتوغرافية ونشرها في الفايسبوك بصفة مباشرة وتقاسمها، وهو ما يمنح الرسالة سمات الأنوية والقرب والوضوح، وتجعل الفرد حاضرا وموakبا للأحداث مهما كان موقعه الجغرافي.

ينقل المضمون الأول صورة تم التقاطها من مظاهرة خرج فيها المواطنون في تونس للتعبير عن احتجاجهم على عدم تحقيق السياسيين للوعود المتعلقة بتحسين الأوضاع الاجتماعية، واتهامهم من خلال الخطاب اللفظي الذي تضمنته اللافتة التي يحملها الطفل المشارك في المظاهرة، وجعل الكلمة بارزة (نسبته) بكتابتها باللون الأحمر خلافا لبقية الكلمات المكتوبة بالأسود، وعادة ما يشير الأحمر إلى ضرورة التوقف (الإشارة الضوئية الحمراء) تنبيهها للخطر.

تم الاعتماد على اللهجة العامية، وهي الأقرب إلى التونسيين، حتى تبلغ الرسالة أربها، إضافة إلى الاشتغال على الإيقاع الذي أكسب الخطاب جرسا موسيقيا من خلال السجع (الكراسي. يقاسي. ياساسي)، وهو ما تتميز به الشعارات حتى تجذب الانتباه، مكثفية ببعض العبارات التي يتم تحمل رسائل عميقة المدلول سهلة التأويل، وتعلق في الذاكرة نتيجة بساطتها واختصارها وكلامها الموزون.

اضطلعت الصورة بوظيفة نقدية موجهة إلى أشخاص معينين، ألا وهم الساسة وأصحاب القرار، الذين تم انتمائهم من طرف شعبهم للنهوض بالأوضاع التي تشكو ترديا وإيجاد حلول للأزمات كالبطالة والفقر، إلا أن هذا الفرد (الزوالي)، وتشير هذه العبارة إلى شخص يشكو وضعاً اقتصادياً صعباً، لم تعرف حالته تحسناً يذكر، إنما يلقي عناء في معيشته إلى درجة تسول (يساسي) احتياجاته الأساسية كلقمة العيش، بالتالي، هو اتهام بالخيانة التي نجمت عن النسيان أو التناسي وتجاهل المطالب الشعبية بعد الحصول على المراكز (الكراسي).

يعبر حمل الطفل للافتة على مدلولين: أولاً، تذكير أولئك اللذين في مراكز القرار بالمسؤولية المناطة على عاتقهم تجاه هذا الجيل ووجوب توفير أرضية ملائمة لاحتضانه، في صلب مجتمع يسعى إلى الارتقاء. ثانياً، إن الفاعلين الاجتماعيين الذين قاموا بثورة استرجعوا حقهم في تقرير المصير،



وإذا شهدوا ظلما أو فسادا أو غير ذلك من الإخلالات التي تؤثر سلبا، هم على استعداد للخروج من جديد من أجل الاحتجاج، وأن جيلا ثائرا يخلفهم، جيلا توفرت له جميع السبل للتعبير بحرية، وما عاد من الممكن سلبها منه، لأنه جيل لا يقتصر على احتجاج كل فرد على حدة، إنما يتم الاستناد على واجهة افتراضية، ألا وهي شبكة الفاييسبوك، فتتوطد علاقة الاستلهاًم والتكامل بين العمومي والافتراضي.

يوجه **المضمون الثاني** رسالة تؤكد ضرورة الانتباه حتى لا يُساء فهم الممارسة الديمقراطية، فالحق في التعبير لدعم وجهة نظر لا يعني رفض وجهات النظر المختلفة والتمسك بالرأي دون الدخول في نقاش يركز على المحاجة من أجل إيجاد الأراضية المشتركة، وتوليد رأي يخدم المصلحة العامة خاصة في وضعية زمنية تحتاج إلى توثيق الروابط الاجتماعية في سبيل التعايش السلمي، وتحقيقا لأهداف الثورة وعدم تجاهل مبادئها التي تم تخليدها عن طريق الشعارات التي كتبت على الجدران.

تبقى دائرة العلم فارغة بيضاء، وهو ما يشكل تهديدا حقيقيا، باعتبار أن افتقار العلم، الذي يمثل الوحدة، لرموزه الأساسية يعني حاضرا مبهما ومستقبلا مفقودا، بما أنه تم الإقرار بالانشطار بين علماني يكون من نصيبه النجم ومنتمي إلى تيار إسلامي يستولي على الهلال.

لن تبوء المجهودات بالنجاح في الإثراء والارتقاء على أي مستوى من المستويات إلا عبر التفاعل مع الآخر لتبادل وجهات النظر، لا لتكون الغلبة لرأي مجموعة ذات اتجاه محدد، إنما للاتفاق حول خطة عمل تستجيب لمتطلبات تحقيق الكرامة التي نسبت إليها الثورة، وضمانا لسلامة المجتمع من الانهيار فالاندثار (تحيا تونس)، والتفكير في الطبقة الكادحة التي يجب أن تتحسن وضعيتها ولا تبقى مهمشة (محمد البوعزيزي)، ورفض الاستبداد بمختلف أنواعه مهما كانت أطرافه، فبعد المطالبة بتغيير النظام السياسي الذي لا يعترف بالديمقراطية (Ben Ali dégage)، يجب عدم الانسياق لاستبداد من نوع جديد.

لا تقتصر الوظيفة النقدية للمنشورات على مجال واحد أو ميدان معين، إنما يتطرق المستخدم إلى جميع المواضيع المطروحة بشكل يومي والتي تتمحور في جوهر مشاغل حاضره، ويسعى أن يكون نقده بناء، فينشر المضامين التي تتسم بالعمق الرمزي، حتى تحدث الرسائل تأثيرا ينتج عنه محاولات لتحسين أو تعديل الوضع أو نبذ ممارسة لتبني أخرى تخدم المجتمع بأسلوب موضوعي يخاطب العقل.



2.1.2.3.4- دور إعلامي / إخباري:

حقق المجال الافتراضي نقلة على مستوى إنتاج وتبادل المعلومة ورصد الأخبار وتتبع المستجدات، سواء على الساحة الوطنية أو العالمية وعلى مستوى النشر والتفاعل مع الأحداث، وهي نقلة شملت جميع مكونات العملية الإخبارية، وخاصة الفرد الذي لم يعد يكتفي بالتلقي والاستقبال والتزود بأخر المستجدات عبر القنوات الإعلامية التقليدية. لكنه، تكفل بمهمة الصحفي والمراسل والمصور وغيرها من المهام التي تحررت من نطاقها المهني، الذي يستجيب لجملة من القواعد ويتقيد بضوابط محددة، سواء كان على مستوى الكتابة الصحفية بأنواعها المختلفة أو التصوير الفوتوغرافي الذي يحتاج درجة وقدرة على اختيار الزاوية حسب الموضوع. لم تعد هذه المهام حكرا على أهل الاختصاص، فكل فرد يمكنه رصد الخبر وتوثيق الأحداث عبر الكاميرا التي في هاتفه المحمول، والقيام بنشرها مع إضافة تعليق باستخدام اللغة التي يشاء، عبر حسابه في الفاييسبوك، ليمتلك بذلك قنواته الإعلامية الخاصة به، التي ينزل فيها مضامين تناسب توجهاته دون إملاءات أو رقابة أو اضطراب للالتزام بالخط التحريري.

بالتالي، أشرع المجال لصناعة الخبر بطرق تحمل بصمة المستخدم للتقنيات الاتصالية الحديثة، وهو ما يجعل المضمون مميذا أسلوبيا وتمثلا، فيشد الانتباه نظرا لخروجه عن المتداول والمعهود من القوالب الإخبارية الكلاسيكية، مقدما إضافة، ومركزا على تفصيل قد تعتمد الوسائل الإعلامية تحاشي تسليط الضوء عليه يسعى هذا النوع من الإعلام إلى ديمقراطية الاتصال بتشجيع الفاعل الاجتماعي للانضمام والتعبير، وهو ما أكد عليه الخطاب اللفظي في المضمون الأول (فسح المجال لطرح آرائكم ونقل صدى الشارع) في الوثيقة التالية:

الوثيقة عدد 11: اضطلاع المنشورات على الفاييسبوك بدور إعلامي



المضمون الثاني

المضمون الأول



الرأي العام التونسي - l'opinion publique tunisienne

الرأي العام التونسي صفحة لاتخاذ لإلا للحق وتبين الرأي العام التونسي، هدفها فسح المجال لطرح آرائكم ونقل صدق الشارع بكل أمانة وموضوعية، صفحة حرة لا يتم فيها إستيعابك بسبب توجهاتك أو اختلافك في الرأي، انضموا إلينا و ادعوا أصدقائكم عبر هذا الرابط، شكرا جزيلاً

<https://www.facebook.com/caosboy>
 Page 1 2023

المرفقة بالصور وتنتشر التحقيقات، كما تتخذها وسيلة لإعلام مستخدمي الفايسبوك بمواعيد برامجها الحوارية لتشجيعهم على المتابعة.

ينطبق الأمر على أغلبية وسائل الإعلام الكلاسيكية، سعياً إلى استقطاب الأفراد الذين غدوا يميلون أكثر فأكثر إلى التزود بالأخبار عبر شبكة الفايسبوك، نظراً لما تتسم به العملية من مرونة وعدم التقيد بوقت معين لمشاهدة نشرة الأخبار التي قد لا يودون متابعتها كاملة نظراً لاهتمامهم بمواضيع دون غيرها.

ننتقل بعد ذلك لتحليل البعد الثاني من أبعاد مساهمة استخدام الشبكة الافتراضية في إثراء العملية الاتصالية، والذي يتمثل أساساً في **عولمة القضايا الاجتماعية**، باعتبار أن موقع الفايسبوك جسد العبارة الماكلوهانية، وغدا العالم شبيهاً بقرية كونية لا يشكل فيها الزمان أو المكان أو اللغة أو الانتماء عائق، وأصبح فضاء عابراً للأوطان والقوميات كما ذهبنا إلى ذلك الفيلسوفة نانسي فرايزر (Nancy Fraser).

2.2- عولمة القضايا الاجتماعية: المساهمة في إرساء اتصال عابر للحدود والأوطان:

لا يعتبر مصطلح العولمة (mondialisation) من المصطلحات الجديدة، فقد كثر استخدامه إلى درجة غدا فيها معهوداً، خاصة إذا تعلق الأمر بالسعي إلى تحرير التبادل التجاري العالمي من كل العراقيل، ليتحول العالم بأسره إلى "سوق مفتوحة" لا تعترف إلا بمبدأ المنافسة غير المشروطة.

في هذا الإطار، يمكن القول أن العولمة أصبحت حاجة أكثر إلحاحاً، وضرورة لا يمكن الاستغناء عنها لبلوغ الغايات الإنسانية الطامحة إلى الاعتراف بالآخر، عن طريق التعمق في التعرف عليه والاتحاد معه لخدمة القضايا المشتركة.

وفرت الأساليب التفاعلية للفايسبوك الفرصة لتحقيق المستخدم نقلة اتصالية، ينطلق فيها مما هو شخصي لينفتح على عوالم أخرى، "يعولم" علاقاته وتمثلاته وممارساته، ويتحول الشاغل الذاتي إلى شاغل جماعي، فتتدعم القدرة على مجابهة الأزمات، خاصة منها تلك التي خرجت من سياق مجتمعي واحد وانتشرت في المجتمعات الأخرى، وليس هناك مثال أبرز من استفحال العنف الاجتماعي،



من خلال ما تم تسميته بالإرهاب الناتج عن عدة عوامل، وتجاوز مرحلة الظاهرة إلى طور المشكل الحقيقي الذي ينعكس على الفاعلين الاجتماعيين وعلى بنى المجتمع بما أنه يهدد جميع المجالات. إذن، اتسعت الدائرة الاتصالية لتنتفح على العالم بأسره، ليتحول الآخر المجهول والمختلف إلى طرف استراتيجي لا يمكن الاستغناء عنه، بما أن المصير الإنساني مشترك، وما يهدد مجتمعا ما يلمس بطريقة أو بأخرى بقية المجتمعات. إن هذه النقلة، التي تفسح المجال للتبادل الحر للأراء والأفكار ووجهات النظر، تهدف إلى المساهمة في إرساء تواصل عابر للحدود والأوطان، يركز على الأهداف الإنسانية السامية، كالسلم ونبذ العنف والتطرف وتكريس الحرية، باعتبار أن القضية لم تعد تعالج على مستوى ضيق، إنما "تعولم" بعرضها على الفايسبوك عبر المنشورات التي يتم تقاسمها على أوسع نطاق. يبرز الرسم البياني التالي المستويات التحليلية التي سنستعرضها تباعا لإبراز مساهمة استخدام الفايسبوك في عولمة القضايا الاجتماعية لإرساء اتصال عابر للحدود والأوطان:

رسم بياني عدد 4: إرساء اتصال عابر للحدود والأوطان



2.2.1- تبني موقف موحد تجاه قضية معينة:

نجم عن نشر المضامين في الفايسبوك انفتاح المجتمعات على بعضها البعض، والتعرف بشكل أكثر دقة وعمقا على مستجدات الأحداث، في مختلف أصقاع العالم، والانتقال في كثير من الأحيان من الاكتشاف والاطلاع إلى التفاعل، سواء عبر التعليق الذي يفتح باب النقاش أو عن طريق تقاسم المنشورات التي من المحبذ أن تستند على رموز قابلة للتفسير والتأويل بنفس الطريقة لفهم مضمون الرسالة،



وهو ما يتطلب اللجوء إلى الابتكار الذي يأخذ بعين الاعتبار شد الانتباه، وضمان تلقي ناجع للدلالات من طرف أكبر عدد ممكن من المستخدمين، ما يعطي المنشور قيمة إضافية تثري التواصل، حيث "تكتسب الرموز أهميتها وتصبح ذات دلالة حينما تكتسب نفس المعنى لدى مستقبلها، نفس المعنى الذي كان في ذهن مرسلها أو صاحبها"⁵⁵.

تم اتخاذ الإرهاب كمثال عن الخلل الوظيفي الذي تعاني منه جل المجتمعات تقريبا، ليغدو قضية تخرج عن نطاقها المحلي الضيق لتصبح مثيرة للرأي العام العالمي، والتي تثبت حضورها بأشكال مختلفة من العنف المادي، كالتفجير والهجوم المسلح والقتل، والبلوغ في بعض الحالات إلى الحرق والتنكيل بالجثث إلى غير ذلك من الأشكال التي لا تحترم مبدأ التعايش السلمي واحترام حق الآخر في الحياة. واجه مستخدمو الفايسبوك الظاهرة بتبني موقف موحد، من خلال المحافظة على نفس المضمون الذي يصرح بتماويه الكامل مع الحدث، وإن اختلف المجتمع الذي شهد أعمالا إرهابية، لعل أبرز مثال عن ذلك ما توضحه الوثيقة التالية:

الوثيقة عدد 12: تبني نفس المضمون التفاعلي في مناطق مختلفة من العالم

المضمون الثاني

JE SUIS
BARDO

المضمون الأول

JE SUIS
CHARLIE

يرتبط مضمون المنشور الأول (Je suis Charlie) بحادثة الهجوم المسلح الذي تعرض له مقر الجريدة الساخرة شارلي هبدو (Charlie Hebdo) في فرنسا والذي ترتب عنه مقتل عدد من صحفييها ورساميها الكاريكاتوريين، وقد تم تداول هذا المضمون- الصورة بصفة مكثفة في شبكة الفايسبوك، لكنه، ظهر

⁵⁵ محمود عودة، أسس علم الاجتماع، مصدر سابق، ص.96.



في بادئ الأمر، في شبكة تويتر و"صاحب الشعر والتصوير هو جواشيم رونسين (Joachim Roncin)، المدير الفني لمجلة المصمم (magazine Stylist)"⁵⁶.

ما يمكن ملاحظته أولاً بساطة الأسلوب الذي تم تقديم الرسالة من خلاله، والاختصار في الخطاب اللفظي ثانياً، فالمنشور الذي جاء في شكل خطاب تقرير صريح، لم تتجاوز كلماته الثلاث لتبرز بشكل جلي موقفاً حاسماً للاتجاه التفاعلي، إضافة إلى الاكتفاء بالأسود كخلفية، وهو اختيار غير عشوائي، إنما يهدف إلى حصر التركيز في المضمون الذي تم رقه بطريقة تجعله بارزاً، مع اعتماد الأبيض والرمادي، وجميعها تصنف في فئة الضوء، مع الإشارة إلى أنه إذا مزجت الخلفية "السوداء" مع العبارتين الأوليين البيضاوين نتحصل على الكلمة الثالثة الرمادية.

قد يكون صاحب الشعر قام بهذا الترتيب الضوئي بصفة عفوية، ومن الممكن أنه تعمد توجيه رسالة معينة من خلال هذا الاختيار، ليرمز الأسود إلى الوضعية الناجمة عن العمل الإرهابي وما خلفه من خسائر مادية ومعنوية، لكن "اللوحة - الوضعية" لن تبقى سوداء، إنما يتدخل الفاعل الاجتماعي الذي يعبر عن رفضه أن يتسربل مجتمعه أو مجتمع آخر بهذه القمامة التي لا تسمح برؤية شيء، حيث يغرق الجميع في الظلام، فيعلن حضور ذاته بالأبيض الذي لا يلغي الأسود، إنما يواجهه في محاولة لتجاوزه باختيار ضوء يتكون من مزيجين.

يرمز الرمادي، الذي لا يمكن أن يولد إلا بالتقاء واندماج نقيضين، ضرورة احترام الاختلاف والدفاع عن حق الإنسان الآخر، مهما كانت توجهاته وآراؤه، في التعبير بكل حرية دون سلبه الحق في الحياة.

تتحول الذات البيضاء، تلك الذات التي تتسم بخصوصيتها وتفردتها ووضوح تجليات هويتها الفردية إلى ذات اجتماعية "معولمة" مشغولة بما يجري حولها، وتمتزج حد الانصهار مع هموم الآخر ومشاكله، باعتبار أن هذا الغير ليس سوى نظيرها في الإنسانية. بالتالي، يعتبر تبني موقف موحد تجاه نفس القضية وسيلة ضغط ناجعة تجعل من العملية الاتصالية في المجال الافتراضي قادرة على الاضطلاع بدور مركزي في التأثير إلى درجة الإقناع.

لم يقتصر التعبير الجماعي العالمي على التضامن والمساندة على قضية الجريدة الفرنسية، حيث تم استغلال نفس المضمون التفاعلي في تونس، وتحديدًا في حادثة باردو، التي تلتقي مع الحادثة

⁵⁶ "Je suis Charlie", Wikipédia, l'encyclopédie libre, https://fr.wikipedia.org/wiki/Je_suis_Charlie



الأولى في نفس إشكال العنف المسلح (je suis Charlie , je suis bardo)، ما عدا تغييرا طفيفا على مستوى اختيار الخط المستخدم في الرقن، وهو تغيير لا يحدث تباينا دلاليا، ويتقاسم نفس التفسير الرمزي مع المنشور الأول.

لا يمثل اختلاف الفئة المستهدفة بالفعل الإرهابي في أي مجتمع من المجتمعات عائقا يحول دون التدخل الافتراضي، ما أدى الى تواتر الاستخدام الموحد لنفس صيغة الشعار، كلما جدت حادثة إرهابية، في مناطق مختلفة من العالم، سواء بنشره على حائط الصفحة أو اختياره كصورة شخصية أو صورة للغلاف في الحساب الخاص⁵⁷.

إن اللجوء إلى هذا الشعار ينبع من عدة دوافع، لعل أهمها الرغبة في الانصهار في القضية العالمية ليغدو المستخدم طرفا فاعلا فيها، إضافة إلى الحاجة إلى التعبير عن ردة فعله تجاه الواقعة وتفريغ الشحنة الانفعالية، كالاستنكار والغضب والحزن والخوف وغير ذلك من الأحاسيس التي يبحث لها عن صيغة لتتبلور، ويتقاسمها مع الآخرين الذين تتناهم نفس الحالة الشعورية، فيحصل نوع من التضامن، وتحقق اللحمة الإنسانية في المجال الافتراضي، وهو ما يدعم ما تحدثت عنه الفيلسوفة الأمريكية نانسي فرايزر (Nancy Fraser) المتمثل في ضرورة "تأسيس فضاءات كونية تسمح بإنتاج تضامانات على أساس واسع الأفق يتجاوز الدين والقومية والعرق"⁵⁸.

إن التعبير باستخدام الضمير المفرد المتكلم (je suis) يؤكد أن الفرد ليس مجرد طرف محايد يستقبل الأخبار، إنما يثبت حضور ذاته في قلب الحدث، وهي ذات قادرة على التحول عبر المكان والزمان، لتؤازر وتساند. إن تبني موقف موحد تجاه قضية ما لا يعني فرض نوع من الإلزام الذي يقيد المستخدمين، ويحول دون التعبير عن التضامن بطريقتهم وإضافة بصمتهم الخاصة، لذلك سعى البعض إلى الموازنة بين الهوية الجمعية والهوية المجتمعية، وهو ما توضحه المضامين في الوثيقة التالية:

⁵⁷ انظر الوثيقة عدد 13 في الملاحق صفحة 226

⁵⁸ نور الدين علوش، "تحولات الفضاء العمومي في الفلسفة السياسية المعاصرة: من هابرماس إلى نانسي فرايزر"، مصدر سابق، ص. 57



الوثيقة عدد 14: الالتزام بنفس الشعار مع إضافة مضامين ملتصقة بالهوية والحدث

المضمون الثاني



المضمون الأول



المضمون الرابع



المضمون الثالث

في المضمون الأول، تم إرفاق الشعار بالعلم التونسي كصورة غلاف، وهو رمز مباشر وملتصق بهوية المجتمع الذي شهد الحادثة الإرهابية، مع إدراج خطاب لفظي يدعو إلى ضرورة الالتفاف حول الوطن عن طريق التكاتف لحمايته من الإرهاب الذي يهدد سلامة بنيته (بوحداثتنا ننتصر على الإرهاب)، وهي رسالة واضحة صريحة تقدم الحل باختصار، مع التأكيد من خلال عنوان الصفحة على هذه الوحدة (Je suis Bardo, je suis la Tunisie)، فما تتعرض له مدينة من فعل إرهابي لا يؤثر فيها وحدها، إنما يشمل تأثيره كامل المجتمع، وهو ما يعبر عن وعي جمعي يوقن بأهمية التكتل لمجابهة هذا النوع من العنف.

في المضمون الثاني، تم الإبقاء على صيغة الشعار أسلوبا ومضمونا وإخراجا، في الصورة الخاصة بالصفحة، مع اختيار صورة غلاف ترتبط بشكل وثيق بالمكان الذي تمت فيه الحادثة الإرهابية، في حين أن الصورة الخاصة بالصفحة، في المضمون الثالث، تكشف عن إحداث تغيير على مستوى اللون، نظرا لما يحمله الأحمر والأبيض من بعد رمزي، فهما نفس اللونين الذين نجدهما في العلم التونسي، ليرمز الأحمر في هذه الحالة إلى دم الذين قتلوا في الهجوم المسلح، مع اختيار الأبيض في الخطاب اللفظي كرمز للسلام الذي يحتاجه المجتمع للتخلص من هذه الأزمة التي تعكر صفاءه،



إضافة إلى إدراج صورة فسيفسائية معروضة في متحف باردو كخلفية يتصدرها الشعار مرقونا بحروف كبيرة تمتد على الصورة بأكملها.

نلاحظ أيضا في المضمون الرابع سعيا إلى إدراج رمز يحمل دلالة تتعلق بمكان الحادثة، ألا وهو برج إيفل (Eiffel) لإحلاله مكان حرف من حروف العبارة (Paris)، ليغدو للكلمة دور احتضان المدينة بأسرها، مجسدة إياها من خلال أكثر رموزها شهرة، وهو يستبطن في تصميمه الهندسي الارتفاع مع الثبات، وفي ذلك إشارة إلى أن الفعل الإرهابي لم ينجح في المس من هذه القوة المجتمعية المستمدة من توحد الموقف.

إذن، يمكن القول أنّ تبني موقف موحد تجاه قضية يؤكد على التفاعل المستمر مع ما يستجد في العالم من أحداث، داعما بذلك إحداث نقلة اتصالية على مستوى التلقي والتفاعل والإنتاج الرمزي وتعدد الطرق التي تسلكها الرسالة في المجال الافتراضي.

2.2.2- تدويل الحدث ونقله من المجال الافتراضي إلى الفضاء العمومي:

تعددت الممارسات الاتصالية الافتراضية التي يسعى من خلالها مستخدمو الفايسبوك إلى المساهمة في إرساء تواصل عابر للحدود والأوطان، في إطار عولمة القضايا الاجتماعية ومحاولة المزوجة بين المجالين الافتراضي والعمومي، ليحصل نوع من التكامل الذي يخدم استراتيجية العملية الاتصالية التي تنطلق من الفايسبوك تخطيطا وتنظيما ليستقبلها الفضاء العمومي. نستعرض في الوثيقة التالية مثالين عن عولمة القضية بتدويل الحدث ونقله من المجال الافتراضي إلى الفضاء العمومي:

الوثيقة عدد 15: عولمة القضية من خلال تدويل الحدث ونقله من المجال الافتراضي إلى الفضاء العمومي

المضمون الثاني



المضمون الأول



نلاحظ، في المضمون الأول، التشجيع على المشاركة في الحدث (Je soutiens Charlie Hebdo) الذي تم الإعلان عنه في شبكة الفاييسبوك، واعتبار الانضمام إلى المسيرة تفاعلا إيجابيا يمنح الفعل التواصل النجاعة اللازمة للتأثير والتغيير والانتقال من طور التضامن الانفعالي إلى مرحلة المساندة الفاعلة.

مثل المضمون الثاني دعوة مفتوحة موجهة إلى العالم بأسره للمشاركة في مسيرة يضمها المجال العمومي، نتيجة التجييش الاتصالي لمستخدمي الفاييسبوك مع إدراج التاريخ، واستعمال العلم التونسي كخلفية، وهو استغلال رمزي يسعى إلى منح الرسالة قيمة مضافة، عبر إدراج خطاب لفظي صرح بالهدف المرجو بلوغه، وهو تدويل الحدث ليشمل كل المجتمعات (العالم باردو)، واكتساب دعم عالمي يعزز القدرة على المواجهة.

يتجاوز الأمر تكتل الفاعلين الاجتماعيين الذي ينتمون إلى نفس المجتمع ليصبح تعاضدا دوليا، بالتالي، لم يعد المجتمع يواجه هذا التهديد الإرهابي وما ينتج عنه أعزلا، إنما يسارع مستخدمو الفاييسبوك المنتمين إلى المجتمعات الأخرى للوقوف في صفه والإحاطة بأفراده ومآزرتهم، "فالعولمة تشير إلى صورة جديدة نجرب فيها جغرافيا العلاقات الاجتماعية"⁵⁹، وهو ما يضاعف حظوظ العملية الاتصالية الافتراضية في النجاح بتوطيد العلاقات وإخراج الرسالة من طور التنظير إلى التطبيق.

إن تدويل الحدث، كأسلوب تفاعلي تم اعتماده من طرف مستخدمي الفاييسبوك لعولمة القضية، يتميز بدفعه للعملية الاتصالية في المجال الافتراضي والواقع الاجتماعي، للانتقال بصفة سلسة ومترابطة نحو أساليب أخرى تشترك في العمل على إرساء تواصل عابر للحدود والأوطان.

2.2.3- التعبئة الاجتماعية الافتراضية:

يبرز جليا أن العملية الاتصالية تشهد، منذ الانتشار الواسع لاستخدام الشبكات الاجتماعية الافتراضية، دينامية غير معهودة جعلتها تعرف تحويرات مستمرة، خاصة مع فرض العولمة لقيمتها، "ففي عصر

⁵⁹ طوني بينيت ولورانس غروسيبرغ وميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة. معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، مصدر سابق، ص.520.



في هذا السياق، يبرز التأثير القوي للافتراضي في العملية الاتصالية، حيث يمكن من إحداث نقلة كمية ترتبط بالعدد الذي لا يمكن أحيانا حصره من المضامين التي يتم نشرها في الفايسبوك والمتعلقة بنفس الحادثة في حيز زمني قصير، إضافة إلى نسب التفاعل التي يتم تسجيلها، إلى جانب النقلة النوعية، فهي تمثلات قد تتبنى تصورا رمزيا موحدا، فيغدو بمثابة العلامة التفاعلية المسجلة المعترف بها عالميا.

إن عولمة القضية لا تعني بالضرورة الحصول على مساندة عالمية شاملة، فهناك فاعلون اجتماعيون يخرجون من هذه الدائرة الاتصالية للإعلان عن تبنيهم لموقف مختلف وتحليلهم لمجريات ما حصل بطريقة مغايرة، وهو ما يجعل الفايسبوك شبيها بالمجال العمومي، فيما يتعلق بطرح الإشكاليات والنقاش ومنح فرصة للتعبير وعرض وجهات النظر المتباينة ومحاولة الاتفاق وتبني رأي عام لا يلغي بالضرورة حقيقة الاختلافات الموجودة ولا يهملها.

تتجلى النقلة الاتصالية في الاشتغال بعقلية تشاركية تجعل من الرأي المختلف للفرد، وإن لم يقاسمه أحد، رأيا قائما بذاته يحتل نفس مكانة الرأي الذي يشترك فيه عدد كبير من الفاعلين، وهو ما من شأنه دعم التوجه الديمقراطي التحرري الذي يشجع المستخدم على التعبير والانضمام لإنتاج الرؤى التي توضح مشاغله بشكل دقيق، وتبرز مواقفه دون فرض أو إلزام أو إقصاء لخصوصيات فردانيته، "ولا يعني ذلك مطلقا القبول بسلوكاته الخاطئة أو مواقفه المؤذية له وللآخرين"⁶¹.

في هذا الإطار، تبرز الحاجة إلى عقلنة الاتصال، وقد لعب مستخدمو الفايسبوك هذا الدور بإنشاء صفحات تتمحور حول الغرض، ونشر المضامين التي يتخذونها وسيلة لتوجيه الرسائل معتمدين على العديد من الأساليب.

2.3- دور المضامين الفاييسبوكية في عقلنة الاتصال:

إن الوعي بوجود إخلالات في العملية الاتصالية في الفايسبوك، والسعي إلى تجاوزها من خلال العقلنة، يعتبر في حد ذاته إثراء تفاعليا يساهم في تحقيقه مستخدمو هذه الشبكة الاجتماعية الافتراضية الذين لا يكتفون بالاستخدام السلبي، بل يتمتعون باليقظة التي تستوجبها الملاحظة للمرور بعد ذلك إلى المبادرة اقتراحا وتوجيها دون ضغط أو إلزام.

⁶¹ مصطفى حجازي، الإنسان المهذور، (الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، 2005)، ص.54.



يتجسد ذلك في إطار احترام الرؤية التشاركية التي تفسح المجال لكل فرد بتكوين عالمه الخاص مع الأخذ بعين الاعتبار أن يتمتع هذا العالم بالمقاييس التي تخول له الالتقاء بعوالم بقية الأفراد، وإلا حكم على نفسه بالانعزال نتيجة ممارسات لا تنجح في الحفاظ على الرأس المال العلائقي، وهو ما سيتم توضيحه بشكل أكثر تفصيلاً، للتعلم في فهم رمزية الأساليب المعتمدة لعقنة الاتصال والصيغ التعبيرية والرسائل الموجهة لمستخدمي الفايسبوك خاصة وللفاعلين الاجتماعيين بصفة عامة.

2.3.1- أساليب عقنة الاتصال:

تم ضبط الأساليب التي تركز عليها عقنة الاتصال، كمستوى آخر من مستويات مساهمة استخدامات الفايسبوك في إثراء العملية الاتصالية، في الرسم البياني التالي:



تشارك جميع هذه الأساليب في نفس الغاية، ألا وهي خدمة العملية الاتصالية وجعلها فعّالة ومرنة وقادرة على تمتين العلاقات، وهي محاولة للارتقاء بالفعل التواصلي من الفردانية المطلقة، التي لا تضع ضمن اهتماماتها كيفية تلقي الآخر لممارساتها الاتصالية، إلى فردانية يعبر من خلالها مستخدم الفايسبوك بحرية لا تؤثر سلباً في سيرورة التبادل العلائقي وما يتطلبه من احترام للمعايير المنفق عليها، والتي لا يمكن الحديث عن تفاعل ناجح إذا تم تغييبها لتعم الفوضى والتشويش.



2.3.1- التوضيح من خلال تقديم نموذج:

إن اللجوء إلى هذا الأسلوب لعقلنة الاتصال يمكن تفسيره انطلاقاً من حاجة الفرد إلى النماذج ليتمكن من التأقلم مع محيطه، ويستجيب لمتطلبات دوره في الواقع الاجتماعي، ويتصرف على أساس الاختيارات الذاتية مع الأخذ بعين الاعتبار لانتظارات الآخرين.

تم توضيح ذلك في نظرية التعلم الاجتماعي، في إطار علم النفس المعرفي، التي ترى أن الفرد في بحث مستمر عن المعرفة التي تمكنه من تقييم وتعديل سلوكياته لفائدته الشخصية ولصالح المجموعة التي تربطه بها جملة من العلاقات، وهو ما يساهم في دعم المعايير التي تعزز وظيفية البنى المجتمعية.

استدعى أسلوب التوضيح الحضور الدائم، في جميع المنشورات، لشخصية - نموذج لا تختلف كثيراً في التصور الذي يجسد هيتها بين الصفحات العربية والفرنسية، وعادة ما تتخذ وضعيتين، إما واقفة أو جالسة أمام شاشة الحاسوب.

ترفق الصورة بخطاب لفظي يعرف الشخصية، في كل مرة، وهي وإن حملت نفس الاسم، لكنها، نموذج لفئات اجتماعية متعددة، حيث يتم استعراض أمثلة لأفراد في ظروف وأوضاع وأدوار متباينة، للتطرق إلى عدد من الشرائح التي لا تتسم بنفس الخصوصيات والتمثلات والممارسات.

يتم ضبط وضعية معينة، في كل منشور، وعرض السلوك الذي تتبناه الشخصية النموذج في الموقف المحدد واستحسانه، ودفع متلقي الرسالة إلى الاستنتاج بطريقة واعية من خلال القيام بعمليات ذهنية أن مثل هذا السلوك يمكن أن يكون مناسباً له أيضاً، ويحقق أغراضاً مفيدة في ظروف مماثلة.

نجد في الوثيقة، في الصفحة الموالية، بعض الأمثلة من المنشورات التي تشترك في سعيها لتحقيق نفس الهدف المذكور آنفاً:



الوثيقة عدد 17: التوضيح من خلال تقديم نموذج متحكم في استخدامه لشبكة الفاييسبوك ولوسائل الاتصال الحديثة

المضمون الأول



المضمون الثاني



هذا بلال
بلال توجيهي
بلال لا يفتح الفيس بوك
عندما يدرس ، بلال
خلص امتحانات واصبح
يفتح الفيس بوك
بلال طموح
كن مثل بلال

المضمون الخامس



المضمون الرابع



المضمون الثالث



وضح المضمون الأول، عبر خطابه اللفظي، أهمية المحافظة على العلاقات المباشرة التي تربط بين الأفراد في الواقع وتجمع فيما بينهم (بلال لديه فتاة يحبها)، وهي ضرورة لا تتناقض مع حاجة الفرد إلى مساندة التطور التكنولوجي على المستوى التقني (بلال اشترى هاتف ذكي) الذي سيستخدم لأغراض



تفاعلية في وضعيات أخرى تتطلب ذلك، لكن الشخصية النموذج "تعقلن" هذا الاستخدام أثناء الاتصال المباشر (بلال لم يهتم بهاتفه. بلال يهتم بحبيبته).

لا يجب أن تطغى الأهمية التي يكتسبها الاتصال الافتراضي في إثراء الشبكة العنقودية إلى درجة تجاهل دور الاتصال المباشر، وضرورة احترام مبادئه التي تشجع على التفاعل بإيلاء الطرف المشارك في العملية الاتصالية المباشرة الاهتمام لتلقي رسائله التي لا تقتصر على الخطاب اللفظي، وإنما تستند أيضا على نوع آخر من الاتصال غير اللفظي (La communication non verbale)، فكلما اجتمع فردان أو أكثر يغدو لكل تصرف من التصرفات معنى ولكل حركة دلالة.

وهي لغة تعبر بصفة بليغة عن الانفعالات والأحاسيس، وتمنح مضمون الرسالة رمزية مختلفة، فأحيانا لا يتطابق الخطاب اللفظي للفرد مع الخطاب غير اللفظي، إضافة إلى المظهر (l'apparence) الذي يحمل بدوره بعدا دلاليا واللمس (le touché)، والصمت الذي يمكن تأويله إلى مدلولات عدة.

إن ما يزيد ترسيخ سلوكيات الشخصية النموذج لدى مستخدم الفايسبوك هو الشعور بإشباع رغبته الاتصالية من ناحية، والتوصل إلى مواجهة المواقف المختلفة في الواقع الاجتماعي، من ناحية أخرى، وهو ما تم أخذه بعين الاعتبار في **المضمون الثاني** الذي وضح فعالية التفكير المنطقي الذي يسمح للفرد أن يحسن التعامل مع التزامات الواقع اليومي، ليضمن عدم التقصير في الاضطلاع بمسؤولياته، وتبقى فرص الإبحار في الشبكة الافتراضية سائحة، متى أتم هذه الالتزامات (بلال لا يفتح الفايسبوك عندما يدرس. بلال خلص امتحانات وأصبح يفتح الفايسبوك).

بالتالي، تتمثل عقلنة الاتصال في القدرة على رسم استراتيجية تحدد سلم الأولويات فيما يتعلق بالممارسات واتباعها لتحقيق التوازن بين متطلبات الواقع المعاش والواقع الافتراضي.

يتوجه **المضمون الثالث** إلى فئة عمرية محددة (16 سنة) لتوضيح نموذج الاتصال الذي يجب الاقتداء بممارساته في الفضاء الافتراضي. قد تمتلك الفرد في هذه المرحلة العمرية الرغبة في اكتشاف ما هو مجهول بالنسبة إليه، وتجاوز الحدود التي يعتبر محيطه أن اختراقها ممنوع، لكن، المجال الافتراضي يمنحه الفرصة لتجاوز هذه التوصيات، ويتيح له زيارة ما يريده من مواقع والاطلاع على ما يشاء من مضامين حتى تلك التي تم تخصيصها لمن يكبره سنا.



يسعى هذا المضمون إلى توعية المراهق بتوجيه رسالة توضيحية تؤكد أنه صاحب القرار، وهو ما يترتب عنه ضرورة تحليه بالوعي الذي يجعله قادرا بصفة ذاتية على تحديد ما يجب الاطلاع عليه، وما يستحسن احترام التوصيات التي لا تلزمه إلا معنويا (je confirme être majeur).

إذن، يتولى المستخدم مراقبة تصرفاته بنفسه، ويضبط الممارسات الاتصالية التي تدعم علاقته بذاته وبالآخرين، وتأخذ بعين الاعتبار الأطر المرجعية التي تركز عليها المبادئ المجتمعية.

تستوجب عقلنة الاتصال محافظة المستخدم على خصوصية حياته الشخصية وعدم الانسياق التفاعلي الذي يدفعه إلى الكشف عنها كاملة، وهو ما بينته الرسالة التي تضمنها الخطاب اللفظي، في المنشور الرابع، مع التشديد على ضرورة تحكم المستخدم في طريقة تقديم ذاته والتعبير عن التمثلات، في المجال الافتراضي (François ne partage pas sa vie entière sur Snapchat) حتى يستطيع الموازنة بين حياته الشخصية وما تستدعيه من حرص على الخصوصيات، وبين تواصله في الشبكات الاجتماعية الرقمية.

نرصد تحذيرا من الإسراف التفاعلي الذي قد يولد نتائج غير مرغوبة، كاستخدام المعلومات الشخصية في التحيل والمساس بحرمة الفرد، وغير ذلك من المظاهر التي تندرج في إطار العنف الافتراضي.

إن التحكم في استخدام الفايسبوك يعني الالتزام بالحيز الزمني الذي يُخصّص للتفاعل عبر هذه الشبكة الافتراضية، وعدم تجاوزه إلى درجة يغدو فيها الفعل التواصلية خارجا عن إرادة المستخدم، حيث أشار **المضمون الخامس** إلى ظاهرة موجودة، عبر ملاحظة أن الفرد يقرر الاطلاع بصفة سريعة على المستجدات من منشورات أصدقائه والصفحات المنضم إليها، فيفتح حسابه في الفايسبوك، فيتواصل إبحاره ساعة أو أكثر.

لكن، الشخصية النموذج متحكمة في استخدامها، فهي لا تجد مانعا في تصفح الفايسبوك قبل الخلود إلى النوم، على أن لا يستمر ذلك لفترة طويلة نتيجة عدم القدرة على السيطرة على "مكابح" الإشباع لإيقاف الحاجة التواصلية.

(François va sur Facebook avant de se coucher. François ne reste pas 2H dessus)



بالتالي، تم توظيف هذا الأسلوب للتأكيد على أهمية تجاوز خلل في ظاهرة اجتماعية واتصالية معينة عن طريق دفع المستخدم إلى إجراء مقارنة بين ممارسته وسلوك الشخصية النموذج، واختيار ما يثري تفاعله بصفة ناجعة عبر عمليتي التقييم والتقويم اللتين تؤديان إلى النجاح في ضبط الممارسة الاتصالية.

2.3.1.2- الإشارة إلى السلوك غير المقبول:

تم إنشاء عديد الصفحات (Sois comme Bill، كن مثل بلال...)، التي كرست جزءا من مضامين منشوراتها للإشارة إلى السلوك غير المقبول، للحث على تجنبه، توفيراً لعملية اتصالية سليمة وسلسة تحترم توقعات الآخر، وقادرة على التنبؤ بالرسائل التي تنجح في استقطاب التفاعل وتلك التي تتسبب في الإحجام والتنفير، وتتضمن الوثيقة التالية مثالا عن هذه المنشورات:

الوثيقة عدد 18: الإشارة إلى السلوك غير المقبول أثناء العملية الاتصالية الافتراضية



يرتبط المضمون بممارسة اتصالية متعلقة أساسا بالتطبيقات التي يوفرها موقع الفاييسبوك، ومن بينها الألعاب التي تقترح، من خلال توجيه رسالة، دعوة صديق أو أصدقاء معينين أو حتى كل الأصدقاء في القائمة للعب أيضا، وهي خطة تسويقية تهدف إلى استقطاب المزيد من مستخدمي الفاييسبوك وإقناعهم بمزايا هذه التطبيقات وما تقدمه من خدمات ترفيهية.

يوازن الخطاب اللفظي في المضمون بين حريتين، فهو يلتزم بحرية كل فرد في اللعب في شبكة الفاييسبوك، وحرية الآخر التي يجب احترامها، من خلال عدم فرض اقتراحات للانخراط في ممارسة



افتراضية معينة. بالتالي، هناك اكتفاء بالإشارة إلى ما هو مقبول بصفة مباشرة وإلى ما هو مرفوض بشكل ضمني، تقديمًا لحل يضمن عملية اتصالية تستجيب لمتطلبات الطرفين.

تعددت الرسائل التي تستبطن إشارة إلى الممارسات غير المقبولة في الشبكة الافتراضية، والتي كلما تجنبها المستخدم حافظ على سلامة علاقاته التي تركز عليها العملية الاتصالية الافتراضية⁶²، من بين هذه الممارسات عرض صور الجرائم والجنث، التي قد يكون مضمونها صادما لبعض أصدقائه في القائمة، ويحدث تأثيرا سلبيا في نفسياتهم، ويسعون إلى تجنبه بعدم الاطلاع إراديا على هذه المنشورات لكنها، تعترضهم أثناء تصفحهم، نتيجة فرض الآخرين لها من خلال النشر، فيحدث نوع من الاضطرار لرؤيته، وإن لحيز زمني وجيز، إضافة إلى الإشارة أن النشر العشوائي للصور التي لا يتسم مضمونها بالأهمية، كبيان حالة الطقس كل خمس دقائق، تصرف غير مقبول، لأنه بمثابة الحشو الاتصالي الذي لا جدوى منه، فهو يهدر وقت صاحبه في نقل ما هو معروف أساسا من طرف البقية، إضافة إلى التكرار بتقديم نفس المعلومة، وهو ما يجعل من الرسالة منفرة.

في نفس السياق، تتجنب الشخصية النموذج تعمد إجبار الآخرين على التفاعل بنشرهم في منشور وإرفاق أسمائهم به (Tag)، وإن لم تكن لهم علاقة بالموضوع، وهو شكل من أشكال المساس بحرية الآخر وخصوصيته، ونوع من الاعتداء على حقه في اختيار توجهاته الرمزية.

تجدد الإشارة إلى أن مضامين الصفحات العربية والغربية قد تعالج نفس الموضوع بتحميل الرسائل الموجهة دلالات مختلفة⁶³، إذ لا تتعامل مع السلوك غير المقبول من نفس زاوية النظر، فمثلا مسألة شرب الخمر، تم تناولها في مضمون الصفحة العربية من ناحية أخلاقية (لا يجد إلا أصدقاء السوء. سكير).

بالتالي، هناك تعامل قيمي نابع من المبادئ الإسلامية التي تُتخذ كمرجعية لتحديد الممارسات المقبولة والمرفوضة، في حين طرح الموضوع في الصفحة الغربية من وجهة نظر أخرى، فالسلوك غير المقبول ليس شرب الخمر، إنما التقاط الشخص، الذي شرب كثيرا لصوره وهو يستفرغ، ونشرها في الشبكات الاجتماعية الافتراضية.

⁶² انظر الوثيقة عدد 19 في الملاحق صفحة 227.

⁶³ انظر الوثيقة عدد 20 في الملاحق صفحة 227.



إذن، تمت معالجة الموضوع من الناحية الاجتماعية وضرورة احترام الآخر وعدم نشر صور تسبب له نوعاً من الانزعاج والاشمئزاز، وهو ما يتطلب الالتزام بالحد الأدنى من التصرف المجتمعي، حسب المبادئ المتفق عليها لضمان التعايش.

تباينت مضامين الرسائل أيضاً فيما يتعلق بمسألة العلاقة بين الأنثى والذكر، ليتم الإشارة في المضمون باللغة العربية إلى السلوك غير المقبول بصفة ضمنية غير تصريحية، وإنما التأكيد على ضرورة الالتزام بالقيم الأخلاقية التي تركز عليها الشريعة الإسلامية وعدم تجاوز العلاقة العاطفية حدوداً معينة (بلال يحب صديقته. بلال ينتظر)، والسعي أن تكلل بالارتباط الشرعي أي الزواج (الحلال أجمل)، في حين أن المضمون باللغة الفرنسية لم يتطرق إلى هذه المسألة من هذا المنطلق، وإنما أشار إلى سلوك اجتماعي غير مقبول، وهو تعدد العلاقات التي تركز على تلبية الرغبات الجسدية لا غير.

إن هذه الأمثلة من المضامين، التي تتشابه مواضيعها وتختلف رسائلها، تمنح رؤية ثنائية لعقلنة الاتصال: أولاً، قد تتوحد ليكتسي السلوك غير المقبول سمة الشمولية، ما يعطي حظوظاً أوفر لتجنبه وتجاوزه، وينعكس ذلك إيجاباً على سيرورة العملية الاتصالية، في شبكة الفاييسبوك، نظراً لإجادة كل مستخدم لعب دور الآخر، بعد الإحاطة بتوقعاته والتنبؤ بالممارسة التي من المستحسن الاستغناء عنها لصالح التفاعل.

ثانياً، تمنح الرسالة فكرة حول خصوصية المجتمع، لتضمن استقبالها من طرف المستخدمين، الذين يتواصلون انطلاقاً من مخزون رمزي معين، يحدده سياقهم الاجتماعي القائم على جملة من الضوابط والالتزامات، وهو ما يؤمن لأسلوب الإشارة إلى السلوك غير المقبول بلوغ الغاية التي استخدم من أجلها، محدثاً ارتقاء على مستوى الوعي الذي يسعى إلى اكتساب ملكة التعديل الذاتي، سواء ارتبط الأمر بالممارسات الاتصالية في الفاييسبوك أو في الواقع الاجتماعي.

2.3.1.3- النقد:

نرصد النقد الموجه للممارسات أثناء عملية الاتصال الافتراضية، وكيفية استخدام واستغلال للأساليب التفاعلية المتاحة من طرف الفاييسبوك من خلال بعض الأمثلة المدرجة في الوثيقة التالية:



الوثيقة عدد 21: نقد الممارسات الاتصالية في شبكة الفايسبوك الافتراضية

المضمون الثالث

المضمون الثاني

المضمون الأول

Sois comme John
25 janvier - 18

Julia femme de valeur
A partager

Ça c'est Julia

Julia ne publie pas de photo assez osée pour
Des j'aime ou pour une vaine popularité

Car Julia sait déjà qu'elle a de la valeur

Julia se respecte

Julia est intelligente

Sois comme Julia



هذا سمير
سمير يحب الأكل كثيرا
ولكنه لا ينشر صورها في كل مرة يأكل
لأنه يعرف بوجود فقراء
سمير ذكي
كن مثل سمير

Ça, c'est Bill

bill a un compte instagram

bill n'achète pas ses j'aimes
pour faire le mec populaire

bill est intelligent

Sois comme Bill.

إن الاطلاع على فحوى الرسائل التي تضمنها كل منشور من هذه المنشورات، يمنح فكرة مبدئية حول تقاسمها لموضوع نشر الصور الشخصية على صفحات الفايسبوك، ومن بين التطبيقات الخاصة بالصور انستغرام (Instagram).

ليس استعمال التطبيق هو محل النقد، في المضمون الأول، إنما بحث المستخدم على الحصول على أكبر عدد ممكن من الإعجاب (j'aime) على الصور التي ينشرها. بالتالي، ما تم نقده هو الممارسة الاتصالية التي قد تنحرف عن الموضوعية من أجل تحقيق هدف معين، وتكوين صورة اجتماعية افتراضية وتقديمها للآخرين، حتى إذا استدعى الأمر تزييف علاقة الفرد بذاته، والتستر عن ذلك بإكسابها خصوصيات أخرى وتضخيم تأثيرها ونجاحها في نسج شبكة علاقات واسعة.

تطرق المضمون الثاني إلى مسألة نشر "صور أطباق الأكل" الذي يكون الفرد بصدد تناوله، سواء في منزله أو في الأماكن العامة، ونقد هذه الممارسة ضمناً فيه تذكير بالسلوك الاجتماعي القائم على احترام جميع فئات المجتمع، خاصة منها تلك الفقيرة التي بالكاد تحصل على قوت يومها، وإذا ما اطلعوا على صور تعرض أطباقاً عامرة يعجزون عن التمتع بها لضيق ذات اليد، قد يتعمق إحساسهم بالحرمان الذي يولد نوعاً من السخط والنقمة على نظام اجتماعي لا يوفر لهم ما هو متاح لغيرهم.



ارتبط النقد، في **المضمون الثالث**، بنشر بعض المستخدمين للشبكات الافتراضية صوراً يبرزن فيها أجسادهن عارية تقريباً، للحصول على التفاعل الذي يعبر عن الإعجاب (j'aime) ولشد الانتباه إليهن عن طريق هذه الممارسة، مخترقات للضوابط الاجتماعية المتفق عليها، وهو تجاوزاً قد يكون في بعض الأحيان سلبياً، لأن صاحبه تعرض جسدها كسلعة تريدها أن تحظى بأكبر قدر ممكن من الاهتمام والتهافت التفاعلي.

في نفس السياق، نلاحظ عدم الاكتفاء بالنقد وتقديم السلوك الذي يعتبر مقبولاً من الناحية الاجتماعية، إنما هناك محاولة لإحداث مصالحة بين الفرد وذاته عبر التحذير من الخط من قيمتها (Julia sait déjà qu'elle a de valeur)، ووجوب منحها ما تستحق من احترام، باعتبار أن نظرة الإنسان لنفسه هي التي تحدد كيفية نظر الغير له، وكلما تعززت هذه الثقة (Julia se respecte)، فرضت على الآخرين معاملتها بالمثل والإعجاب بشخصها بصفة عفوية وكردة فعل غير مصطنعة، دون الحاجة إلى اللجوء إلى أساليب تمنحها إعجاباً مؤقتاً ومشروطاً.

لم يتعلق النقد بنشر الصور في حد ذاته، وإنما كيفية استخدام هذا الأسلوب التعبيري كما ونوعاً⁶⁴، حيث تحولت هذه الممارسة الاتصالية الافتراضية إلى نوع من الهوس التفاعلي الذي لا يلتزم فيه المستخدمون في بعض الحالات بحدود المنطق، إلى درجة عدم القدرة على الاكتفاء بصورة واحدة، إنما نشر عدد كبير منها يتعلق بنفس الموضوع، وتحمل نفس الدلالات تقريباً أثناء تواجد الفرد في حفلة (بلال ذهب ليحتفل ولم ينشر 50 صورة في الدقيقة) أو التقاط الأم لصور كثيرة لطفلها، ولا تكتفي بالنشر مرة واحدة في اليوم، بل مرات عدة في فترات زمنية متقاربة.

(Camille viens d'avoir un enfant. Camille ne met pas des photos de son bébé toutes les 5 minutes sur Facebook)

ترمي هذه المضامين إلى حث مستخدم الفايسبوك على تحليل تمثلاته الاتصالية قبل تطبيقها بالممارسة وتفعيلها افتراضياً، وعدم الانسياق العشوائي للانفعالات الأولية التي تملئها الذات مولدة الرغبة في الإعلان عن نفسها بطريقة تستحوذ على التفكير العقلاني سعياً لتغييره.

يهدف نقد الاستخدام المفرط للصورة، كأسلوب تفاعل في الفايسبوك، إلى عقلنة الاتصال وإحداث نوع من التوازن بين الواقعي والافتراضي، وعدم تغليب كفة التواصل عبر الشبكة الاجتماعية على حساب

⁶⁴ انظر الوثيقة عدد 22 في الملاحق صفحة 228



معايشة اللحظة الراهنة بتفاصيلها (بلال يعلم أن من يستمتع لن يكون عنده وقت للصور)، فالشخصية في هذه الوضعية منغمسة في الاستمتاع بالرياضة التي تمارسها وليس في عرض صور قيامها بالرياضة (Camille va au gym. Camille fait des exercices au leu de prendre de selfies).

يؤكد النقد على ضرورة أن يوجه الفرد اهتمامه للمواقف والتجارب الحياتية، وما تولده في نفسه من مشاعر، ويوليها تركيزا حسيا وإدراكيا، وعليه تعلم التفاعل مع ذاته دون قرن نجاحه في ذلك بمدى تفاعل مستخدم الفاييسبوك مع الصور، حيث يمنح الآخرين دور التقييم من خلال نسب الإقبال أو الإحجام.

قد يذهب المستخدم إلى أبعد من انتظار التفاعل "الإيجابي" مع الصور التي ينشرها، وإنما يعتمد قبل تنزيلها على صفحته أن يدرج أسماء أصدقائه في القائمة، (identifier) وهو ما ينبههم أنه تم إيراد اسمهم في مضمون معين، فيدفعهم ذلك إلى الاطلاع لاستجلاء الأمر.

يعتقد مستخدم الفاييسبوك، الذي يورد أسماء أصدقائه في مضمونه، أنه كلما قام بتعيين عدد أكبر منهم، ارتفعت حظوظه الاتصالية للحصول على مزيد من الإعجاب، وهو ما تم نقده وبيان أن هذا السلوك الاتصالي لا جدوى منه، إذا لم تربط من تضاف أسماؤهم علاقة فعلية بموضوع الصور المنشورة، (Camille poste une photo sur Facebook. Camille n'identifie pas 1000 personnes pour avoir assez de like)

بالتالي، ترك حرية اتخاذ القرار التفاعلي للمستخدمين، مع استبطان أن غياب التفاعل لا يعني بالضرورة وجود إشكال تواصل كالتجاهل أو الرفض أو الاستهجان.

إن هذه الوفرة في الرسائل تبرز أمرين: أولا، ما تكتسيه الظاهرة من أهمية، وثانيا ضرورة عقلنة هذه الممارسة عبر التركيز على نقد مظاهرها بصفة مستمرة، للإقناع باتباع السلوك الاتصالي الذي يعزز علاقة المستخدم بذاته وبالآخرين.

2.3.1-4 المقارنة:

يسعى القائمون بالاتصال في الصفحات التي خصصوها لنشر مضامين تتمحور حول ممارسات الأفراد، إلى دفع العملية الاتصالية للارتقاء المستمر، من خلال تجاوز كل ما من شأنه عرقلة ديناميتها من اختلافات قد تهدد العلاقات الاجتماعية.



في هذا السياق، تم اللجوء إلى أسلوب المقارنة في صياغة الخطاب اللفظي الذي اشتملت عليه بعض المضامين، وتم إدراج مثال في الوثيقة التالية:

الوثيقة عدد 23: عقلنة الاتصال: اعتماد أسلوب المقارنة



نلاحظ حضور شخصيتين، كما تم استعمال ألوان مختلفة في رفق الخطاب اللفظي، لمنح الرسالة ما تحتاجه من رمزية قادرة على تحقيق الغاية المتمثلة في المقارنة بين ممارستين اتصالييتين مختلفتين، والدعوة إلى اتباع الشخصية التي تهتم بعلاقتها مع الآخر والمحافظة عليها عبر التفاعل، وتجنب الاقتداء بالممارسة الاتصالية للشخصية الثانية (جعفر أثناء زيارة أقاربه استمر في اللعب على الجوال ولم يهتم بأقاربه وكأنهم غير موجودين).

إن، يمكن القول أن المقارنة بين نقيضين، كأسلوب لعقلنة الاتصال، تسعى إلى الإحاطة قدر الإمكان بمختلف الممارسات الاتصالية التي يمكن معاينتها في الواقع الاجتماعي وعدم الاكتفاء بذكرها، بل أيضا تأكيد الحاجة إلى اتباع ما يخدم التواصل المباشر، نظرا لما يكتسبه من أهمية لا يجب على الفرد تجاهل قيمتها التفاعلية، إلى حد توجيه كامل رأس ماله العلانقي نحو البعد الافتراضي على حساب روابطه في الواقع.



2.3.1.5- التشجيع:

يتسم أسلوب التشجيع بالازدواجية التي تتكامل نظرا للهدف المشترك، فهو تشجيع للاقتداء بالشخصية النموذج إذا كان سلوكها مستحسنا (Sois comme,...)، وتشجيع لتجنب التصرف بصفة مماثلة لهذه الشخصية إذا كانت ممارستها غير مقبولة، ولا تدعم العملية الاتصالية، سواء في علاقة الفرد بذاته أو بالآخرين (Ne sois pas comme,...).

أ- التشجيع على حسن التعامل مع المواقف في الواقع الاجتماعي:

يستعرض الخطاب اللفظي وضعية معينة مبرزا السلوك الذي اختارته الشخصية النموذج، لتكون ممارستها، في مرحلة لاحقة، محل استحسان أو استهجان حسب الإستراتيجية التواصلية التي اتخذتها كل صفحة لتبليغ رسائلها، ليتم على أساس ذلك تشجيع مستخدم الفايسبوك، إذا كانت الوضعية التي يعالجها المضمون مرتبطة بالفضاء الافتراضي وشبكاتة الاجتماعية، أو الفاعل الاجتماعي إذا تطرق الخطاب اللفظي إلى ممارسة تتعلق بالمعيش اليومي وعلاقات الفرد المباشرة في الواقع. ندرج في الوثيقة التالية مضمونين للوقوف عند خصوصية أسلوب التشجيع ومساهمته في عقلنة الاتصال، من خلال تركيز الرسائل على ضرورة حسن التعامل مع المواقف في الحياة الاجتماعية، وعدم الاكتفاء بعرضها في الفايسبوك:

الوثيقة عدد 24: التشجيع على حسن التعامل مع المواقف في الحياة الاجتماعية وعدم الاكتفاء بعرضها في الفايسبوك

Voici Simon.

Simon a passé une mauvaise journée aujourd'hui mais il ne peut pas vraiment en parler ouvertement à tout le monde.

Simon choisi donc d'appeler son meilleur ami pour en parler au lieu de mettre un statut louche du genre "Journée de merde, je suis vraiment éçœuré mais je peux pas vous dire pourquoi!".

Simon sait qu'il n'y a que les gens en recherche d'attention qui écrivent des affaires de même sur Facebook et que c'est vraiment gossant pour les autres.

Simon est équilibré.

Soyez comme Simon.



المضمون الثاني

المضمون الأول



تتسم جملة (كن مثل بلال) بكثافة الحضور، فهي تمثل عنوان الصفحة، وتكرر في نهاية كل خطاب لفظي في أغلب المضامين، لتسجل حضورها كرسالة مختصرة مرفقة بالمنشور، وهي وإن وردت في صيغة الأمر، إلا أنها لا تدل على الإيجار، إنما تهدف إلى الحث على الاقتداء بالشخصية.

لا يعني ذلك تخلي الفرد عن خصوصياته، والتماهي مع الآخر من حيث الممارسات إلى حد تلاشي قدرته على اتخاذ القرار أثناء مواجهته للوضعيات المختلفة، إنما يقتصر التشجيع على اتباع الشخصية في تجنب ممارسات معينة برزت مظاهرها في شبكة الفاييسبوك وانتشرت، ليقوم بها عدد كبير من المستخدمين إلى أن غدت متداولة بصفة ملاحظة، وإن تفاعل معها البعض بعدم الاكتراث، فهناك من عبّر عن استنكاره لها.

نتج عن تغلغل استخدام الفاييسبوك في الممارسة اليومية للفرد إدماج الواقعي في الافتراضي عبر عرض الخصوصيات ونشر التفاصيل، ما وفر مجالاً لتقديم الذات ودعم حضورها وإكساب ما تقوم به أهمية لدى صاحبها ولدى الآخرين، وهو ما من شأنه إحداث تناسق بين الواقعيين باعتبار أن كل منهما يؤثر في الآخر بطريقة ما.

قد يتجاوز الأمر هذا الحد، ليلبغ درجة التداخل واكتفاء الفرد بالتعامل مع المواقف الحياتية بعرضها في الفاييسبوك، إلى درجة تجاهل الحلول الملموسة التي تغنيه عن اللجوء إلى الاتصال الافتراضي، الذي قد يمنحه ما يحتاجه من إشباع عاطفي، لكن، لا يمكن اعتباره بديلاً عملياً (بلال مصاب بمرض الزكام. بلال لم يكتب على الفاييسبوك يشعر بالمرض).

إن الاكتفاء بنشر هذه العبارة أو التعود على عرض كل مشكل أو أزمة يمر بها الفرد على المستوى الشخصي وانتظار الحصول على التفاعل، قد يدل على نوع من الضعف وعدم ثقة المستخدم في مكانته وحاجته المستمرة للآخرين لتأكيداتها، والسعي إلى أن يكون محور الاهتمام على أوسع نطاق ممكن، بما أن التعزيز لا ينبثق من الداخل، وقد لا يكتفي بمحيطه الضيق، إنما يتجاوزه للفايسبوك الذي يتمتع فيه بشبكة علائقية كبيرة.

في هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أن الفرد، إذا لم يتحكم في نداء هذه الحاجة الانفعالية، واستجاب لها بصفة غير مشروطة، قد يفقد السيطرة، إلى درجة نبذ مواجهة الواقع والانغماس في الافتراضي،



رغم أن المواجهة بسيطة (بلال ذهب للطبيب وشرب الدواء). بالتالي، يجب على الفاعل التحلي بالذكاء الاجتماعي (بلال ذكي) الذي يخول له حسن التعامل مع المواقف المختلفة، دون إلزامية عرضها على الفايسبوك للحصول على الإشباع المعنوي، الذي قد يتحول، إذا لم يتحكم في ضوابطه، إلى "نهم" تفاعلي، لذلك تم اعتماد أسلوب التشجيع للاقتداء بالشخصية (كن مثل بلال) التي تصرفت بشكل عملي.

قد يجد البعض متنفسا في الاتصال الافتراضي للتعبير عن الحالة النفسية أو الانفعال الناجم عن وضعية معينة، وعدم الرغبة في التصريح بها أثناء العملية الاتصالية الافتراضية مع الآخر الذي يستفسر مطالبا بالتوضيح، ليحدد التفاعل المناسب الذي يستجيب لمتطلبات الرسالة التي عبرت عن غضب أو استياء مثلا، لكن صاحب المنشور يكتفي بإجابة للطمأنة دون تفسير سبب تعكر حالته النفسية، (je suis vraiment écœuré mais je peux pas Vous dire pourquoi).

لجأت الشخصية النموذج، في **المضمون الثاني**، إلى الاتصال المباشر الذي يضمن لها حلا ممكنا أو يتيح لها تعديل مزاجها وتحسين حالتها النفسية، ألا وهو محادثة صديق عوض نشر خطاب لفظي في الفايسبوك يكتفي بالإعلام دون فسح المجال للآخر بالتفاعل، نظرا لإبقائه الوضعية مبهمّة: ارتكز المضمون على الإثبات، وهو ما جعل إيراد الحل يسبق الممارسة الاتصالية الافتراضية غير المستحسنة، وهو تشجيع ضمني على عقلنة الفعل الاتصالي، قبل القيام به واختيار الأجدى من بين الأفعال التواصلية المتاحة للفرد. (Simon choisi d'appeler son meilleur ami pour en parler au lieu de mette un statut louche).

هناك تشجيع على تجاوز الخلل النفسي الذي قد ينتاب الفرد إلى درجة استحواده على تصرفاته الاتصالية، وحث على تعزيز دور العقل للنجاح في التحكم في هذه الممارسات التي بمجرد إخضاعها للمنطق، يكتشف الفرد أنه ليس بحاجة إليها لتوطيد علاقته بذاته والتثبت من رأس ماله العلائقي الافتراضي، في كل مرة يواجه فيها مشكلا.

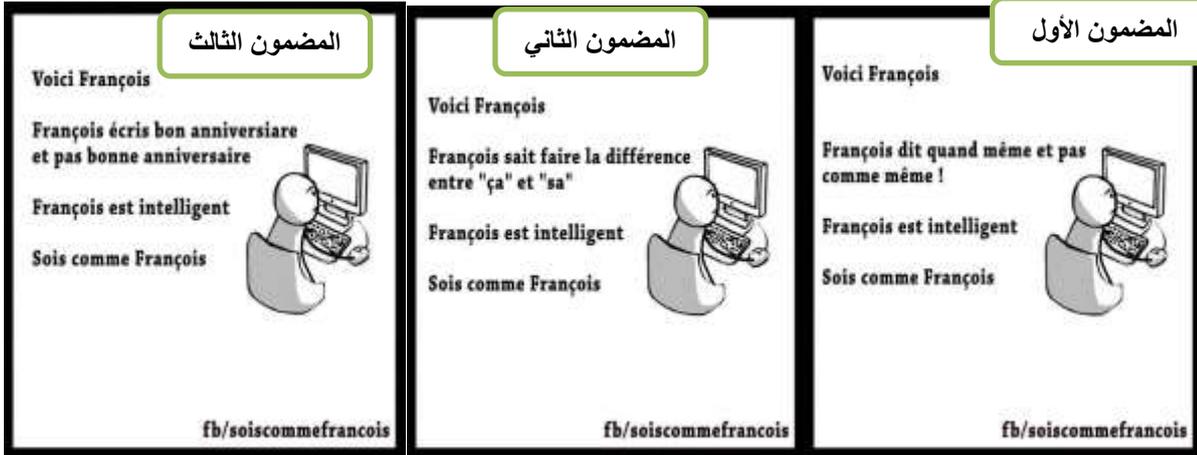
نلاحظ تشجيعا مخالفا للمعهود، والذي يتم تنويع الوضعية به كاستنتاج يتمحور حول سلوك الشخصية النموذج، ليتم وسمها هذه المرة، انطلاقا من ممارستها، بالتوازن (Simon est équilibré) وذلك لقدرتها على عقلنة اتصالها وبحثها عن حل ملموس عوض الانسياق لانفعالاتها.



ب- التشجيع على الاستخدام السليم للغة:

اضطلع أسلوب التشجيع بدور الحث على الاستخدام السليم للغة أثناء عملية الرقن في الفضاء الافتراضي، وهو ما تطرقت إليه بعض المنشورات في الصفحات المخصصة لعقلمة الاتصال، وتضمنت الوثيقة التالية بعض الأمثلة:

الوثيقة عدد 25: عقلمة الاتصال من خلال التشجيع على الاستخدام السليم للغة



نجد الشخصية في وضعية إبحار، بما أنها جالسة أمام شاشة الحاسوب، مع التأكيد على عدم وقوعها في أخطاء الرسم، إذا تماثل لفظان في نطقهما شفاهيا واختلفا في طريقة كتابتهما ومدلولاتهما إلى درجة يتسبب فيها الخطأ في تجريد العبارة من المعنى (quand même - comme même).

تؤكد الشخصية على معرفة الفرق بين المدلول المختلف لضميرين أحدهما يفيد الإشارة والآخر الملكية (ça et sa)، وإحاطتها بقواعد الربط بين النعت والاسم وضرورة أن يتبعه، إذا كان مذكرا أو مؤنثا أو في صيغة الجمع، وقد تم إيراد مثال على ذلك عبارة متداولة كثيرا لحاجة المستخدم لها كي يرجو لأصدقائه في شبكة الفاييسبوك ذكرى ميلاد سعيدة، وهو ما يجعل من المستحسن أن يرسل الخطاب اللفظي صحيحا من الناحية اللغوية: (bon anniversaire et pas bonne anniversaire).

نستخلص واعي القائم بالاتصال بأهمية اللغة الأم والتي لا يجوز تهملها، إنما تحتاج إلى الحفاظ عليها كخصوصية حضارية ورمزا من رموز الهوية الذاتية والجمعية، ووجب إتقان قواعدها حتى يكون الخطاب اللفظي قادرا على إيصال المعنى، إذن، هناك دعوة إلى ضرورة التبادل السليم الذي يضمن للغة



البقاء، وعدم زعزعة دعائمها نتيجة استسهال الخطأ بتعلة الاختصار أو قدرة الآخر على فهم الرسالة وفك ما ورد فيها من رموز لا تتوافق مع ما يحتاجه المبنى ليكتمل المعنى.

تسعى هذه المضامين عن طريق التوضيح من خلال تقديم نموذج والإشارة إلى السلوك غير المقبول والنقد والمقارنة والتشجيع، إلى إحداث نقلة على مستوى العملية الاتصالية، في الواقع الاجتماعي وفي المجال الافتراضي، عبر رسائلها التي تسعى إلى تعديل أو تغيير أو تجاوز سلوك معين، وإقناع الفرد بأنه لا يخدم مصلحته ويهدد رأسماله الرمزي والاجتماعي. تتقمص الشخصية النموذج الأدوار الاجتماعية التي يلعبها الفرد في واقعه من خلال اتصاله المباشر أو الافتراضي، وهو ما يجعلها تنجح في الاقتراب من المستخدمين، باعتبار أن كل شخصية تمثل عينة من المجتمع من حيث ممارساتها، وتجسد وضعيات مستمدة من اليومي، وترصد تصرفات تتكرر بصفة لافئة.

نستخلص أن خصائص المضمون على مستوى المبنى تدعم الرسالة على مستوى المعنى عبر تقديمها بشكل بسيط وواضح، وفي نفس الآن، ثري رمزيا وناجع في إحداث التأثير عبر توجيه رسائل توازن بين جانبيين أساسيين لا يمكن الاستغناء عنهما في كل عملية ذهنية يقوم بها الفرد، ويتمثلان في الجانب النفسي الانفعالي بما يتسم من تقييم حسي وعاطفي والجانب العقلاني بما يحتاجه من قوة الحجة حسب مقتضيات المنطق ومبادئ الموضوعية. تتباين ردود الفعل بين تأييد قد يستثمره المستخدم بنشر المضمون للتأكيد على أهمية فحواه، ويستغله آخر لتعديل تصرف ما أو يتخذ قرارا بالتوقف عن ممارسة اتصالية محددة، وبين رفض بحجة عدم تقييد حرية الأفراد وفرض ممارسات معينة ولعب دور الوصاية والوعظ والإرشاد. هناك من يحبذ المحافظة على الحياد باعتبار أن الرسالة لا تعنيه، أو لا يعلن موقفه من مدلولاتها.

2. 4- استنتاج: خصائص النقلة الاتصالية على مستوى الأساليب والمضامين:

إن تحليل مساهمة استخدامات الفايسبوك في إثراء العملية الاتصالية والوقوف عند أبرز العوامل والمظاهر، يدفع إلى القول أن هناك سعيا مستمرا إلى إرساء رؤية تفاعلية تتميز بما تقترحه من أساليب تمنح الفرد فرصة بلورة تمثلاته والتعبير عنها لإثبات فردانيته من جهة، وتدعيم حضوره كذات فاعلة



تضطلع بدور في النقاش العام الدائر في الواجهة الافتراضية العالمية حول القضايا المجتمعية على أوسع نطاق من جهة أخرى، مع الأخذ بعين الاعتبار المحافظة على سلامة العملية الاتصالية واحترام المبادئ الجوهرية للفعل التواصلي بأبعاده العلائقية التي ترتبط بالذات والآخر والمجتمع. في هذا السياق، يمكن أن نستشف أن كل عامل من عوامل إثراء العملية الاتصالية يتسم بخاصية معينة، وهو ما تم تحديده من خلال الرسم البياني التالي:



2. 4. 1- خاصية الوفرة:

إن دمقرطة الاتصال التي رسختها مواقع التواصل الافتراضي، كضرورة تفاعلية ودعامة اجتماعية، استفادت من التحولات المتلاحقة لتكنولوجيات الإعلام والاتصال التي لا يقتصر دورها فيما تحدثه على المستوى التقني من تطورات تتسم بإنتاج غزير كمّا. تكمن الأهمية في استراتيجية تطويع هذا التطور، المرتكز على الوفرة، كخطة عمل تؤكد على القيمة المضافة التي تنجم عن تحقيق المطامح المنطلقة من الشخصي لتتجاوزته إلى الكوني، مفسحة المجال للفرد لتجسيد أفكاره وإثراء رأسماله الرمزي، عبر توفير أساليب تفاعلية مؤسسية لأشكال مختلفة في التعبير.

2. 4. 2- خاصية النجاعة:

يحتاج الارتقاء بالعملية الاتصالية إلى حسن توظيف الوفرة الأسلوبية لضمان النجاعة التي تساهم في الانفتاح على العالم بأسره، وتوسيع الفرد لشبكته العلائقية التي يلتقي فيها مع الآخر، ويثمن اختلافه كمكسب يثري مخزونه الرمزي، ويدعم هويته الجمعية.



وفرت استخدامات الفاييسبوك، المجال للاطلاع على مختلف القضايا وإخراجها من سياقها الضيق، وتشكيل موقف موحد تجاهها، في نطاق مواطنة عالمية، يتم من خلالها مواجهة كل ما يمثل تهديدا للبنى المجتمعية، وتشكيل جبهة دفاعية تشترك في رفضها للعنف بمختلف أنواعه ومظاهره، وتهدف إلى تحقيق قيم التعايش السلمي.

لا يقتصر تفاعل الفرد، أثناء تواصله عبر شبكة الفاييسبوك، على مشاغل مجتمعه فحسب، إنما يهتم بالقضايا والمستجدات في العالم، ويسعى إلى المشاركة، خاصة إذا كانت المسألة المطروحة تتعلق بالمساس بالمبادئ الأساسية التي ترتكز عليها الإنسانية.

وهو ما يجعل الرسالة أكثر قدرة على تحقيق غاياتها التي لا تتوقف عند حدث معين، إنما تتسم الجهود بالاستمرارية من أجل إزاحة العراقيل التي تولد الأزمات الاتصالية، "وفي مجتمع عالمي حتى الآن يحاول أن يحقق المطامح المنفتحة كونيا للصدقة على الإنسانية بأسرها، قد تصبح كلمة "المجتمع" مرة أخرى أرقى كلمة للاجتماع الإنساني".⁶⁵

2. 4. 3- خاصية التحكم:

لا تتحقق النقلة الاتصالية إلا بتحكم الفرد في ممارساته، أي تطويع الوفرة لصالح النجاعة، وهو ما يتطلب عقلنة الاتصال، في شبكة الفاييسبوك وفي الواقع الاجتماعي، أثناء عمليات التفاعل التي يجسد عن طريقها حاجته للاتصال كأسلوب تبادل وآلية تعبير وحاجة نفسية وضرورة اجتماعية.

تتجلى مسؤولية كل مستخدم في حسن التصرف بالطريقة التي تضمن للعملية الاتصالية إثراء تصاعديا، وتعديلا دائما، للتمكن من التجاوز النسبي لل"الانجراف" التفاعلي أو الغموض الرمزي وغير ذلك من المشاكل التفاعلية، ف"الاتصال في جوهره هو علاج لعيوب معارفنا وترابطنا، لكنه، أيضا العلاج الوحيد لعيوبه الخاصة، بالتالي، لا يمكن أن نأمل في أن يحقق الاتصال كملا مهما كان نوعه"⁶⁶.

إذن، تتسم النقلة الاتصالية بخصوصية الأساليب التفاعلية التي استغلها الأفراد للتعبير عن ذاتهم، ودعم رأسمالهم العلائقي والتأثير في واقعهم الاجتماعي وتكوين رأي عام عالمي، مع الإقرار بضرورة

⁶⁵ طوني بينيت ولورانس غروسبيرغ وميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة. معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، مصدر سابق، ص.598.
⁶⁶ Claude Gueguen, "Une société de l'information par la technologie, entre inquiétude et espoir", *Communication et langages*, n°107, (France, Armand Colin, 1^{er} trimestre, 1996), p.33.



التمتع بالحرية في الممارسات الافتراضية من خلال اختيار الأساليب الملائمة لبلورة التمثلات، مع الأخذ بعين الاعتبار للضوابط التي تستجيب لتوقعات الآخرين. في هذا السياق، نشير أن الحديث عن إثراء اتصالي في بعده الكمي والنوعي لا يعدو أن يكون سوى مستوى من مستويات تأثير استخدام الفايسبوك، ويجب الوقوف عند المستويات الأخرى وتحليل مظاهرها وانعكاساتها.

3- مساهمة الأساليب التفاعلية للفايسبوك في إحداث خلل اتصالي

3.0- تمهيد:

إن النقلة لا تعني بالضرورة التحسين والتطوير، إنما تؤكد في جوهرها على عدم الثبات في وضعية محددة، وتقوم على تغيير مستمر يتمشى مع ما يشهده السياق التقني، من ناحية، من تحولات متتالية، وما يعرفه السياق الاجتماعي، من ناحية أخرى، من أحداث لا تتفك تطرح القضايا في المجالين العمومي والافتراضي، دون أن ننسى دور الفاعل الاجتماعي، في هذين السياقين، ورؤاه المختلفة في التعامل مع الانفتاح الكوني على جميع المجتمعات بحضاراتها التي تتألف وتتباين خصوصياتها.

خول الاطلاع على بعض منشورات صفحات الفايسبوك رصد العديد من الظواهر التفاعلية، وتم تحديد العاملين البارزين اللذين ساهما في إحداث خلل يؤثر في العملية الاتصالية في الرسم البياني التالي:



سنحاول الإجابة عن تساؤلين أساسيين:

أولاً، كيف يمكن أن تتحول وفرة أساليب التفاعل في شبكة الفاييسبوك من مكسب اتصالي يفسح للفرد المجال لبلورة أفكاره والتعبير عنها، إلى عامل من عوامل التأثير السلبي في ملكة التفكير السليم؟

ثانياً، هل يملك مستخدمو الفاييسبوك الكفاءة الاتصالية اللازمة لتحديد المنهج الملائم الذي يجب اتباعه، من خلال تطوير أساليب الفاييسبوك التفاعلية لخدمة الأهداف الذاتية والاجتماعية، عبر تحكمهم في آليات الإنتاج والانتقاء؟

3. 1- تراكم أساليب التفاعل:

3. 1. 1- انقسام آراء الباحثين حول تأثير تراكم أساليب التفاعل:

لا تنفك شبكة الفاييسبوك في اقتراح أساليب وإضافة تطبيقات جديدة بصفة مستمرة، مفسحة بذلك المجال لمستخدميها لتجربة جميع أنماط التفاعل التي سنت قواعدها البسيطة ومبادئها الواضحة، مشكّلة بذلك منظومة رمزية تم الاتفاق حول مدلولاتها.

أثنى بعض الباحثين على الوفرة في الأساليب، وأشادوا بما تقدمه من إمكانيات كبيرة للاطلاع والإثراء المعرفي في كافة الميادين، و"تصفح" العالم بأسره من خلال الإحاطة بأحداثه بصفة فورية، إلى جانب اكتساب خبرات والخوض في نقاشات لبلوغ غايات عدة منها الإعلام والتفسير والإقناع ونقل تراث اجتماعي وثقافي.

لكن، هناك من اعتبر هذه الإستراتيجية المتبعة لا تحترم خصوصيات الذات البشرية، ولا تهدف إلى تعزيز سماتها كذات فاعلة، إنما تحرص على اختزال خصائص المستخدمين ضمن شبكة من البيانات، التي تستعرض جملة من المعطيات والمؤشرات التي يمكن معالجتها تماماً كآلة بطريقة علمية دقيقة، ليغدو الفرد بدوره رقماً يستخدم في معادلة للحصول على النتيجة المرجوة.

يمكن قياس الاستخدامات في شبكة الفاييسبوك لتقنين الممارسات والعلاقات، وهو ما يقوم به الباحثون الذين يلجؤون إلى منهج تحليل الشبكات الاجتماعية المعتمد أساساً في ميداني التسويق والاتصال



الإشهاري، حيث "أضحى الإنسان والآلة مجالاً لتمرير المعلومات تحت تأثير تعزيز التبادل كقيمة معنوية وتكنولوجية واجتماعية"⁶⁷.

انقسمت الآراء أيضاً حول تأثير تراكم أساليب التفاعل في الهوية إلى وجهتي نظر مختلفتين: تعزز النظرة الأولى الجانب الفردي للهوية، ومنحه مساحة للظهور، وأخذ استقلاليته من القوالب الجاهزة والمخزون الرمزي المنمط على مستوى التصورات والممارسات، وهي ليست استقلالية قطيعة وتوقع، إنما على العكس تجعل من الهوية الجمعية أكثر ثراء وتنوعاً وانفتاحاً، حيث ينبثق الاعتراف المتبادل بين السمات المميزة لكل هوية.

تمنح أساليب التفاعل في شبكة الفاييسبوك لكل مستخدم فرصة إعادة بلورة هويته، من خلال عمليتي مساءلة واختيار مستمرين، باعتبار أنها ليست هوية ثابتة وإنما متحولة ومتطورة، حسب ما تتطلبه الحاجات النفسية والاجتماعية والاتصالية لكل فرد، وتخول له هذه الأساليب إمكانية التجربة والاختبار قبل القبول بالصورة النهائية التي سيقدمها عن ذاته، في الشبكة الاجتماعية الافتراضية، كما أنها ليست هوية ضيقة، وإنما يمكن لصاحبها توسيعها من خلال إنتاج الرموز، والتعبير عن وجهات النظر استناداً إلى الترسانة التفاعلية التي تخول له ضبط موقعه التفاعلي (الاقتراح. الدفاع. التشجيع. النقد. الرفض...).

تعتبر وجهة النظر الثانية أن انسياق المستخدمين لتشكيل هوياتهم الذاتية بهذه الطريقة، والركون إلى ما يوفره الفاييسبوك من أساليب تفاعل يشكل خطراً على المخزون الرمزي الجماعي، وعلى الأسس التي ترتكز عليها شخصية أفراد المجتمع الواحد التي تعتبر هامة، فالبحث عن الخصوصية الذاتية في تشكيل الهوية قد يجعل المستخدم يتخلى، عن وعي أو دون وعي، عن هويته الجمعية التي تمنحه الانتماء، ودونها قد يغدو نكرة، أو يحتاج في كل مرة إلى البحث عن تعريف لهويته.

تم التنبيه أيضاً إلى "خطر الهوية الجاهزة"، أي أن المستخدم لا يقوم بتشكيل هويته والمحافظة على خصائصها ودعمها وإثرائها بالبحث والإنتاج والتساؤل والتغيير، وإنما يختار هوية من بين جملة من الخيارات الممكنة، على أساس تلبينها لمتطلباته الآنية، وبذلك تغدو الهوية ذاتها شبيهة بسلعة، قد تصلح لاستعمال واحد، ليتم استبدالها بأخرى حسب الطلب وحسب ما تقتضيه الوضعية وحاجة الفرد.

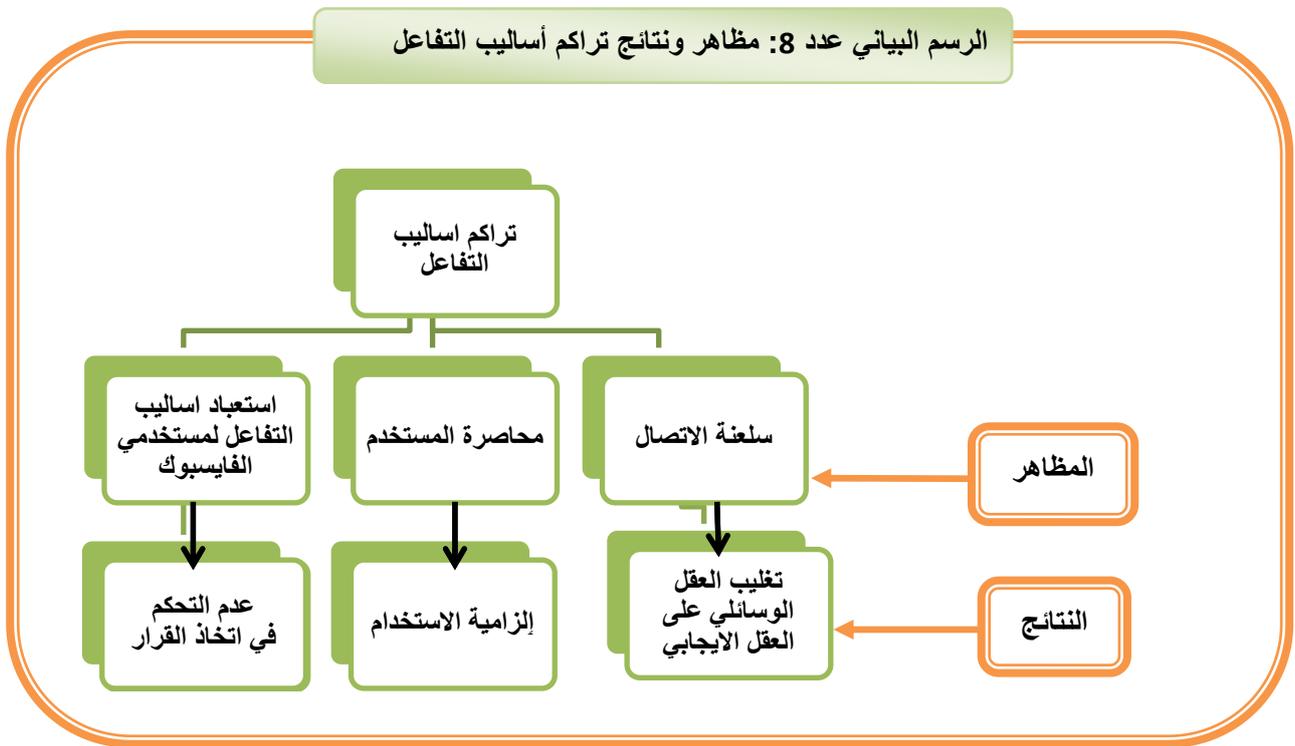
⁶⁷ Louise Merzeau, "Les périmètres de la personne en hypersphère", *Médium*, n24-25, (France, Gallimard, Juin 2010), p.220.



إن اللجوء إلى "الهوية الجاهزة" قد يعود المستخدم على الانسياق والاستسهال إلى درجة يغدو فيها استخدام أساليب التفاعل في شبكة الفاييسبوك عادة لا يمكن الاستغناء عنها، وقد يسعى الفرد إلى محاولة متابعة مستجدات التيار الافتراضي إلى درجة لا يستطيع الفكك منه.

3. 1. 2- مظاهر ونتائج تراكم أساليب التفاعل:

يبرز الرسم البياني التالي مظاهر ونتائج تراكم أساليب التفاعل:



سيتم التطرق إلى كل مظهر من مظاهر تراكم أساليب التفاعل في الفاييسبوك والنتيجة المرتبطة به على حدة لنستشف مدى صحة تسبب تراكم أساليب التفاعل في خلل في العملية الاتصالية وفي العلاقات الاجتماعية، إضافة إلى التوقف عند تأثيراتها في الهوية الذاتية والجمعية.



3.1.1. 1- سلعة الاتصال: تغليب العقل الواسلي على العقل الإيجابي:

في هذا السياق، نتساءل:

- هل الأساليب التفاعلية لشبكة الفاييسبوك هي المسؤولة عن التأثيرات، سواء كانت داعمة أو مساهمة في الخلل، أم المستخدم وكيفية تطويعه لهذه الأساليب على مستوى الإنتاج والتلقي؟
- ماهي أهداف المستخدم من خلال عمليات التبادل التفاعلي في شبكة الفاييسبوك: هل يبحث عن تبادل الأفكار أم تغليبها؟ هل يروم إثراء الذات أم تسويقها؟ ماذا ينتج المستخدم في شبكة الفاييسبوك من مضامين معززة لظاهرة سلعة الاتصال؟

3.1.1.2. 1- سلعة الاتصال:

إن مصطلح سلعة الاتصال (la marchandisation de la communication) اقترحه أساسا برنار مياج (Bernard Miège) الذي يرى "أن كل تكنولوجيات المعلومات والاتصال التي ظهرت على مدى العشرين عاما الماضية تفعل ذلك، في نطاق السوق، ويمكن القول أيضا في إطار صناعي، ليس على مستوى صناعة الأدوات التقنية فحسب، ولكن، أيضا فيما يتعلق بالمضامين أو البرامج"⁶⁸.

أصبح لكل مستخدم قنواته الاتصالية الخاصة في شبكة الفاييسبوك، وله الحرية في تحديد استراتيجية تسويقه لذاته في أي ساعة يريد، ويمكنه التعريف بجميع ما يقوم به في يومه خطوة بخطوة، وإعلام الآخرين بذلك، سواء أولئك الذي في قائمة أصدقائه أو كل من سمح لهم بالاطلاع على محتويات حسابه الشخصي، "وبعبارة أخرى، إن هذا الشخص يقوم بالإعلان عن نفسه ويضع نفسه في الواجهة"⁶⁹.

في هذا الإطار، نورد بعض الأسباب التي تدفع المستخدم إلى ذلك:

⁶⁸ Bernard Miège, "Tics et société de l'information, état de l'art de la recherche", *Penser la société de l'information*, Actes du colloque, (Tunis 07 et 08 Avril 2005, Institut de Presse et des sciences de l'information et Fondation Konrad Adenauer), pp.24-25.

⁶⁹ Catherine Lejealle, "Etude scientifique : Sur Facebook, on publie mois quand on est amoureux", Propos recueillis par Hélène Decommer, *Le nouvel observateur*, publié le 17/02/2014, <http://leplus.nouvelobs.com/contribution/1147750-on-publie-moins-sur-facebook-quand-on-est-amoureux-les-3-phases-du-celibat-a-en-couple.html>



- الرغبة في التذكير المستمر بالحضور، "أنا أنشر على الفاييسبوك، إذن أنا موجود"، ورصد تحركاته لمنح قيمة مضافة لوجوده، في الواقع الاجتماعي وفي الشبكة الافتراضية.

قد يتم تفسير ذلك بخوف الإنسان من التهميش وتجاهل الآخرين له، لذلك يتكفل بتسليط الضوء في الفاييسبوك على أدق التفاصيل الشخصية. يمكن القول أنه "يبيع" خصوصياته ويستبدلها بالاهتمام والتفاعل.

- البحث عن التفاف الناس حوله والرغبة في احتلال المحور: تسويق الذات بواسطة التعريف بالسمات والميول والآراء، حيث يغدو الأمر شبيها بعملية إخبارية.

قد لا يجد المستخدم من يعير اهتماما ل"منتوجاته" المحيثة (mise à jour) لذاته ومميزاتها، أو بما يفعله، أو حالته الجسدية والمعنوية، ولا تلقى المنشورات تجاوبا يدفع للإقبال عليها، وهو ما قد يولد إحساسا بالاغتراب، وفقدان القيمة والحاجة إلى خطة تسويقية مغايرة لاسترجاعها.

لا يمكن إهمال مسألة التفريط في الخصوصية، حيث "مر الموت المعطن لكل خصوصية مرور الكرام دون أن يتفطن له المستخدمون الذين يقدمون معطيائهم الشخصية لمحركات البحث وللشبكات الاجتماعية دون التمحيص كثيرا في النتائج"⁷⁰، والإقبال على ترك أبواب الحياة الشخصية مشرعة، وإذا لم يدخلها متفاعلون بطريقة أو بأخرى، قد يعاني صاحبها من تأزم اتصال نتيجة "سكتة" إعجاب أو تعليق.

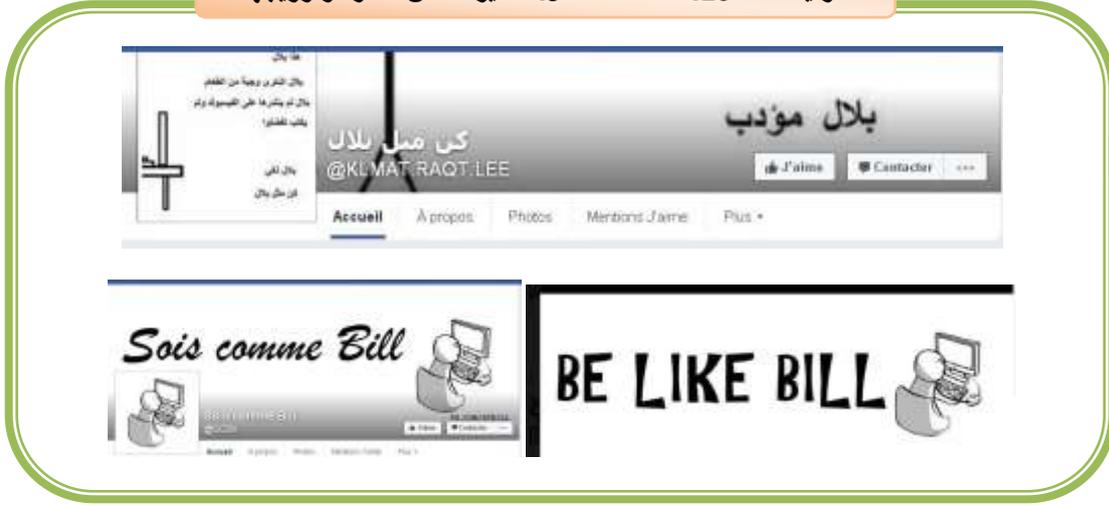
أ- استيراد نفس الفكرة وترويجها:

نرصد، في هذا الإطار، ظاهرة إنشاء صفحة بلغة معينة لغرض محدد، ثم بعد فترة، تبعث صفحات أخرى شبيهة لها ومماثلة أحيانا إلى حد التطابق لا فارق بينها سوى اللغة، يبعثها قائلون بالاتصال مختلفون، أي أنه ليس نفس المستخدم يبعث صفحات لفكرته بلغات مختلفة لترويجها حتى تلقى انتشارا أوسع، وتدرج الوثيقة التالية أمثلة عن ذلك:

⁷⁰ Louise Merzeau, "Les périmètres de la personne en hypersphère", ibid, p.222.



الوثيقة عدد 26: سلعة الاتصال: استيراد نفس الفكرة وترويجها



يتم تقديم نسخ متعددة لنفس المنتج: هل يستجيب ذلك للحاجة الاستهلاكية؟ أم يشكل فائض إنتاج باعتبار أن القائم بالاتصال لا يقدم منتوجا جديدا، إنما يكتفي بالتقليد، ما قد يجعل "منتوجه" لا "يباع" لعدم الإقبال عليه بصفة كبيرة، خاصة إذا كان محتواه أيضا نسخة مطابقة للأصل، أم أن هذه الوفرة، وإن كانت المضامين متشابهة، تمنح فرصة أكبر للمنتوج الأصلي، وتلقى رواجاً بانتشارها في نسخ أخرى بلغات مختلفة، نظراً لما تلعبه اللغة من دور جوهري في استقبال الرسالة والقدرة على تأويل رموزها؟ نلاحظ تشابهاً في المضامين الثلاثة على مستوى اختيار اسم الشخصية، والإخراج الفني وشعار الصفحة (كن مثل بلال (Sois comme Bill, be like Bill).

قد يتم اختيار السبب الذي يدفع إلى الاقتداء بالشخصية، واعتماد أحد مضامين المنشورات وجعله صورة للصفحة (photo du profil)، وفي صورة الغلاف (photo de couverture) تعريف بالسمة الأساسية للشخصية (بلال مؤدب. بلال ذكي...)، وخطاب جاذب (كن مثل...)) للحث على معرفة خصال الشخصية والتعرف عليها أكثر وعلى ممارستها، لذلك يتم إيراد مثال عن سلوكها في صورة الصفحة، ما قد يدفع إلى التصفح. إذن، يتم ترويج نفس الفكرة، التي غدت بمثابة سلعة تباع على مستوى شبكي واسع، باعتماد الفايسبوك كقناة تسويقية.

نرصد في هذا السياق تنميطة للأفكار باعتماد نفس المادة الأولية لبعث نفس المنتج وعرضه كسلعة، وهو ما يبرز عدم الاجتهاد والابتكار.



قد يتمثل الخلل الاتصالي في الفكرة في حد ذاتها، ومحاولة "تعليب" الممارسات التي يعتبرها القائم بالاتصال نموذجية ويجب الاقتداء بها، ويؤدي الإقبال عليها إلى التخلي عن الممارسات السابقة التي تحمل بصمة الفاعل الاجتماعي وتفردته، وقد تكون النتيجة إقصاء الاختلاف والتنوع، والخوف من اتباع سلوك آخر غير ذلك الذي يتم الترويج له وأقبل عليه الآخرون إقبالا كبيرا.

في نفس الإطار، يدعم نموذج التفاعلية الرمزية في جوهره فكرة السلعة، ف"باختصار، التفاعلية الرمزية هي كما ذكر برنيس فيشر (Berenice Fisher) وانسلام سترانس (Anselm Strauss) قاعة مزاد (salle des ventes) أين نجلب ونشترى ما نريد"⁷¹. بالتالي، مستخدم الفايسبوك مطالب باختيار الممارسات وإتقان لعب أدوار الآخرين، وتبني سلوك معين دون آخر، حيث يقوم بعرض نفسه، مع الأخذ بعين الاعتبار كيفية تلقي الآخر للمضامين التي ينتجها، أي هناك تنبؤ وتحضير للحصول على النتيجة المرجوة.

ب- استخدام مبدأ العرض والطلب:

يبيدي القائمون بالاتصال في الفايسبوك، ما يسمون بال (admins / أصحاب الصفحات)، استعدادا لإنتاج مضامين حسب الطلب (sur commande) تتفق مع الحاجات المختلفة، وهو ما يمكن رصده من خلال الوثيقة التالية:

الوثيقة عدد 27: سلعة الاتصال: استخدام مبدأ العرض والطلب

المضمون الثاني



المضمون الأول



انا غادة



انا خليل



المضمون الرابع

المضمون الثالث

نلاحظ أن الإخراج الفني بسيط وموحد فيما يتعلق بالصورة (صورة ذكر وأنثى)، تم رسمها ببعض الخطوط، وهي رسوم لا تتطلب مجهودا كبيرا أو براعة فنية، حيث تستخدم وتعتمد بهذه الطريقة المتداولة لما يحملانه من دلالة واضحة لدى المتلقي، إضافة إلى التأكيد أن المنتج الذي سيتم تقديمه بعد التوصية عليه، يمكن للمستخدمين من الجنسين الحصول عليه.

أصبح المضمون منتجاً للبيع وجلب الجمهور لغايات نفعية تتمثل في كسب نسب تفاعل عالية، كلما زاد الإقبال على طلب المنتج الخاص بكل مستخدم، إذن هناك استراتيجية شد (A.I.D.A: Attraction. Intérêt. Désir. Achat)، عبر توليد الرغبة وإثارة الاهتمام للدفع لعملية "الاستهلاك".

اعتمدت المنشورات أسلوب الإقناع الإشهاري، ولجأت إلى أنماط الاتصال التسويقي وقواعد المنطق التجاري من خلال الأسلوب المباشر لجلب انتباه المستخدم (إنت أيه أنت) فيه تأكيد أن الأمر يهمه ليستمر في الاطلاع على بقية المضمون (كان تحب اسمك في باج ابعت ميساج)، وهو خطاب لفظي باللهجة العامية التونسية التي تجتمع فيها العبارات الفرنسية.

إضافة إلى اعتماد شعار فيه جرس موسيقي موزون (باج. ميساج)، ويتسم بالتحديد والاختصار، وبيان سهولة تحقيق الرغبة التي سيتم تنفيذها بشكل فوري، ولا يتطلب الأمر من المستخدم مجهوداً (مجرد إرسال اسمه).

يتكرر شعار (كون كيفي أنا) أو حضور الأنا في صورة الصفحة مع إضافة (كون ذكي) في نهاية كل مضمون من مضامين التي تحمل أسماء مختلفة، وتوليد الرغبة لدى كل شخص أن يكون نموذجاً، وهي طريقة استمالة لا تركز بدورها على الموضوعية، فالخصائص المذكورة قد تتفق جزئياً مع السمات الشخصية لأصحاب الاسم وقد لا تمت له بصلة.

تتمثل الإجابة عن سؤال: "كيف يمكن لأصحاب الخدمة الافتراضية معرفة خصوصيات الحريف؟"، في الاعتماد على الاسم، واختيار جملة من الكلمات التي لها نفس الوزن مثل (خليل. طويل. الليل. عليل. جيل. عزرائيل. ويل) أو (غادة. عبادة. عادة. جادة. بلادة. قرادة. سادة)، ثم القيام بصياغة الجمل، وهو ما قد يجد صدى لدى المتلقي، فالكلام المسجوع تستقبله الأذن بصفة سريعة.



يورد الخطاب اللفظي خصائص تتسم بالعمومية، وتبتعد عن الدخول في عمق شخصية المستخدم (منيش قصير ومنيش طويل)، (تعجبني سهرية الليل. يعجبني النسيم العليل.. جوي كان مع صحابي...)، وذكر صفات مميزة تجعل المستخدم يتفوق بها على البقية أو يجمع جملة من السمات الإيجابية: ذات تشعر بالتفوق والكمال (نحس بمخي أكبر من ها الجيل. أنا زين وعين وتربية وعبادة).

يشتمل الخطاب على قسمين: قسم فيه مدح للمستخدم صاحب الاسم، والقسم الثاني فيه ذم للآخر الذي لا يقر بهذه الصفات، كما يتم تضخيم قدرات صاحب الاسم في التعامل مع الغير (إلى يظلمني نوليلو عزرائيل ونوريه الويل).

إن هذه الطريقة في عرض الذات، التي لا تتعامل مع الآخر على أساس النقاش ومحاولة توطيد العلاقات وتحسينها، وعدم معالجة الظواهر السلبية (الظلم. النميمة...) بأسلوب متحضر وفعال، هي مجرد تهديد كلامي وشم وتحقير (فمهم كي الجبادة. لاسقين فيا كالقرادة. عملتو العار يا سادة). إذن، يشجع هذا المنتج المستخدم على منح ذاته مكانة محترمة وقوة معنوية كلما حقر الآخر.

في المضمون الثاني، تتحول صفحة فايسبوكية إلى وكالة إخبارية تبيع منتوجا "مختلفا"، من حيث النوع ومن حيث الهدف وآليات الإنتاج والاستجابة لحاجة اتصالية هي التي خلقتها، وتعتمد إلى إقناع المستخدمين للإقبال عليها.

يعرض المضمون، من خلال خطابه اللفظي، الخدمات المقدمة (لتحميل اسمك الجميل. للتببير على صديق حقير. للحبيبين السعيدين)، وهي خدمات تستجيب لحاجات عاطفية، حيث تم الاكتفاء بوحدة فحسب من جملة الاستمالات الممكن استخدامها في الرسالة الإقناعية، وهي الاستمالة العاطفية وتجاهل الاستمالة العقلانية.

بالتالي، استغلال الجانب الانفعالي والانزياح عن الموضوعية عمدا، كما نرصد تناقضا بين (كلمات زي الفل للناس الكل و (للتببير على صديق حقير) فالتناء لا يتمتع به إلا الحريف.

ما يمكن استنتاجه من هذا الخطاب، هو عدم احترام الصداقة كعلاقة اجتماعية وقيمة إنسانية، والاستعداد للتكفل بتعويض المستخدم للحظ من شأن صديق اختلف معه نتيجة تباين في الرأي أو خصام.



قد يكون المراد من جملة (ابعث مرة و ثنين) التأكيد أن الخدمة تلقى إقبالا كبيرا، لذلك يجب الطلب أكثر من مرة حتى يتم الاستجابة، ولتعزيز فرص صاحب الاسم - الحريف، في تحقق ما يريد.

في هذا السياق، يبرز معطى من معطيات الخلل الاتصالي، فإذا كان هذا المنتج لا يركز على المنطق، يمكن تفسير الإقبال الكبير على المنتج بتأثير تراكم التعرض والتكرار الذي يؤدي إلى الانسياق.

إذن، هناك نوع من الانقياد وراء هذا الاستهلاك الذي لا يكلف شيئا، إذا لم يتم التفكير بدقة في باطن المسألة، فالظاهر يوحي بأن العملية لا تحتاج سوى القليل من الوقت، وهي مجرد تجربة على سبيل الترفيه والاطلاع على النتيجة، التي يضمن المستخدم انطلاقا من التجارب السابقة المعروضة في الصفحة، أنها ستكون لصالحه، وسيتلقى المدح، وربما إكسابه ميزات لا يتمتع بها (بيع الوهم وتسويقه)، ويفخر بها أمام بقية المستخدمين.

لكن، تمثل هذه المضامين، في حد ذاتها، مشكلا من شأنه تهديد العملية الاتصالية، فالذي لا يسبب ضررا، وفي ذات الآن لا يقدم إضافة، يعتبر حشوا اتصاليا، سببه استسهال اللجوء إلى الأساليب التفاعلية، ليغلب الكم النوع.

إذا تم تجميع بعض من هذه المضامين، سنجدها على مستوى الإخراج نسخا متشابهة⁷²، يكمن الاختلاف في الخطاب اللفظي فقط، الذي يشمل أطرافا متعددة يتجه إليها المنتج منها نوادي رياضية لكرة القدم (النجم الرياضي الساحلي. الترجي الرياضي التونسي. أنا النادي الإفريقي. أنا النادي الصفاقسي...)، وأسماء أشخاص (صابر. عبير. مالك. زينوبة....) وشعب الدراسة (أنا باك تقنية) وأسماء الولايات (الحمامات) والمهن (أنا الأستاذ)، وذلك في محاولة لإرضاء جميع الأذواق وترويج السلعة (الخطاب اللفظي)، كما يعلن العنوان مناسبة (اليوم عيد ميلادي)، وهو مضمون قابل للتسويق على أوسع نطاق، حيث يمكن لأي مستخدم استغلاله ونشره في حسابه الشخصي يوم احتفاله بذكرى ميلاده.

نتحدث عن "متاجرة" تفاعلية بالأسماء، فالإطار جاهز مسبقا لا يتم تغييره، فهو قالب يتضمن الصورة والشعار، والاكتفاء بإضافة الخطاب اللفظي الذي يوجه رسائل تستجيب لما ينتظر أن يقرأه المتلقي لمنحه قوة معنوية افتراضية عن طريق المبالغة (جابت لدنيا هذه الأسطورة. من غير فخرة الدنيا ولات دنيا أخرى).

⁷² انظر الوثيقة عدد 28 في الملاحق صفحة 229



نرصد العنف اللفظي الذي برز من خلال التناقض بين حالتين يمر بهما صاحب الاسم (قلبي صافي كي البلارة / تضرني نذوقك المرارة - قمة في الطيبة والإحساس أنا كلي فيناس / تغلط معايا نضربك بمهراز - طبيعتي طيارة / تضرني.. نطيشك في شكارة)، ودعم الفردانية المتطرفة (اشكون يقول عكس كلامي يبعد من قدامي)، وتقديم نظرة محبطة عن الواقع (بعد الناس الكل تقعد بطالة) وتقديم العلم على أنه عبء (مازالو يتنفسو زيدهم قراية)..

لا يستطيع هذا النوع من الصفحات الاستمرار على المدى الطويل، فالمستخدم يبحث عن الخدمات الأكثر جدة وطرافة، ومن تحصل على منشوره الخاص لن يكرر ذلك لأنه أشبع رغبته، وينتقل إلى صفحات أخرى تعرض بدورها منتوجها الاتصالي.

ج- تحويل مستخدم الفايسبوك إلى حريف يبحث عن المنتج المخصص له:

قد تقدم الصفحات الفايسبوكية نفس المنتج، أي نفس الفكرة والانطلاق من اسم لإنتاج خطاب لفظي، لكن، بإخراج فني وتسويقي مختلف، إضافة إلى توفر المنتج المعروض مسبقا، ففي هذه الصفحة يتم نشر عدد كبير من الأسماء، وما على المستخدم سوى البحث عن ضالته، وضغط زر المشاركة ليتقاسمه مع الآخرين، في شبكة الفايسبوك تدرج الوثيقة التالية بعض الأمثلة من المضامين:

الوثيقة عدد 29: سلعة الاتصال: تحويل مستخدم الفايسبوك إلى حريف يبحث عن المنتج المخصص له



نستشف من خلال هذه البطاقات المعروضة إدراك منتجها حاجة المستخدم إلى تعريف الذات من طرف الآخر، وتوقعه الإقبال على منتوجاته واستهلاكها بنشر صورة "معلبة" في صفحته الخاصة للتعريف بخصاله، والغرض من هذه الممارسة التفاعلية جعل الذات مركز اهتمام تفاعلي.

ما يمكن ملاحظته من خلال الخطاب اللفظي في المضامين المدرجة في الوثيقة:

أولاً، التركيز على الجانب الفيزيولوجي والمرابحة بين جمال العيون والصوت والابتسامة (وفيك من الجمال. وأي جمال بعد عينك يذكر. من أي أوتار الجمال خلق صوتك...).

ثانياً، عدم تطابق الخطاب اللفظي مع ما هو ممكن في الواقع (وفيك من الجمال ما يلفت نظر الأعمى. شبهت الجمال بك فبكي خجلاً...)، وذلك تلبية لحاجة بعض المستخدمين إلى الثناء، حتى ذلك الذي يتجاوز المنطق، لتعزيز الثقة.

ثالثاً، تكرار نفس الخطاب اللفظي لأسماء مختلفة (ليندا / مي: في ابتسامتك تجتمع تفاصيل الجمال. نهلة/ رانيا: سبحان من اختصر كل أحلامي بلون عينيك).

رابعاً، تكرار خطأ لغوي في المنشورات التي تركز على جمال العين (أمام عينك. بلون عينك...).

نستخلص من هذه الملاحظات أن هناك "سلعنة" للخطاب اللفظي، وإنتاج دلالات على أساس غير موضوعي، باعتبارها تولد انطلاقاً من اسم علم في المطلق، مجرد عن أصحابه الكثر، والأکید أنهم يختلفون من حيث الصفات الفيزيولوجية ومواطن الجمال، لذلك يتم اللجوء إلى التعميم والصيغ الفضفاضة.

إذن، يتمثل الخلل الاتصالي في إنتاج مضامين دون الحاجة إلى التعرف على شخصية صاحب الاسم، التي قد لا تحمل الصفات المذكورة، وهي استراتيجية تسويقية لضمان التفاعل الإيجابي، من خلال الإقبال على المنتج واستهلاكه والتعبير عن الإعجاب أو نشره في الحساب الخاص أو إهدائه، وأدت هذه السلعنة الاتصالية إلى تغليب العقل الوسائلي على العقل الإيجابي.



3.1.2.1- تغليب العقل الواسائي على العقل الإيجابي:

إن مصطلح "تغليب العقل الواسائي على العقل الإيجابي" هو من اقتراح مدرسة فرنكفورت (école de Francfort)، التي تعتبر أول مدرسة فيما أطلق عليه بالتيار الناقد في مجال دراسات الاتصال.

تم استخلاص هذا الاستنتاج بعد تحليل منظري هذه المدرسة جملة من المضامين الثقافية في ارتباطها بالسياق السياسي، وهو ما جعلهم يختلفون، في الإطار البحثي، عن نظرية الثقافة الجماهيرية، وإن انفقوا مع جوانب من أطروحات هذه النظرية التي اعتبرت أن ما تقدمه وسائل الاتصال الجماهيري سلع ثقافية ممسوخة من شأنها تعويد الجماهير على استهلاك كل ما هو سخيّف.

نطرح في هذا السياق ثلاثة تساؤلات:

- أولاً، إلى أي مدى يتم استغلال هذا الفضاء الافتراضي للإنتاج العشوائي للمضامين نظراً لغياب حدود تمنع الإنتاج المستمر، فالمستخدم يمكنه أن يبعث قدر ما يشاء من الصفحات في يوم واحد، إذا ارتأى أن ذلك يستجيب لمصلحة من مصالحه، وإن كانت هذه الغاية مجرد استخدام لهذا الأسلوب التفاعلي فحسب؟

- ثانياً، هل يخصص المستخدم وقتاً للتفكير وإعمال العقل أم أنه يستهلك فحسب دون تمحيص، خاصة مع الإقرار بأنه "في عالم يتميز بفيض الصور والخطابات والمعلومات، يسرقنا الحدث ويجعلنا عمياناً"⁷³؟

- ثالثاً، إلى أي مدى يمكن الحديث عن ثقافة افتراضية من نوع جديد تتبلور من خلال المضامين التي ينتجها وينشرها ويتقاسمها المستخدمون ويتفاعلون معها؟ هل يمكن اعتبارها ثقافة ترويجية استهلاكية بالدرجة الأولى؟

⁷³ Alain Bertho, Nous autres. Nous mêmes. Ethnographie politique du présent, (Broissieux, Editions du croquant, Mars 2008), p.9.



لن يتم إدراج مصطلح "تغليب العقل الوسائلي على العقل الايجابي" في السياق الذي اختارته مدرسة فروكفورت، فالإشكالية مختلفة من حيث القناة الاتصالية والرسالة وأطراف العملية الاتصالية الافتراضية، لذلك نستخدم المصطلح لأهميته وقدرته على التعبير عن الفكرة فحسب.

أ- تغيب عقلنة الممارسة الاتصالية:

تتضمن الوثيقة التالية جملة من المنشورات التي تشترك رسائلها في نفس الهدف الاتصالي التفاعلي:

الوثيقة عدد 30: تغليب العقل الوسائلي على العقل الإيجابي

المضمون الثالث	المضمون الثاني	المضمون الأول
<p>هذه سعاد والدة بلال.</p> <p>سعاد تعلم أن الألعاب الـ ONLINE لا يمكن توقيفها مؤقتاً ، لذلك سعاد لا تضغط على بلال وترعجه عندما تراه</p> <p>يلعب ONLINE والدة بلال ذكية .</p> <p>كوني مثل والدة بلال .</p>	<p>Ça c'est Bill</p> <p>Bill crée une page sur Facebook.</p> <p>Bill a eu 200 J'aimes sur la page.</p> <p>Bill est heureux.</p> <p>Sois comme bill</p>	<p>Ça, c'est Bill</p> <p>Bill reçoit un message.</p> <p>Bill répond tout de suite.</p> <p>Bill est intelligent.</p> <p>Sois comme Bill.</p>

ترتبط المنشورات بموضوع معين، وإن اختلفت طريقة تناوله في كل واحد منها وتركيزه على جانب من جوانبه، لكنها، تعتمد أسلوباً موحداً، سواء في الصورة التي تمثلها الشخصية، وحتى في بنية الخطاب وطريقة هيكلته، حيث يبدأ بالتعريف بالشخصية (ça c'est Bill)، هذا سمير، هذه سعاد والدة بلال) لينتهي بنفس الجملة المعهودة الحائثة على الاقتداء بالنموذج (sois comme Bill)، كن مثل سمير، كوني مثل والدة بلال)

بالتالي، تم تحديد الاختيار الاستراتيجي لكيفية تقديم الرسالة بصفة نهائية، ولا يحتاج، حسب صاحب المضامين إلى تغيير، فهو بمثابة الواجهة الجاهزة دائماً لتعبئة خطاب لفظي.



يندرج الموضوع في سياق العملية الاتصالية، في شبكة الفايسبوك خاصة والفضاء الافتراضي عموماً، والحث على استخدام الأساليب التفاعلية بطريقة معينة، وانتهاج سلوك دون آخر، وهنا نتوقف عند حرص المستخدم نفسه على تشجيع الأساليب التفاعلية.

إذن، نجح الفايسبوك، بطريقة ما، في التأثير في المستخدمين إلى درجة حصول قناعة عندهم للإقبال على هذه الأساليب من جهة، وإدراجها في صلب عملياتهم الاتصالية من جهة أخرى، والبحث عن تعزيز استخدامها بطرق مختلفة، وهو ما يجعل الاتصال الافتراضي يتغلغل في الوجود الإنساني المعيشي اليومي.

قد يكون الأمر إيجابياً، ولا يشكل في حد ذاته خلافاً، وذلك إذا تم استغلال هذه الأساليب التفاعلية لخدمة الأغراض التي تحقق الغايات التي تساعد على الارتقاء بالاتصال، ولا تحصره في أهداف ضيقة قد يكون خطرها على المدى البعيد أكثر من نفعها.

لعل من أهم بوادر هذا الخطر هدر الوقت، وتشكيل قيود من نوع آخر عوض التحرر، وتغييب المنطق في التعامل الاتصالي، والبحث عن الاستجابة الفورية فحسب دون رسم المستخدم لخطط قادرة على إثراء علاقاته وتطوير ممارساته.

في **المضمون الأول**، تم ربط ذكاء الشخصية بتصرفها الاتصالي الافتراضي (Bill reçois un message, Bill répond tout de suite): نتساءل هل يعتبر المستخدم غيباً إذا لم يجب بطريقة فورية على رسالة تلقاها في الفايسبوك؟ أليس حراً في الإجابة عنها في حينها إذا استدعى الأمر، أو يؤجل ذلك إلى وقت لاحق، أو لا يجيب، إذا لم يجد ضرورة لذلك لسبب من الأسباب، فقد يكون مشغولاً بشيء آخر، وقد لا يجد الخطاب المناسب لصياغته ويحتاج إلى التفكير؟

اشترط المرسل الحصول على إجابة حينية، عن طريق عملية اتصالية افتراضية، لمنح متلقي رسائله سمة الذكاء، إذن، هو بصدد تقييد نفسه من خلال الانتظار الذي ينتج عنه تأثير عكسي إذا لم تتم الاستجابة، إضافة إلى الحد من حرية الآخرين التفاعلية.

في **المضمون الثاني**، يتولى المستخدم القيام بالتسويق للأساليب التفاعلية لشبكة الفايسبوك، والتشجيع على بعث صفحة (créer une page) لسهولة الأمر أولاً، ولما يحقق من "سعادة" ثانياً، تلك السعادة المشروطة بالنجاح في استقطاب المنضمين، كعامل من عوامل إثراء رأس المال التفاعلي، كلما ازدادت نسب الإعجاب بالصفحة.



إذا قرر المستخدم إنشاء صفحة في الفايسبوك، ولم ينضم إليها أحد أو عدد قليل، فهل سيكون ذلك سببا في تعاسته، وتستبدل العبارة (Bill est heureux) ب (Bill est malheureux)، وهو ما يجعل سعادته لا تنبع من ذاته وإنما تحتاج لمستخدمي الفايسبوك لتتحقق؟

بالتالي، قد يطوع المستخدم هذا الأسلوب التفاعلي بطريقة لا تقدم له الراحة النفسية، بقدر ما يتحول إلى وسيلة ضغط نفسي ومولد لل"شقاء التفاعلي"، حيث غدا تحقيق رضاه الذاتي رهين التقييم التفاعلي.

لا يتوقف الأمر عند الشخصية، وإنما قد يتم اللجوء إلى أحد أطراف عائلة بلال، مثل والدته التي نجدها في المضمون الثالث (هذه سعاد والدة بلال)، والتي تم تقديمها كرسوم يشتمل على بعض الخطوط مع إضافة الشعر كعلامة تميز أنها أنثى، وبيان الوضعية التي تتعلق أساسا ببلال واستخدامه للتطبيقات التي يوفرها الفايسبوك والفضاء الافتراضي عموما، ووالدته تدعه يلعب الوقت الذي يشاء، فهي محيطة بشروط الألعاب على الشبكة.

يؤكد الخطاب اللفظي أن ألعاب الفايسبوك أهم من طلبات الأم، وإن كانت مستعجلة وملحة. إذن، تم ترجيح كفة لعبة افتراضية ترفيهية على كفة متطلبات الواقع بعلاقاته العائلية خاصة والاجتماعية بصفة عامة، فليس من حق الأم، حسب هذا المضمون، أن تطلب من ابنها التوقف لأي سبب كان، فذاك يعتبر إزعاجا، وعليها أن تتمتع بقدر من التفهم لتكون نموذجا للأم الذكية، وإذا فعلت العكس، وحثت ابنها على الكف عن اللعب، لمصلحته الشخصية مثل الاهتمام بدراسته أو لمصلحتها أو مصلحة العائلة، فهي تكون بذلك لا تتسم بالذكاء، وتجنبنا لذلك (سعاد لا تضغط على بلال وتزعجه عندما تراه يلعب online).

هناك تشجيع متطرف لفردانية قد تتعمق إلى درجة تسلم فيها التحكم إلى هذه التطبيقات التي جعلت للترويج عن النفس، فتنحول سبنا والمكوث فيه ممتع إلى درجة لا يفكر المستخدم في الخروج منه، بل بالعكس، يبحث عن السبل لإطالة البقاء فيه إلى أقصى حد ممكن، وإذا خرج مضطرا، يود العودة سريعا نظرا لشعوره بالانزعاج من واقعه الاجتماعي، ويحبذ الاتصال الافتراضي على الاتصال المباشر مع الأشخاص وحتى مع ذاته.

ب- تضخيم الأنا وتغييب "النحن":

تم اختيار بعض المضامين من صفحة معينة في الفايسبوك، "صفحة كون كيفي أنا"، وإدراجها في الوثيقة التالية لتوضيح الفكرة:



الوثيقة عدد 31: تضخيم الأنا مع تغييب نحن

المضمون الثاني

كون كيفي



المضمون الأول



انا zizou



انا جوجو



المضمون الرابع

المضمون الثالث

نرصد وجود شخصيتين (أنثى وذكر) في جميع المضامين، وهما شخصيتان ثابتتان لا تتغيران مع تغير الخطاب اللفظي، فالصورة بمثابة الأصل التجاري، إضافة إلى ذلك نلاحظ أن عنوان الصفحة مكتوب على ثوب الفتاة في جميع المنشورات.

كما أن هذه العلامة التجارية (marque déposée) التي تثبت هوية المنتج، ترد بصفة مستمرة، أسفل كل صورة من الصور، مع اختيار خط واضح وقابل للقراءة السريعة، لكن ما يميز هذا الشعار هو جعل ضمير المتكلم المفرد في قلب يتوسط جملتين تضمنهما الإمضاء، ألا وهما "كون كيفي" و "كون ذكي".



يمكن الاستغناء عن عبارة "أنا" ولا يتغير معنى الجملة، لأن "كون كيفي" تفي بالغرض، باعتبار ضمير المتكلم واضح من خلال تصريحها. بالتالي، هناك رغبة ملحة في توجيه رسالة مباشرة مفادها أن الذات هي محور الاهتمام في هذه الصفحة، وهي التي منحت الأولوية، وتتمتع بثقة في خصوصياتها إلى الدرجة التي تستدعي البقية إلى اتخاذها مثالاً.

إن إدراج قلب، كشكل دون غيره من الأشكال، لا يخلو من دلالة رمزية معلنة، باعتباره دليل الإعجاب أو المحبة، فالذات البشرية تحتاج إلى ذلك الإحساس الذي يثبت أنها تحظى بالتقدير من طرف الآخرين، كحاجة من الحاجات الضرورية لتحقيق التوازن، مثلما أكد ذلك ماسلو (Maslow) في مثلث الاحتياجات (Pyramide des besoins).

لكن، في هذا السياق، نجد أن الصورة خلقت نوعاً جديداً من وسائل تحقيق هذا الاكتفاء، فالمستخدم يتكفل بمنح نفسه هذا الشعور، والتعبير لذاته عن قيمتها من خلال مضمون أنتج لأجل بلوغ الغاية، فالخطاب اللفظي تم إنتاجه عمداً على لسان صاحب الخدمة أي المتلقي- المستهلك، فالمستخدم يعرف نفسه.

إن الاعتراف عملية تبادلية، فكما يحتاج الفرد إلى الاعتراف به كذات محبوبة من طرف الآخرين، مطالب بدوره أن يعترف بالآخرين كذوات لها ميزاتها الخاصة التي تمنحها قيمتها الوجودية، على أن هذا الإقصاء المطلق للآخر، مع منح الذات مكانة جوهرية لا مثيل لها (أنا الأصل والباقي التقليد)، يعتبر تضخيماً للأنا، تبلغ حد اعتبار الفرد نفسه أفضل من الآخرين، وأن ذاته فحسب تستحق الإعجاب والاهتمام.

نرصد، في **المضمون الأول**، التصريح بطريقة واضحة، وإن كانت غير مباشرة، عن غاية صاحب الصفحة، وهي الحصول على قدر كبير من التفاعل، باعتبار أن هذا المضمون قابل للاستهلاك من طرف جميع المستخدمين، فهو ليس منتوجاً موجهاً لشخص بعينه يتميز بذكر اسم علم محدد.

ينتظر صاحب الصفحة من نشر مضامينه جذب أكبر عدد ممكن من المطلعين على صفحته ومنشوراتها، وخاصة أولئك غير المنضمين لها، فيثير اهتمامهم مضمون تقاسمه أحد المستخدمين، فيقومون بزيارة الصفحة للتعرف على منشوراتها وما تقدمه من خدمات، قد تجذبهم إلى الانضمام أو تكرار الزيارة وتقديم طلب للحصول على المنتج الخاص بهم، وقد يجدون اسمهم في منشور من المنشورات، أي يجدون حاجتهم جاهزة ومعرضة، وليس عليهم سوى نشرها في حسابهم الخاص، وليس "سرقها".



يسلط القائم بالاتصال سلسلة من الدعاء بالسوء على كل من يسرق "منتوجه"، ولا يلتزم بالقواعد التفاعلية للسوق الافتراضية (إلي يسرق بلاش partager): أولاً، (يعطيه قصة في هاكي اليد)، ثانياً، (نشأ الله ما يلحق عالعيد)، ثالثاً، (و لا يارا نهار سعيد).

يزداد الدعاء عمقا في بعده السلبي من جملة إلى أخرى، وهي رسالة إقناعية تعتمد أسلوب التخويف، يدرج الخطاب اللفظي وعبدا لتحذير المستخدم من مغبة عدم الالتزام بالشروط التفاعلية، حيث تضمن الدعاء نيل عقوبة السارق الواردة في القرآن الكريم، ثم يتجاوز ذلك إلى تمنى الموت قبل بلوغ العيد، ليعمم الدعاء على حياة سارق المضمون برمتها وأن تخلو أيامه من السعادة، وهو عقاب "عادل" حسب تقييم صاحب هذا المضمون، وقد استحق المستخدم ذلك (خاطرو بليد).

يمكن استخلاص ثلاث نقاط من **المضمون الأول** لهذه الوثيقة وتتمثل في:

أولاً، اختيار الجمل قائم كالعادة على التركيز على الكلمة التي تختتم بها الجملة، والبحث عن عبارات مشابهة لها في الوزن (التقليد. اليد. العيد. سعيد. بليد)، وذلك لمنح الخطاب اللفظي جرسا موسيقيا عند قراءته، وكطريقة لاستنباط الخطاب، وهو ما يجرده من الموضوعية، فهي عملية تفصيل للجمل حسب مقياس معين وليس على أساس المنطق.

ثانياً، توجيه خطاب لفظي تتعالى فيه الأنا على الآخرين قد يتسبب في خلل اتصالي، فالذات البشرية المتوازنة تبحث عن قيمتها وتقرضها بما تتسم به من خصوصيات تصقلها بصفة مستمرة، ولا تكتفي بالتعالي "الكلامي" وتقزيم الآخر للحصول على تميزها، فهي بذلك تفتتت من الوهم والهروب من المواجهة الفعلية، وتقصي نفسها عبر تغييب العقل الإيجابي الذي يدفع إلى الاندماج لتعزيز العلاقات الاجتماعية.

ثالثاً، نستشف المبالغة، فالأمر لا يستدعي كل هذا الكم من الدعاء بالويل والثبور والتعاسة والحرمان لمن ينشر مضمونا من هذه المضامين بصفة فردية وليس من الصفحة الخاصة بها.

وهو ما يدفع إلى الاستنتاج أن صاحب الصفحة مشغول بصفة كاملة بإيجاد السبل لتحقيق غاياته التفاعلية، مع إقصاء المنطق في المضامين التي يقوم بإنتاجها، وعدم التزامه بأدبيات التواصل اللفظي وما يتطلبه من احترام متبادل لكافة الأطراف، وليس الانحياز لصاحب الخدمة المطلوبة، مثلما هو الحال في المضمونين الثالث والرابع (أنا جوجو. أنا Zizou)، ومنحها القدرة على الفعل (إلي ياتق فيا نريقلو



أمور)، والثقة والافتخار بقدرات العطاء المعنوي (طبيعتي عسل وقلبي يهز الناس الكل / أنا ما نطيش ديما شامخ كي جبل).

من ناحية أخرى، تحقير الأطراف الأخرى المشتركة مع صاحب المنتج في عملياته الاتصالية، في الواقع الاجتماعي أو في المجال الافتراضي، التي يتم تصويرها بصفة شبه دائمة بصفة سلبية، فهي أطراف معرقة وحاقدة، للتأكيد العلني والضمني على الاختلاف بين شخص صاحب المنتج والآخرين، وبلوغ درجة تحقيرهم درجة كبيرة (هازم إلي ما يسواوش دورو)، واستسهال اللجوء إلى ذات الأسلوب، في كل مرة، إما الدعاء أو إكساب الآخر صفات تحط من كرامته الإنسانية بمنحه نعوت تجرده من قيمته (راك ورل و راسك كي السطل).

تدفع هذه الملاحظات إلى التساؤل: أي ثقافة في طريقها إلى التبلور والانتشار؟ : ثقافة القوة الافتراضية التي تبنى على أساس الخطاب اللفظي والتخلي عن الفعل الناجع لتجذير قيم الإنسانية في التعامل مع الآخر، ثقافة لا تقبل إلا من يشاطرها آراءها وتوجهاتها، وتكيل لمن يخالفها شتى النعوت السلبية وأقسى الشتائم؟ أي ثقافة هي التي تنبني رسائلها الاتصالية على توازن العبارات الأخيرة في الخطاب اللفظي، مهما كلف ذلك المعنى من تناقض أحيانا و"سخافة" حيناً آخر؟

بالتالي، يبرز جليا وجود أكثر من خلل في العملية الاتصالية الافتراضية نتيجة كيفية تطويع بعض المستخدمين للأساليب التفاعلية، وتحديد انتظارات معينة، والاكتفاء بمصالح ضيقة والاستهلاك العشوائي لهذه المضامين، ما يجعلهم خاضعين لسيطرة العقل الوسائلي.

3. 1. 2. محاصرة المستخدم: إلزامية الاستخدام والإدمان:

يمثل البعد الثاني من أبعاد تراكم أساليب التفاعل في شبكة الفايسبوك ومساهمته في إحداث خلل اتصالي، وهو ما يستدعي طرح جملة من الأسئلة لعل أهمها:

- إلى أي حد نجحت أساليب التفاعل الافتراضية في محاصرة المستخدمين؟ ماهي الآليات الموضوعية ضمن استراتيجية الفايسبوك الاتصالية لدعم هذا الحصار؟



- إلى أي مدى يمكن القول أن تراكم أساليب التفاعل في الفايسبوك أدى إلى السيطرة على المستخدم: الهيمنة على تفكيره وخياراته وممارساته، إلى درجة يخصها بالاهتمام دون غيرها من الوسائل التي تعتبر بدورها من مرتكزات بناء الشخصية وإثراء الثقافة؟

3.1.2.2.1- محاصرة المستخدم والسيطرة عليه:

تم تجسيد هذه الفكرة من خلال العديد من المضامين المنشورة في صفحات مختلفة في الفايسبوك، وتدرج الوثيقة التالية بعض الأمثلة التي تناولت نفس الموضوع من رؤى وتوقعات، وإن تباينت، فهي تلتقي في تشكيل وسائل الاتصال الحديثة بصفة عامة وشبكاتنا الاجتماعية الافتراضية، خطرا على الكتاب كرمز ثقافي:

الوثيقة عدد 32: الهيمنة الافتراضية: تأثير تكنولوجيا الاتصال ومحاصرتها للفرد

المضمون الأول



المضمون الثاني



المضمون الثالث



المضمون الرابع



تم الاكتفاء بتحميل الرسوم مهمة التعبير عن الموضوع، وهو اختيار فيه تأكيد أن الصورة تغني عن التعليق، لما تحمله من رموز قادرة على تبليغ جملة من الرسائل، لتقريب الفكرة وتوضيحها بعدة طرق تعبيرية منها الحكاية المصورة، مثلما ورد ذلك في **المضمون الأول**، ليتكفل المتلقي بمتابعة مشاهد الحكاية، حسب طريقة إخراجها، فيتبلور السيناريو الذي لا يحتمل تأويلات متباينة، فهو واضح ومباشر خاصة عند الوصول إلى المشهد الأخير.

نرى، في **المضمون الأول**، شخصا يقرأ كتابا وبجانبه هاتفه المحمول، وتضيء شاشة الهاتف للإعلام بأن رسالة وصلته فيطلع عليها، ويتكرر الحدث نفسه المتكون من ثلاثة مشاهد في كل لقطة. يختلف الفعل من طرف الشخصية عن المرة الأولى التي تلقى فيها رسالة هاتفه ثم أعاده إلى مكانه وعاد لمطالعة الكتاب، ليتماذى في المرحلة الثالثة في عملية التواصل عبر الهاتف المحمول، ويندمج ليس كمستقبل للرسائل فحسب، وإنما يقوم بالرد، فيمسك الهاتف بكلتا يديه ويتخلى عن الكتاب مفتوحا، ثم في المشهد الأخير من هذا السيناريو، نلاحظ غياب الشخصية التي يبدو أنها حملت هاتفها وأغلقت الكتاب تاركة إياه على الطاولة.

تم إدراج الكتاب مغلقا عمدا للإشارة إلى الاختيار الصريح للفرد، ووقوفه المعين في صف وسائل الاتصال الحديثة إلى درجة تتجاوز التخلي عن الكتاب مفتوحا، ففي ذلك تلميح لإمكانية العودة السريعة إليه، ولكن، هناك إشارة إلى الخطر الذي يهدد الكتاب بإغلاق صفحته للأبد لحساب وسائل الاتصال الحديثة وتطبيقاتها.

في **المضمون الثاني**، تم اعتماد الصورة المجازية، من خلال اعتبار هذه الوسائل "أسماك قرش" تحيط بعوامة الفرد الذي يطالع كتابا، ونجحت هذه الأسماك التي تحاصره في تحويل اهتمامه عن الكتاب والاتفات إليها، ليس هذا فحسب، بل نلاحظ قدوم سمكة قرش أخرى نحوه، وفي ذلك إشارة إلى تزايد هذه التطبيقات بصفة مستمرة وتضاعف حجم التهديدات التي تسببها.

في هذا المضمون، تم ترك النهاية مفتوحة، وهو تأكيد أن هناك خلل اتصالي تسببه هذه المحاصرة التي قد تنجح في السيطرة و"ابتلاع" الفاعل الاجتماعي، إذا لم يدافع عن حرية اختياراته ويتمسك بها، ولا يسمح لوسائل الاتصال الحديثة ب"التهام" عوالمه الأخرى.



يسوق **المضمون الثالث** إلى إحدى الفرضيات المحتملة، إذا تم تحييد وسائل الاتصال الافتراضية، والانسياق وراء تطبيقات هذه الوسائل، والانحياز إلى متطلباتها التفاعلية على حساب الكتاب أو غيره من الدعائم الأخرى.

نستشف رؤية مستقبلية ممكنة إذا استمر الفاعل الاجتماعي في هذا الخيار، إلى درجة قد ينقرض فيها الكتاب، ما يجعل الأجيال القادمة، التي نلاحظ أنها في هذا المضمون تحمل هواتف محمولة، لتصوير "الشيء الغريب" الذي وجدوه ملقى على الأرض.

تكثر في الصورة علامات الاستفهام لرصد ما يفكر فيه هؤلاء الأفراد المتعلقون حول هذا الجسم المثير للدهشة والخوف في آن، حتى أنه يتم محاولة التعرف على ماهيته واكتشافها باستخدام عصا، ولا يتجرأ أي منهم على لمسه أو حمله، وأحدهم يفكر في مركبة فضائية للتعبير عن تخمينه أن هذا الجسم قد سقط من مجرة أخرى غير كوكب الأرض، قد يكون في ذلك اعتماد مقصود للمبالغة للتحسيس بخطورة ما قد ينجر عن هذا الخلل.

عالج **المضمون الرابع** الموضوع بطريقة مباشرة عبر تجسيد الوضعية الراهنة بوضوح، عبر "شخصنة" وسائل الاتصال والكتاب، الذي نجده معصوب العينين ومختطفا من طرف هاتفين محمولين أو لوحتين رقميتين يحملان رشاشا، وفي هذا السياق، تم تشبيه العملية الاتصالية الافتراضية بعملية إرهابية ضحيتها الكتاب الذي يتم الاستعداد لقتله كرهينة محتجزة.

بالتالي، وسيلة الاتصال الحديثة في موقع القوة والفعل وملاحها فيها قسوة وغضب، وهو ما يشير إلى غياب إمكانية التراجع عن قرارها المتخذ ضد الكتاب، الذي ليس له سوى الاستسلام خاصة مع غياب من يدافع عنه ويخلصه من هذه الوضعية التي جعلته يعيش حالة من الحزن أكثر من الخوف، باعتبار أن الفاعل الاجتماعي هو الذي سمح أن يتكبد هذا المصير وأن تكون نهايته على أيدي وسائل الاتصال الحديثة.

تكمن أهمية هذه المضامين في رؤيتها التي لم تكن أحادية، أي أنها لم تقتصر على تصوير الوضع من زاوية واحدة، إنما هناك من رصد بداية خلل، وآخر تصور أن الفرد " يبحر " في هذا الخلل الذي يحاصره بأساليبه التفاعلية وعليه أن يحسن المواجهة، في حين ذهب غيره إلى أبعد من ذلك للإقرار أن هذا الخلل سيكون له تأثيرات سلبية في الحاضر والمستقبل.



- الاستراتيجية المعتمدة من طرف الفايسبوك لمحاصرة المستخدم:

تضع شبكة الفايسبوك في الاعتبار، عند دراسة السوق، المنافسين القادرين من خلال خدماتهم، على جذب الأفراد، وهي بذلك تضع احتمال خسارة هؤلاء المنجذبين إلى تطبيقات أخرى قد تنجح شيئاً فشيئاً في استقطاب المستخدمين، ولتجاوز هذا الاحتمال وتحويله إلى نقطة قوة، تقوم بضم هذا التطبيق لتغدو شبيهة بالشركة متعددة الهويات، فهي شبكة متعددة التطبيقات.

تم تعدد إدراج عبارة "شركة" للتأكيد أن الهدف الأول للفايسبوك هو محاصرة المستخدم بتقديم المنتجات الأكثر جذبا، وضمان الاستهلاك المتكرر حتى تغدو عادة استهلاكية ثابتة، من ذلك اختيار تطبيق الانستغرام (Instagram) مثلا، فالمستخدم يقبل بشدة على الصور التقاطا ونشرا وتقاسما ومشاهدة، ف"من بين كافة الميزات، تبقى الصورة دون شك الأكثر استهلاكا للوقت (...) لأن الصيغ البصرية هي الأكثر سهولة في الوصول إليها والأكثر جاذبية"⁷⁴.

نلاحظ تنوع الحوافز واختلافها، والخطط العملية المدروسة من طرف المسؤولين على الفايسبوك، فهم لا يقومون باختيارات عشوائية لأية تطبيقات، إنما يحرصون على إضافة تلك التي تخدم الإستراتيجية الاتصالية.

3.2.2.1- الزامية الاستخدام والإدمان:

إن استخدام مصطلحات مثل "إلزام" و "إجبار" لا تعني، في هذا السياق، اللجوء إلى القوة وغصب المستخدم على ممارسة ما لا يريد فعله، أي ليس هناك إكراه باعتبار أن مسألة استخدام الفايسبوك يقررها الفرد عن طواعية.

تكتفي شبكة الفايسبوك بتقديم خدماتها وعرضها، وترك باب التسجيل والدخول للتواصل، والخروج من الحلقة التفاعلية لمن يريد ذلك، بل وتوفر خيار المغادرة الوقتية (déconnecter) أو النهائية (supprimer le compte)، وتستفسر من خلال جملة من الاحتمالات عن سبب هذا القرار، وذلك لتدارك التقصير وتعديل الخدمة حسب الانتظارات.

⁷⁴ Aurélien Viers, "Vous allez passer encore plus de temps sur Facebook", Interview avec Sandrine Plassereaud (directrice générale de l'agence « We are social », Le nouvel observateur, 04/02/2013, <http://obsession.nouvelobs.com/high-tech/20140203.OBS4898/vous-allez-passer-encore-plus-de-temps-sur-facebook.html>



لا يحصل "الإدمان" على استخدام الشبكة الاجتماعية الافتراضية بصفة مباشرة، أي منذ انضمام الفرد إليها والاطلاع على خصوصياتها، فهذا النوع من التعامل عبر أساليبها التفاعلية لم يتغلغل بعد في سلوكه اليومي كعادة، وهو ما يحصل بصفة تدريجية تراكمية.

قد لا يتقطن المستخدم إلى ترسخها في ممارساته، أو يقبل عليها باختياره ولا يرى تهديدا في ذلك، وقد يسعى في مرحلة متطورة إلى التخلص من هذه العادة الاتصالية، التي غدت شيئا فشيئا أكثر إلحاحا، ولا يستطيع الفكك منها حتى إذا أراد ذلك، وينصاع لرغبته في التواصل عبر الشبكة.

ينقلب الاستخدام إلى عملية إلزامية تستقطب الفاعل الاجتماعي إليها كالمغناطيس، وتجذبه فيتداخل الطوعي واللاإرادي، والاختيار بالإجبار، وتتحول القدرة على التحكم إلى ضعف يخدر قوة الإرادة إلى درجة تسير فيها الحواس كأنها تحت تأثير منوم، ليجد الفرد نفسه من جديد مبحرا في الشبكة.

ترتبط المسألة بسؤال: هل هناك وقت مخصص للاستخدام يضبطه الفرد أم أنه يتواصل افتراضيا، كلما سنحت له الفرصة بذلك لعدة مرات في اليوم، دون تحديد عدد الساعات التي يقضيها، وهو سؤال متواتر لأن هذه الإشكالية التي يطرحها الفايسبوك تزداد وطأتها وتعمق، فعندما سئلت ساندرين بلاسورو (Sandrine Plassereaud) المديرية العامة لوكالة (We are social): "ما هو رأيك في كون الجمهور غدا أكثر فأكثر متعلقا إلى حد الإدمان بالفايسبوك؟"، أجابت: "نعم، إنها ليست سوى البداية، فالمستخدمون سيقضون وقتا أطول على الفايسبوك خاصة من خلال ما يوفره من تطبيقات"⁷⁵.

تشير عبارة "إدمان" إلى حالة مرضية بلغها المستخدم، وفي هذا الإطار، ينتزل الخلل الاتصالي الذي سببته محاصرة الفايسبوك للمستخدم والسيطرة عليه عن طريق أساليبها التفاعلية، وهو ما يجب أخذه بعين الاعتبار، فكل إدمان، مهما كان نوعه، يسبب خطرا على صاحبه بالدرجة الأولى وعلى الواقع الاجتماعي بالدرجة الثانية، وإذا لم يتم الإحاطة بهذا المشكل، ومنحه ما يلزم من الاهتمام لتدارك الوضع، يتفاقم إلى مستوى تعسر فيه المعالجة.

⁷⁵ Aurélien Viers, "Vous allez passer encore plus de temps sur Facebook", Interview avec Sandrine Plassereaud (directrice générale de l'agence « We are social »), Le nouvel observateur, 04/02/2013, <http://obsession.nouvelobs.com/high-tech/20140203.OBS4898/vous-allez-passer-encore-plus-de-temps-sur-facebook.html>



لا يتعلق الأمر بحالات معزولة أو قليلة العدد، لكن يخص نسبة هامة من المنضمين إلى الشبكة، وهو "إدمان اتصالي" لا يسعى فيه المستخدم إلى تدارك الموقف والإحجام أو ضبط الحاجة التفاعلية، إنما يستسهل الدخول للتواصل عبر الشبكة عديد المرات في اليوم، ليطول الوقت الذي يقضيه بصفة مطردة، فهو يرفع في كل مرة من "الجرعة التفاعلية" ويستزيد باعتبار أن الجرعة السابقة ما عادت تكفيه أو تحدث فيه التأثير المنتظر.

فالإي مدى يمكن الحديث عن استبدال الاتصال⁷⁶ الافتراضي الذي يولد نوعا من الاستعباد، ينجر عنه عجز المستخدم عن اتخاذ القرار فيما يتعلق بممارساته الاتصالية؟ ماهي مستويات هذا الاستعباد ودور الأفراد في قبوله وترسيخه؟

سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة في العنصر الموالي باستعراض مظاهر ونتائج البعد الثالث من أبعاد تراكم أساليب التفاعل في شبكة الفاييسبوك.

3.1.2.3- استعباد أساليب التفاعل لمستخدمي الفاييسبوك: عدم التحكم في اتخاذ القرار:

في هذا السياق البحثي، نرصد استخدام مصطلحات من نظريات نفسية بالأساس مثل النظرية البيهايفورية المعروفة بالحقنة تحت الجلدية أو الرصاصة، وهو ما يثير الحيرة العلمية، فيما يتعلق بهذا الجهاز المفاهيمي، ومدى ملاءمته لتفسير وفهم إشكاليات المجال الافتراضي والممارسات الاتصالية التفاعلية، في إطار تحليل استخدامات المنضمين إلى شبكة الفاييسبوك.

إن مصطلح الجماهير والجمهرة في حد ذاته يدعو إلى الاستفهام: "ماهي العبارة الأكثر ملاءمة للذوات البشرية في عصر الاتصال المعولم والمجتمع الشبكي، والانخراط في الفضاء الافتراضي وتدعم الحضور في المجال العمومي: أفراد أم جمهور / جماهير أم فاعلون اجتماعيون أم مستخدمون أم مستهلكون...؟

إلى أي مدى يمكن الاستمرار في الإقرار بما ذهب إليه غوستاف لوبون (Gustave Lebon) بأن "لا شيء متعمد أو مدروس لدى الجماهير، فهي تستطيع أن تعيش كل أنواع العواطف، وتنتقل من النقيض إلى النقيض بسرعة البرق، وذلك تحت تأثير المحرض السائد في اللحظة التي تعيشها (...)

⁷⁶ استبدال الاتصال (La tyrannie de la communication) هي عبارة اقترحها الباحث السوسيولوجي والصحفي الإسباني ايقناسيو راموناي (Ignacio Ramonet)



إن الجماهير تشبه الأوراق التي يلعب بها الإعصار ويبعثها في كل اتجاه قبل أن تتساقط على الأرض⁷⁷؟

هل يعني ذلك أنه لم يحصل تطور اتصالي إنساني بالفعل، ويقتصر الأمر على التطور التكنولوجي فحسب، ومستخدمو الفايسبوك ليسوا سوى أفرادا منعزلين ومنقادين، وأساليب التفاعل الافتراضي تتولى "حقن" أنماط الاستخدام والممارسات الاتصالية المختلفة، حسب نظرية الآثار الموحدة في المجتمع الجماهيري؟ هل المستخدم إلى هذه الدرجة من السلبية وهل فقد آليات الدفاع والمقاومة؟

3.1.3.2.1- استبعاد أساليب التفاعل لمستخدمي الفايسبوك:

يمكن القول أن مستخدم الفايسبوك مستبعد من طرفين ألا وهما : الشبكة الافتراضية من خلال التشجيع على الاستخدام لأطول وقت ممكن، وهي طريقة استبعاد حديثة فهي توفر المجال والأساليب وتجعل الأفراد يدخلون نير هذه العبودية التي تختلف خصائصها عن أشكال ومظاهر الاستبعاد القديمة، حيث لا نجد تعذيبا أو حرمانا أو حتى إصدار أوامر وطلب تنفيذها بصفة إجبارية، إنما كل مستخدم يختار الطريقة المناسبة لـ"عبوديته" الافتراضية التفاعلية.

ويغدو بذلك المستخدم الطرف الثاني في فرض الاستبعاد الاتصالي، وهو استحواذ محبب إلى نفسه، حيث يميل إلى البقاء تحت سطوته، لسهولة الحصول على المآرب في وقت وجيز، لتمييز الشبكة بالاستخدام المفتوح والبسيط والمجاني.

إن، يختار الفرد ممارسات تفاعلية لغاية التحرر فيفرض على نفسه مزيدا من القيود، وهو ما ينجر عنه عدم التحكم في اتخاذ القرار.

3.1.3.2.1- عدم التحكم في اتخاذ القرار:

إن الملاحظ لتطور وتحيين الأساليب التفاعلية (mise à jour)، يمكنه الإقرار أن الضوابط الاتصالية الموضوعية لا تحد من حرية المستخدم، ولا توجه خياراته، ولا تجبره على اعتماد أسلوب تفاعل دون آخر

⁷⁷ غوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير (Psychologie des foules)، ترجمة وتقديم هاشم صالح، (بيروت، دار الساقي، 1991)، ص 64-65.



أو إنتاج مضمون معين، فالفرد هو الذي يقود العملية الاتصالية إلى الوجهة التي يرغب فيها، مستغلا ما توفره الشبكة من إمكانيات متنوعة يتم تقديمها لخدمة تمثالاته وتعزيز رؤيته التحريرية.

تفتح الأساليب التفاعلية، في شبكة الفاييسبوك، أبوابا جديدة لحرية الاختيار كي يدخل عبرها المستخدمون، وقد يقعون في وضعية استعباد، فبالعودة إلى الدراسة التي قام بها ويلهالم هوفمان (Wilhelm Hofmann)، لا يتعلق السبب باللجوء إلى هذه الأساليب فحسب، إنما من حيث المنطلق أي مجرد الدخول إلى الشبكة، حيث لا يتمكن الفرد من السيطرة على رغبة تحاصره، ولا يستطيع تجاهلها أو اتخاذ قرار عدم الدخول، حيث "أكد المستجوبون المشاركون في الدراسة أن الرغبة في تصفح الشبكة الاجتماعية هي الرغبة الأكثر صعوبة من حيث المقاومة"⁷⁸.

في هذا الإطار، تتعدد درجات عدم التحكم في اتخاذ القرار، ولعل أكثرها عمقا وتهديدا للحرية الذاتية هي التواصل عبر الفاييسبوك من أجل الاستخدام كغاية محورية دون تحديد أهداف للمدى القصير أو البعيد، فالمهم هو الاستخدام في حد ذاته.

تحول مجرد الدخول والتصفح حاجة اتصالية لا يمكن للفرد الاستغناء عنها، فهي بالنسبة إليه من الضروريات التي لا تستقيم حياته دونها، وصورت بعض المنشورات في صفحات الفاييسبوك هذه الوضعية، وتم اختيار مثالين لإدراجهما في الوثيقة التالية لتحليل رمزية رسائلهما:

الوثيقة عدد 33: استعباد أساليب التفاعل لمستخدمي الفاييسبوك: عدم التحكم وفقدان السيطرة



⁷⁸ Le nouvel observateur avec AFP, "Facebook et Twitter seraient plus tentants que le sexe", 08/10/2012, <http://obsession.nouvelobs.com/facebook/20121008.OBS4882/facebook-et-twitter-seraient-plus-tentants-que-le-sexe.html>



في **المضمون الأول**، تم تجسيد الفايسبوك بتحويله إلى شخص لحوح، من خلال إعادته لخطابه اللفظي الذي يوجهه إلى الشخص المشغول، ويظهر من ملامحه أنه يعاني من حالة حيرة وانشطار انفعالي بين أمرين، وهو يرجو من الشبكة الافتراضية، التي تحته على الإبحار، أن تتركه في سبيل حاله، فهو يحاول التركيز ليطلع على الكراس أو الكتاب المفتوح.

نستنتج من خلال هذا المشهد أن التواصل عبر الفايسبوك غدا شاغلا لتفكير الأفراد، خاصة عندما يغادرونه للقيام بمشاغلهم الحياتية، وهو ما يسبب فقدان التركيز في ذلك العمل، فالحاجة التواصلية عبر الفايسبوك تولد نوعا من التشويش الذهني.

يمكن تفسير هذه الوضعية وتشبيهاها بنوع من الغزو الاتصالي للأفكار والاهتمامات والوقت من طرف الفايسبوك، وهو غزو "ناعم" يسيطر بشكل ثابت ودائم حتى يخضع له الفرد، ويعجز عن اتخاذ القرار، سواء كان لمصلحته الشخصية التي تحتاج منه بدورها عناية أو مصلحه الاتصالية بأشكالها المتعددة التي تربطه بالآخرين.

اقتصر محتوى **المضمون الثاني** على الخطاب اللفظي، محتلا بذلك أهمية من خلال الرسالة التي يوجهها، ما دفع إلى اعتماد خلفية سوداء، ليغدو هذا الخطاب أكثر بروزا ووضوحا، مع استخدام الأبيض والأزرق في الرقن، وإحاطته أيضا بإطار أزرق وهو اللون المميز للفايسبوك، فبدأ المضمون شبها بواجهة شاشة تستعرض محتوى يهدف إلى لفت انتباه المتلقي، مع الحرص على استخدام خط سهل في قراءته واعتماد حجم متوسط لحروفه، إضافة إلى أنه يتكون من جمل قصيرة متسلسلة تسرد أحداثا متتالية (مغادرة الفايسبوك. إغلاق الحاسوب المحمول. الذهاب إلى السرير. فتح الهاتف الجوال. الدخول من جديد للفايسبوك).

يؤكد الخطاب اللفظي أن استخدام الفايسبوك يوحى بممارسة دائرية مغلقة، حيث يتم الانطلاق من نقطة (Facebook) للعودة بعد جملة من الأحداث إلى نفس النقطة (Facebook) ضمن سلسلة من الأفعال، التي تمثل تصرفا إراديا في ظاهره لغياب أي ضغط أو إجبار، لكن، استحوذت الشبكة الافتراضية على تفكير الفرد، إلى درجة يمكن أن نشبه فيها هذا الموقع بمحرك العرائس، والمستخدم هو الدمية (marionette) التي يتم تحريكها والتحكم في ممارساتها الاتصالية.

تأتي الجملة الأخيرة في الخطاب اللفظي لتثبت أن هذا التوصيف للحالة التي يعيشها المستخدم ليست على سبيل المبالغة أو من وحي الخيال، إنما هي نقل للواقع كما هو (true story).



إذن، هناك إقرار من طرف الفرد بأنه شيئاً فشيئاً فقد السيطرة، وهو ما تتباين الآراء حوله وتنقسم حسب التقريب إلى ثلاثة: أولاً، أولئك الذي يقرون بهذا الانجذاب ولا يرون فيه أمراً سلبياً، وإنما تلبية للحاجة الاتصالية ببسر.

ثانياً، أولئك الذين يرون في هذه الوضعية خلا، لكنهم، عاجزون عن الأخذ بزمام الأمور، ويجدون أنفسهم مجبرين على الانسياق للرغبة الاتصالية الخارجة عن السيطرة.

ثالثاً، أولئك الذي يعترفون بدورهم بهذا الخلل مع السعي الجاد والمحاولة المستمرة لاستعادة السيطرة والتحرر من هذا الاستعباد، واسترجاع عجلة القيادة من الفايسبوك للتحكم في الفعل التواصلية، وتوجيهه حسب إرادة الذات الفاعلة والالتزام بقراراتها.

*استنتاج:

تجدر الإشارة، أن أبعاد تراكم أساليب التفاعل مترابطة، حيث يؤدي أحدها إلى الآخر، فسلعنة الاتصال التي ينجم عنها تغليب العقل الوسائلي على العقل الإيجابي، ولدت محاصرة المستخدم والسيطرة عليه، إلى درجة غدا فيها استخدامه للشبكة الافتراضية نوعاً من الإلزام الاختياري نتيجة الإدمان على التواصل في الفايسبوك، الذي نجح في "أسره" بأساليبه التفاعلية، إلى حد يفقد فيه السيطرة، وهو ما ينجر عنه عدم التحكم في اتخاذ القرار.

قد يظل المستخدم سجين هذه الدائرة الافتراضية دون النطقن إلى كونها مفتوحة، ما يعني ضرورة الخروج منها بين الفينة والأخرى للمراجعة والتقييم، وإلا قد تتسبب هذه التكنولوجيا، بطرفها التقني الذي تقوده شبكة الفايسبوك وطرفها الاجتماعي النفسي لمستخدمي هذه الشبكة الافتراضية، في خلل اتصالي ينجم عن اختلال موازين التواصل.

3. 2- اختلال موازين التواصل:

يسعى الفرد، من خلال عملياته الاتصالية المختلفة، إلى تحقيق جملة من الأهداف، لعل أبرزها تعزيز رأسماله الاجتماعي، وهو "مجموعة الصلات التي يعقدها الفرد داخل الشبكة الاجتماعية، فالفرد عضو في شبكات اجتماعية مختلفة ومتنوعة، وهذه الشبكات هي مفتاح الفوائد المادية والرمزية،



ولا بد له أن يمتلك رأسمالا اجتماعيا يمكنه من استثمار العلاقات الاجتماعية المتنوعة لزيادة الرأسمال الكلي الخاص به⁷⁹.

في هذا الإطار، نستفهم عن مدى قدرة الفاعل الاجتماعي على الموازنة بين عملياته الاتصالية في الشبكات المتعددة، أم هناك ترجيح لكفة الافتراضي على حساب المباشر، خاصة أمام الاستخدام المتزايد لشبكة الفاييسبوك التي اقتحمت واقع الفرد لغايات متنوعة، من بينها الترسخ في عاداته الاتصالية والتفاعلية، وعرض عوالمه الذاتية ليكتشفها ويكشفها للأطراف المشاركة في العملية الاتصالية، لتأكيد مكانته الاجتماعية من خلال إنتاج مضامين ونشرها.

في هذا السياق، تطرح جملة من المسائل التي سيتم استعراضها أولا، والتعرف على خصائصها ثانيا، وتحليل مظاهرها ونتائجها الممكنة على المدى القريب والبعيد ثالثا، وذلك للوقوف عند صحة الفرضية التي تورد احتمال تسبب شبكة الفاييسبوك، من ناحية، وأنماط استخدام الأفراد لأساليبها، من ناحية أخرى، في إحداث اختلال موازين التواصل، وذلك على ثلاثة مستويات مدرجة في الرسم البياني التالي:



⁷⁹ John Field, Social Capital, (London, NewYork, Routededge, 2003), p.17.

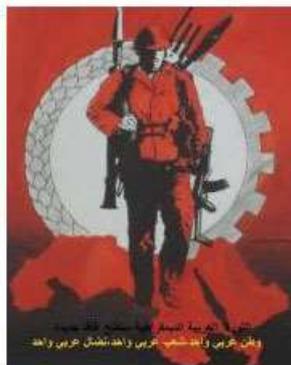


3. 2. 1- اختلال موازين التواصل على مستوى الممارسات الاجتماعية:

سيتم تسليط الضوء على بعض ممارسات مستخدمي الفايسبوك، عبر تحليل المضامين التي يقومون بنشرها، أي القيام باستقراء فعل قصدي وليس خارج عن نطاق السيطرة لسبب من الأسباب، وذلك لمعرفة مدى التحكم في الممارسات الافتراضية أم أن هناك تغييب للمراقبة الذاتية بصفة جزئية أو كلية.

قد يبلغ المستخدم درجة "الانفلات التفاعلي"، لمجرد إثبات الحضور دون خوف من الرفض والإقصاء من تحميله مسؤولية ممارسته التي تخترق المبادئ المجتمعية، وتفصح المجال لعدم الالتزام بمستوى معين من الاحترام الذي يتطلبه النقاش في هذه الحلبة الاتصالية الافتراضية، وهو ما يمكن ملاحظته من خلال الجملة الواردة في المنشور في الوثيقة التالية، والتي عرف من خلالها القائم بالاتصال بنفسه في إطار ذكر المعلومات العامة:

الوثيقة عدد 34: اختلال موازين التواصل: التشجيع على عدم احترام أدبيات الحوار والنقاش



Mur
Infos

Carthage hier, tunisie aujourd'hui

J'aime

Communauté · Tunis



Informations générales

Adresse de l'extrême gauche, Tunis, Tunisia

Date de naissance 1 janvier 2010

À propos

و نحن أمة نطلب الحياة ولكن فأتنا أن نطلبها من أنفسنا فظننا نأهين في السيرة ولو فكرنا قليلا لوجدنا الحياة في أعماقنا الطاهر الحداد pour contac

Description

صفحة تتداول كلام بذيء وعبارات نابية

Biographie

أقصى اليسار

يبدو محتوى المضمون عاديا سواء كان اللفظي على مستوى العنوان المرتكز على مقابلة بين تسميتين وزمنين، وهي لا تمثل تناقضا، إنما تأكيد على التكامل بين الماضي والحاضر، مع إدراج مقولة لمفكر تونسي (الطاهر الحداد) ذائع الصيت ومعروف بأفكاره التحريرية الساعية للتغيير الذي يجب أن ينطلق من الذات، واكتشاف الحياة الكامنة فيها عوض البحث عنها والمطالبة بها من أطراف أخرى، مع بيان الاتجاه السياسي (أقصى اليسار)، لكن، ما يستدعي التوقف عنده هو الجملة التي أضافها القائم بالاتصال



للتعريف بصفحته (صفحة تتداول كلام بذيء وعبارات نابية)، وفي ذلك تشجيع صريح على عدم احترام أدبيات الحوار والنقاش.

ينجر عن ذلك خلل في العملية الاتصالية، في شبكة الفايسبوك، إذا تم تطبيقه في هذه الصفحة، أو تعميمه في بقية الصفحات إلى درجة اعتبار ذلك ممارسة عادية، في السياق التواصلي التحرري، ولجوء مستخدمي الفايسبوك إلى العنف اللفظي للتعبير عن آرائهم ومواقفهم، عوض تبادل الحجج واستخدام البراهين لتأييد أو رفض فكرة معينة.

قد تنتسب هذه الممارسة في اختلال موازين التواصل لصاحب الصفحة بينه وبين ذاته أولاً، باعتباره يحيد عمداً عن السلوك الذي يخول له توسيع دائرته الاتصالية، وبينه وبين الآخرين ثانياً، فهو بهذه الطريقة يضطر بعض المستخدمين أن ينفضوا من حلقاته التفاعلية التي لا تحترم الاختلاف، وهو ما يجعلها لا تستجيب إلى ما يحتاجه التبادل الاتصالي من تعددية وديمقراطية وغيرها من المبادئ الأساسية.

وهي ممارسة عشوائية ناتجة عن سوء فهم للحرية، والاكتفاء باستخدامها من منطلق انفعالي ضيق يغلب مصلحة الفردانية المتطرفة، عوض توجيه هذا المكسب لإيجاد حلول لتأزم المجتمع الذي يشهد جملة من المشاكل، لعل أبرز مظاهرها العنف الاجتماعي في تجليه الأكثر خطورة أي العمليات الإرهابية، لتضاف إليها أزمة اتصالية نتيجة عدم احترام أدبيات الحوار والتعبير عن الكراهية والتشفي.

تم رصد ذلك في الخطابات اللفظية التي أوردها بعض مستخدمي الفايسبوك كتعليق على حادثة دهس تسببت فيها حافلة وسط مدينة برشلونة في 17 أوت 2017⁸⁰، باستثناء تعليق مستخدم واحد على إحدى ردود الفعل الذي عبر من خلال سؤاله (ربنا معينك تحط الناس بالجنة والنار ولا كيف؟) عن استنكاره لوجهة نظر عدائية لم تقتصر على القائم بالفعل الإرهابي فحسب، إنما الضحية أيضاً والدعاء عليهما (كله على جهنم الداعس والمدعوس الله لا يستر عليهم).

في هذا السياق، يمكن ملاحظة تغييب مستخدم الفايسبوك للتفكير العقلاني، قبل القيام بممارسته التفاعلية، وعدم التمحيص في هذه الظاهرة الاجتماعية التي تؤثر سلباً، في كافة المجتمعات، مهما كانت انتماءات وديانات أفرادها، وفي ذلك تعبير صريح عن رفض الآخر المختلف، وكشف عن الرغبة الدفينة في إقصائه، ما أكدته الخطاب اللفظي الذي استعرض عدم الاكتراث (مالنا ومالهم خرينا بحالنا).

⁸⁰ انظر الوثيقة عدد 35 في الملاحق صفحة 230



إن هذا الموقف، إلى جانب كونه سلبيًا، يشي بعدم وعي صاحبه بأن هذه الأزمة ليست ضيقة النطاق ولا تخص مجتمعًا بعينه، إنما هو مشكل يهدد الإنسانية الذي هو طرف فيها، وباعتباره فاعلاً اجتماعياً، من المفترض أن يهتم بالقضايا التي تشكل تهديداً للذات البشرية، ويعبر عن رفضه لأي شكل من أشكال العنف.

تكرر الدعاء بالشر في أكثر من تعليق (الله لا يردهم - الله يزيدهم- ربنا ينتقم منهم كمان وكمان)، هناك من قرن دعاءه باعتبار أن هذه العمليات الإرهابية التي تحصل في مجتمع غربي عقاب إلهي وانتصار للإسلام (الله لا يرفع شدة عن الكفار كلهم الله يسمعنا الأخبار الطيبة).

ذهب البعض الآخر إلى أبعد من الحوادث الإرهابية أي المقارنة بين صنوين، إنما تطرق إلى أوضاع أخرى تشهدها المجتمعات العربية، واعتبار أن ما حدث لضحايا "عملية برشلونة" جزاء و"أخذاً بثأراً" أطفال العرب والمسلمين (اللهم اشغلهم بنفسهم وردّ كيدهم لخرمهم. يعني هم حرام وأطفال العرب والمسلمين قتلهم وتجويعهم حلال!!؟؟).

هناك من استحضر حادثة أخرى للمقارنة بين الضحايا حسب دينهم، لترجيح كفة المسلمين واعتبارهم شهداء على حساب غير المسلمين (ليش هم أحسن من الحجاج إلي توفوا بالتدافع وعددهم ألف شهيد)، بل وجردهم تعليق من إنسانيتهم لغاية التحقير (كلاب و فطسوو)، والتأكيد أن ضحايا العمل الإرهابي لا يشكل موتهم بهذه الطريقة حدثاً ملفتاً للانتباه ولا يستحق الاهتمام، إنما على العكس، فقد تم التخلص منهم لأنهم لا قيمة لهم، أو لأنه لا غرابة من أن يلقوا مصيراً مشابهاً (طرز بستين داهية).

نرصد التخلي الكامل عن مبادئ التعايش السلمي بين مختلف الذوات البشرية، حيث يعتبر احترام هذه المبادئ ضرورة لا غنى عنها، فهي العماد الجوهري الذي يرتكز عليه النسيج العلائقي للمجتمعات، ودونه يتم الانتقال من السلم إلى الحرب ومن القانون إلى الفوضى.

يمكن اعتبار هذه المضامين شكلاً من أشكال الإرهاب اللفظي، نظراً لما تحمله رموزها من تكفير وكرهية وتشفي وتمجيد للعنف وعدم استنكاره، وهي قضية على غاية من الأهمية، لأنها تحتمل قراءتين ممكنتين:



تدعم القراءة الأولى فكرة تحول الفايسبوك، نتيجة هذه الممارسات، إلى داعم لترويج الفكر الإرهابي ك مجال مفتوح للتعبير الحر، عوض اتخاذه وسيلة لمواجهة العنف الاجتماعي، أي أن هذه الشبكة الافتراضية ساهمت في تعميق الأزمة التواصلية.

تؤكد القراءة الثانية أن هذا الخلل الاتصالي الذي كشفت عنه بعض ممارسات مستخدمي الفايسبوك، يمكن اعتباره أمراً عادياً ينبثق من الواقع الاجتماعي أي أن هذه "العشوائية" التفاعلية، وهذا التعبير عن الغضب وتوجيه التهم للأطراف الأخرى، وغيرها من ردود الفعل التي ينشرها المستخدمون بكل حرية دون خوف، قد تفسر الرغبة في استخدام الحق في التعبير، بعد سنين من الحرمان الذي نجم عنه تراكمات، ويريد الفرد التفريغ عنها دون امتلاك الآليات الكفيلة الضامنة للاستخدام السليم لهذا الحق.

في هذا السياق، لا ننسى حادثة تمتع الفرد العربي بالحرية، وهو ما قد يعرضه للخطأ في توجيهها لمصلحته الذاتية والمجتمعية، فالأمر يتطلب دربة لاكتساب خبرة اتصالية من التجارب التفاعلية المختلفة التي سيقوم بها، ليستخلص جملة من الاستنتاجات التي قد يعتمدها لتجاوز هذا الخلل الذي يهدد العملية الاتصالية.

يمكن التعرف على وجهات النظر المتباينة عبر مضامين الفايسبوك التي ينشرها مستخدموه، ولكن الأهم تشخيص الخلل الاتصالي، عن طريق تحليل الممارسات التفاعلية التي قد يبقونها الفاعل الاجتماعي محجوبة في عملياته الاتصالية المباشرة، وهو نوع من التغييب المقصود الذي لا يعني عدم وجود خلل يستدعي الوقوف عنده ومحاولة معالجته.

بالتالي، يمكن تشبيه مستخدم الفايسبوك في هذا السياق ب"المريض النفسي" الذي يلجأ إلى الطبيب الذي يوفر له مساحة غير محدودة من حرية التعبير دون ضبط شروط للتقيد بها. يتولى الباحث مهمة متابعة "الحالات" المختلفة، واستقراء رسائلها الاتصالية ومعاينة رمزية دلالاتها، في محاولة لرصد مواطن الخلل الذي لم يقتصر على الممارسات فحسب، وإنما شمل أيضاً العلاقات الاجتماعية.

3.2.2- اختلال موازين التواصل على مستوى العلاقات الاجتماعية:

تتعدد مظاهر ومستويات خلل موازين التواصل على مستوى العلاقات الاجتماعية نتيجة طرق استخدام شبكة الفايسبوك، خاصة مع التطور الذي تشهده تكنولوجيات الاتصال التي تجعل التواصل الافتراضي أمراً يسيراً، ويغدو في المتناول بمجرد تنزيل التطبيق على الهاتف الجوال أو اللوحة الرقمية، وهي أجهزة يمكن للفرد استخدامها متى وأين رغب في ذلك بكل سهولة، مزاجاً بين الافتراضي والمباشر.



3. 2. 2. 1- اختلال موازين التفاعل والتفاعل مع الآخر:

منحت السهولة التي وفرها التطور التقني الفرصة لتلبية الحاجات الاتصالية الافتراضية دون عائق، إلا أن هناك أنماطا من الاستخدام تقلب هذا التوازن التفاعلي إلى اختلال على مستوى العلاقة المباشرة مع الآخر، ولتوضيح الفكرة، تم إدراج هذين المنشورين في الوثيقة التالية:



ينقل المضمون الأول مشهدا مأخوذا من الشارع، حيث نرى عددا من المارة الذين يعبرون دون التوقف أمام العازف الجالس على الرصيف، لإعارته اهتماما ملموسا، باعتبار أنهم مشغولون بالتواصل عبر هواتفهم ولوحاتهم الرقمية، واكتفوا بالتفاعل مع العازف معتمدين أساليب الفاييسبوك المعبرة عن الإعجاب والوجوه المبتسمة التي ينظر إليها العازف مستغربا وقد أحاطت به من كل اتجاه.

يمكن إدراج هذا المضمون في صلب الرسم الكاريكاتوري، حيث قام بتصوير المشهد بطريقة ساخرة لتبليغ جملة من الرسائل لعل أهمها: انجذاب الفاعل الاجتماعي للافتراضي على حساب الواقعي، واستبدال التعبير المباشر بالتفاعل الافتراضي، أي أن هناك تغيرا طرأ على مستوى الفعل ورد الفعل، والتلقي والإرسال.

غدا استخدام الأساليب التفاعلية الافتراضية لشبكة الفاييسبوك الغاية الأساسية التي تحتل دون سواها الأولوية، إلى درجة حصر العملية الاتصالية في اللجوء إليها فحسب، دون التمهيد في المضامين والعلاقات.



قصر الفرد دوره على التفاعل الافتراضي الذي لا يكلفه شيئاً سوى ضغطة زر، دون سعي إلى توطيد علاقته مع الآخر من خلال إعارته الانتباه الذي يحتاجه، كالإصغاء إليه والتفاعل الملموس، بما أن العازفين المتجولين يقومون بهذا العمل لكسب المال الذي يقدمه لهم الناس الذين يتوقفون للاستماع والاستمتاع بالموسيقى، لكن، بهذه الطريقة، لا يمكن تحقيق نفع، لغياب التفاعل المطلوب، بما أن ما تم الحصول عليه من إعجاب ووجوه ضاحكة "عملة" لا يمكن صرفها في الواقع.

يمكن اعتبار اختيار العزف، كرمز في هذه الصورة، دون غيره من المهن اختياراً نجح في الوظيفة التي أراد القائم بالاتصال أن يضطلع بها، بما أن الصوت، سواء تم رصده في الحديث أو الإصغاء، من مرتكزات الاتصال المباشر، وهنا نستشف تأثير التفاعل الافتراضي في هذا النوع من الاتصال الذي غدا مهدداً.

وهو ما يؤكد **المضمون الثاني** الذي خيم الصمت على شخصيتيه الرئيسيتين، رغم أنهما في علاقة اتصال مباشر، واختارا اللقاء لتبادل الحديث، لكن، رغم تواجدهما جالسين على نفس الطاولة في مطعم وجها لوجه، إلا أن أحدهما لا ينظر إلى الآخر ولا يكلمه، إلى درجة يمكن اعتبار هذا الطرف الآخر غير موجود، بما أن كل شخصية تمسك هاتفها الجوال ومستغرقة استغراقاً تاماً في عالمها الذاتي الذي يوفره لها المجال الافتراضي، وهو ما جعلهما يحيدان عن الغاية الاتصالية للقاء الذي أرادا أن يجمعهما، وحتى صحن الطعام الذي أمام كل منهما ما زال على حاله.

إذن، يمكن رصد اختلال في موازين التواصل، حيث لا يولي الفرد الطرف الآخر في العملية الاتصالية المباشرة اهتماماً، وهو ما من شأنه التأثير في العلاقات الإنسانية بصفة عامة، إذ يرجح المستخدم كفة تواصله الافتراضي على حساب روابطه المباشرة وما تكتسبه من أهمية منبثقة من خصوصياتها المتعددة.

تدفع هاتان الوضعيتان في المضمونين إلى التساؤل عن التأثير على المدى البعيد، إذا تم الانسحاب شيئاً فشيئاً من الواقع الاجتماعي، وإن جمع الأفراد مكان واحد، إلا أنهم لا يتفاعلون مع بعضهم البعض، وإنما يبقى كل منهم، في عالمه الافتراضي، منكبا على هاتفه، وهل يمكن أن يتسبب ذلك في التخلي عن الخطاب اللفظي المباشر، وما ينتج من تبادل عن طريق الحوار والنقاش، ويتحول الفرد إلى كائن صامت، ولا يتعامل مع الآخرين إلا عن طريق الأساليب التفاعلية الافتراضية فحسب.



3. 2. 2. - تبني المستخدم مواقف مهددة للرأسمال العلائقي:

لا يقتصر تأثير استخدام شبكة الفاييسبوك في اختلال موازين التواصل على مستوى العلاقات الاجتماعية المباشرة مع الآخر عند هذا الحد، وتستعرض هذه الوثيقة ثلاثة مضامين تم التعبير من خلالها عن رؤية فردانية تمنح الأولوية للمصلحة الذاتية الضيقة:

الوثيقة عدد 37: اختلال موازين التواصل على مستوى العلاقات الاجتماعية

قامت المنشورات على الخطاب اللفظي أساساً، مع اختيار خلفية قادرة على جعله بارزاً للمحافظة على درجة ملائمة من المقرئية، مع إضافة شخصية في المضمون الثالث، لمزيد التوضيح عبر ملامح وجهه ووضعية أصابعه التي تتماشى مع الحالات المذكورة تبعاً في خطابه.

ورد الخطاب اللفظي في هذه المضامين مباشرة، مع استخدام ضمير المتكلم المفرد في الأفعال (نحبو. نبيع. نشره. نبيعو. نرميه)، أو ضمير "نحن" لتوسيع رقعة الرسالة من الخاص إلى العام، ومن الذاتي إلى الجماعي، (نعيشو. قدرنا. غدرنا)، كما أن هناك اعتماد على الأسلوب التقريري الذي يبين جملة من الوضعيات للخروج بعد ذلك باستنتاج معين.

اشتركت هذه المضامين في التصور الذي قدمته للعلاقات الاجتماعية، وهو تصور قائم على ثنائية "أنا" و "هو" - "نحن" و "هم"، وقد أدرج ذلك للفصل لا للوصول وإبراز التناقض لا التكامل.



تم الاقتصار على هاتين الزاويتين في تقييم العلاقات، التي تتمثل في العلاقات الوطيدة التي تلبى حاجة صاحب الخطاب، وهي التي يمنحها اهتمامه دون حدود، وعلاقات لا تتسم بالوفاء، إنما على النقيض، قد تبلغ درجة الغدر، والتي يتم التعامل تجاهها إما بالتعبير العنيف (في أقرب زبلة نرديه)، أو بالتأكيد على عدم المبالاة بمن اختار تصرفاً شبيهاً (طز فلي غدرنا)، مع تقديم العلاقة بالذات على بقية الروابط الاجتماعية الأخرى مهما كان نوعها (نعيشو بقدرنا)، والإقرار بعدم الاهتمام بخسارة العلاقة مع الآخر.

في هذا السياق، يمكن الإشارة أن في المضمونين الأول والثاني تقييم متطرف للعلاقات، من أقصى الإيجابية إلى أقصى السلبية، دون الأخذ بعين الاعتبار لوجود مستويات أخرى، إضافة إلى الغياب التام للمبادرة من طرف صاحب الخطاب اللفظي لمحاولة الإصلاح أو إرجاع العلاقة إلى ما كانت عليه أو فتح باب النقاش لمعرفة الدوافع.

في **المضمون الأول**، هناك قرار جازم لا يتسع لأكثر من احتمالين يؤديان إلى أفعال مجازية فيها مغالاة وإلغاء للمنطق، ليضيق إلى احتمال واحد، في **المضمون الثاني**، مع تعمد المغالطة بإيراد الخطاب اللفظي على لسان شخصية مشهورة في تاريخ الأدب (شكسبير)، وهو ما يمنح الخطاب اللفظي قيمة رمزية تتوزع بين الجدية لتنزيل هذا الخطاب مكانة الحكمة والقول المأثور، والسخرية كطريقة لشد انتباه متلقي الرسالة، ويغدو قول الحكم أمراً هيناً في متناول الجميع، من خلال استقائها من الحياة الشخصية، وما يمر به الفرد من تجارب جعلته يؤمن بذاته كمركز للاهتمام، مقابل تجاهل كل علاقة لا ترتبط بهذا المركز ولا تدعّمه.

تزداد الرؤية ضيقاً، في **المضمون الثالث**، إلى درجة المقارنة والتفضيل، وترجيح كفة الاحتياجات الفيزيولوجية ومتطلبات الاتصال الافتراضي على حساب العلاقات الاجتماعية، وذلك للعب دور الضحية (البعض يرحلون بلا سبب)، وعدم الاجتهاد للبحث عن أسباب توتر العلاقة (البعض يكرهونك بلا سبب)، وفي ذلك تصريح بمزاجية الآخر وتصرفاته المفترقة إلى المنطق، وهو ما يجعل صاحب الخطاب اللفظي لا يتكبد عناء الاستقصاء، لأن ذلك مجهود لا طائل منه، لا لغياب الأسباب فحسب، إنما لعدم حضور العلاقة مع الآخر ضمن الحاجات الضرورية التي تم التنصيص عليها.

نلاحظ، انطلاقاً من هذا الإقرار، تحويراً على مستوى الأولويات وتغييراً في الترتيب الذي اقترحه أبراهام ماسلو (Abraham Maslow) في هرم الاحتياجات، ليغدو الاتصال الافتراضي والمتطلبات الفيزيولوجية في المرتبة الأولى، وتصبح هاتان الحاجتان ركيزتان كي يحافظ الإنسان على بقائه،



على حساب المتطلبات التي تخول للمجتمع الاستمرار على أساس النسيج العلائقي الذي يرتبط فيه الأفراد بعضهم ببعض.

في هذا الإطار، يمكن القول أن احتياجات الكائن البشري تتجاوز الأكل والشرب هذا من جهة، ومن جهة أخرى، من المفترض أن يسخر المستخدم الاتصال الافتراضي لتعزيز رأسماله الاجتماعي والرمزي، وليس التوقع في فردانية متطرفة تكتفي بإصدار الأحكام أو الإقصاء المباشر، والخط من قيمة العلاقات، وهو ما قد يتسبب في الحياد عن الغاية الأساسية لتطور الاتصال والمتمثلة في توسيع الرقعة العلائقية للذات البشرية، وتعزيز طرق تفاعلها مع الآخر.

3. 2. 2. 3- دور الأساليب التفاعلية في اختلال موازين التواصل على مستوى العلاقات:

تعتبر أنماط الاستخدام وطرق التعامل والتكيف لربط الصلات وحلها الجانب الأول من جوانب اختلال موازين التواصل الذي يكون المتسبب فيه شبكة الفاييسبوك، من خلال ما تعمد إلى تركيزه من آليات قادرة على رصد عملية الاتصال الافتراضي في جميع مراحلها، منذ دخول الفرد إلى الشبكة حتى خروجه منها، وتحديد الوسيلة التي اعتمدها للتواصل، سواء كانت هاتفًا جوالًا أو جهاز كمبيوتر، وهو أمر تحتمل رمزيته قراءات عدة حسب زاويتي تحليل، وهما الفاييسبوك والمستخدم.

أ- تقييم الإستراتيجية المعتمدة من زاوية الفاييسبوك:

يمكن النظر إلى هذه الإستراتيجية التي تعتمد الشبكة الافتراضية، على أنها تقدم خدمة للمستخدمين، حيث يتم منح معلومات حول الحضور أو الغياب للتمكن من اتخاذ القرار المناسب للتفاعل عبر المحادثة الفورية مثلاً، أو الإعلام بتلقي الطرف الآخر للرسالة الموجهة إليه. بالتالي، تسعى الإستراتيجية إلى مد المستخدم بالمعلومة بصفة فورية لمزيد تقريب العلاقات، وجعل خصوصياتها قريبة من تلك التي تنسم بها علاقات الاتصال المباشر.

لكن، هناك تفسير ثان، حيث "يعتبر البحث على كيفية توثيق (documenter) الأفراد، إعلان حضورهم وجعل تصرفاتهم جلية نفيًا للإنسان الرقمي من الأراضي الإنسانية. في نهاية المطاف، السؤال المطروح على الشبكات ليس هو الفاصل بين العام/الخاص أي المفتوح/المغلق أو المعروف/الخفي، وإنما هو بالأساس الجدلية القائمة بين الحساب (calcul) والعلاقة"⁸¹.

⁸¹Louise Merzeau, Les périmètres de la personne en hypersphère", ibid, p.225.



وهو ما يجعل الهدف الجوهرى للفايسبوك كموقع للتواصل الاجتماعى، المتمثل فى إثراء العلاقات الإنسانية والبحث عن طرق تعزيزها عبر الأساليب التفاعلية، ينقلب إلى مجرد غاية معلنة، لتكشف هذه الإستراتيجية عما يسعى إليه القائمون على الفاييسبوك فى الواقع، واعتبارهم المستخدم مجرد رقم فى معادلة حيث يتم رصد الأساليب التفاعلية المعتمدة واحتساب المدة الزمنية المخصصة للاتصال مع الآخر.

فى هذا السياق، يغدو الفاييسبوك شبيهاً بالبورصة التى تضارب بالعلاقات الإنسانية، وكل علاقة هى سهم من الأسهم يجب أن لا تنخفض قيمته أو يتم خسارته، إذا ما قرر الفرد الانسحاب من الشبكة أو الانتقال إلى أخرى.

ب- تقييم المستخدم للإستراتيجية المعتمدة من طرف الفاييسبوك:

يقدم المستخدم قراءته الخاصة لهذه الإستراتيجية، وهو ما يمكن ملاحظته فى المضمون فى الوثيقة التالية:

الوثيقة عدد 38: الاعتراف برغبة المستخدم فى التستر وعدم كشف حضوره فى الشبكة



تبرز الشخصية الجاثية على ركبتيها رافعة يديها ممسكة بهما رأسها، فى الجانب الأيمن من الصورة، لتكون بذلك فى حالة شبيهة بوضعية الندبة أو التويل، وهو ما تؤكد ملامح الوجه العابسة الدالة على الحزن أو عدم الرضى، وهى شخصية تم الكشف عن جنسيتها من خلال ما ترتديه من ملابس تحمل



العلم التونسي، ما يجعل خطابها اللفظي باللهجة العامية، التي تمتزج فيها العربية بالفرنسية، عند إيراد العبارات الخاصة بضبط الفايسبوك لعملية الاتصال على مستويات مختلفة.

أدرج الخطاب في قالب ساخر هزلي إلى درجة أورد صاحبه التعبير اللفظي الذي يمثله صوت الضحك (ههه) المصاحب عادة لحالة من الغبطة والفرح أو التهكم.

تم التصريح الضمني بعدم رغبة المستخدم في هذا العرض المفصل للبيانات، حيث يرى في ذلك تقييدا لحريته في "ادعاء" عدم حضوره أو عدم تواصله عبر الشبكة، وهو ما يجعله غير قادر على التملص من مواجهة الغير، عند عدم الاستعداد للتواصل معه لسبب من الأسباب، أو عدم الرد على رسالته التي قد يرغب في الاطلاع على فحواها فحسب دون أن يكون مطالبا بالإجابة، لكن هذه الطريقة الضمنية (vu) قد تدفعه إلى ممارسة تفاعلية معينة، وإذا غابت الإجابة يتم فتح باب التأويل من طرف الشخص الآخر وقد يعتبر ذلك تجاهلا مقصودا، وهو ما يؤثر سلبا في العلاقة.

من ناحية أخرى، نلاحظ رغبة من المستخدم في الاطلاع عن طريق تواصله عبر شبكة الفايسبوك على المستجدات، سواء تعلق بالأخبار المحلية أو العالمية، أو المرتبطة بالأشخاص الموجودين في قائمة أصدقائه من خلال تصفح حساباتهم (حتى هذه الممارسة غدت مكشوفة حيث يمكن للمستخدم التعرف على من زار صفحته)، أو الاطلاع على مضامين منشوراتهم التي تظهر في حسابه، في حين أنه لا يريد أن يكتشف هذا الآخر، أي الطرف أو الأطراف المشتركة معه في العملية الاتصالية الافتراضية، حضوره وتواصله في الشبكة، ويرى في هذا الكشف سببا من أسباب "الخراب" الاتصالي والتفاعلي بالنسبة له (ناوي على خلاها السيد- يقصد مارك زوكربيرغ-).

في هذا الإطار، نرصد خلافا في موازين التواصل، على المستويين الذاتي والاجتماعي، يكمن في التمثل المزدوج للعملية الاتصالية، والسعي إلى تبني ممارسة تتأرجح بين رغبتين متناقضتين، فالفرد، من جهة، يريد الاطلاع على عوالم المستخدمين، ومن جهة أخرى، يحبذ الإبقاء على حضوره خفيا كي لا يتواصل معه الآخرون.

3. 2. 3- اختلال موازين التواصل على مستوى تقييم المكانة الاجتماعية:

ينتمي مصطلح المكانة الاجتماعية إلى حقل علم اجتماع الاتصال، كما تم إدراجه في الدراسات السوسيولوجية والبيكولوجية، خاصة منها تلك التي تركز على براديجم التفاعلية الرمزية وكيفية تقديمها



للفاعل الاجتماعي، وتحليلها لطرق تشكل تمثلاته وسلوكياته وبلورته للعلاقات المختلفة مع ذاته ومع الغير، وتعلم لعب الأدوار حسب جملة من الانطباعات.

هناك تأكيد على أهمية التفاعل لبناء الذات، حيث "نجد مصطلح النظر في مرآة النفس (looking-glass self) لعالم الاجتماع شارلز كولي (Charles Cooley) الذي يعتبر أن الذات تتكون عن طريق الانعكاس على الآخر تماما مثل انعكاس الصورة في المرآة"⁸²، وهو ما يجعل الفرد يتعمق في اكتشاف خصوصياته من خلال نظرة الآخرين له، وتوجيه الأفكار التي تتجمع عنده بطريقة تتسجم مع نظراته الخاصة لذاته.

إن المكانة الاجتماعية تتكون من بعدين يجب على الفاعل أخذهما بعين الاعتبار، أي أنه لا يكتفي بنظرته الخاصة حتى لا يقع في فردانية ضيقة، ويقتصر على رؤية أحادية قد تحيد به عن الموضوعية، إضافة إلى بقاء جوانب من شخصيته غامضة ومجهولة بالنسبة إليه.

في هذا السياق، تنتزل أهمية البعد الثاني للمكانة الاجتماعية الذي يركز على التفاعل مع الآخر، للتمكن بواسطة عمليات التبادل الرمزي المتنوعة من مزيد التعرف على خبايا الذات لمزيد بلورة تمثلاتها وتوجيه ممارساتها والتحكم في علاقاتها، فمنذ "بدأ كل منا النظر إلى الآخرين وترافق هذا مع رغبته في أن ينظر إليه، ابتداء من هذه اللحظة اكتسب احترام الآخر أهمية بالغة"⁸³.

إذن، تولد لدى الفاعل الاجتماعي حاجة جديدة لا يمكنه تلبيةها بنفسه لأنها مرتبطة بالآخرين الذين يشتركون معه في العملية الاتصالية، وهو ما يتطلب مجهودا من الفرد في تقديم صورة عن ذاته تكون قادرة على إثارة الانتباه والاهتمام فالاحترام، ليتمكن من الظفر بمكانة اجتماعية تنجح في منح الثقة في الذات، عبر التأكيد على كونها ذاتا فاعلة ومحبوبة.

دعم الفايسبوك بأساليبه التفاعلية هذه الحاجة التي يبحث من خلالها المستخدم على تقديم صورة مقبولة عن نفسه، ويرجو أن يتعرف عليه بقية المستخدمين ويتعاملون معه وفق هذه الصورة التي نالت رضاهم بشكل من الأشكال، والتعبير عن هذا الرضى من خلال اعتماد أساليب التفاعل الفايسبوكية المتنوعة، وخاصة منها إبهام الإعجاب، لتندعم التعابير المقدمة من طرف هذه الشبكة الافتراضية، وتتغلغل في تصوير رموز للمشاعر، فنجد القلب والوجوه مختلفة الانفعالات.

⁸²Yves Winkin, Dictionnaire des idées, Encyclopaedia universalis, (France, S.A, Les services éditoriaux et techniques d'e.universalis, 2012), p.1083.

⁸³جيل فيريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، مصدر سابق، ص.108.



قد يفسر المستخدم غياب التفاعل بضعف المكانة، وعجز ذاته بما قدمته من تمثلات على جذب الأطراف المشاركة في العملية الاتصالية الافتراضية. في هذا الإطار، يتجلى اختلال موازين التواصل على مستوى تقييم المكانة الاجتماعية الذي ينبع من إشكاليتين أساسيتين، ألا وهما المعيار الافتراضي الجديد المعتمد في التقييم، وإكساب الفايسبوك التفاعلية الرمزية أبعاداً أخرى قد تحيد عن السياق الذي يخدم الفرد، وتأثير ذلك في علاقة المستخدم مع ذاته ومع الآخر فيما يرتبط بالتمثلات والممارسات. تم التوقف عند رمزية مضمونين حملهما منتج الصورة جملة من الرسائل حتى ينقل رؤيته لظاهرة معينة جديرة بالتحليل في الوثيقة في الصفحة الموالية:

الوثيقة عدد 39: اختلاف معايير تقييم المكانة الاجتماعية



المضمون الثاني



المضمون الأول

يبرز، في المضمون الأول، نفس الدواء الذي تم تعليقه بأسلوبين مختلفين، ويكشف الخطاب اللفظي، أنه هذا الأسلوب التعبيري استخدم على سبيل المقارنة أو التشبيه، فأقراص الدواء التي تتمثل في علامة الإعجاب في الفايسبوك، هي حسب ما هو منصوص عليه على ظهر القارورة موجه للأشخاص الذين يعانون ضعفاً مزمنياً في التقدير الذاتي (for chronic low self estimation) أما عن الجرعة،



فيحدها المستخدم نفسه (take as needed)، وترتبط بمدى حاجته للتخفف من "الأوجاع" التي يتسبب فيها نقص الثقة في الذات.

قد لا يكتفي المستخدم بـ"جرعة واحدة" من التقييم الإيجابي الذي يحصل عليه نتيجة مضمون نشره، ويغدو الأمر بمثابة الرغبة المتكررة في تلبية هذه الحاجة، إلى درجة الاقتصار على تقييم الآخرين لتحديد قيمته كذات بشرية، فينصب اهتمامه على الحصول على الإعجاب، وكلما ارتفع عدد هذه "الأقراص"، تمكن من التخلص مؤقتاً من "ضغط الثقة المنخفض".

قد يسعى المستخدم لتقديم صورة لا تشبهه ولا تتطابق مع سماته في الواقع الاجتماعي، قصد الحصول على هذا "الرضى" الافتراضي للرفع من تقديره لذاته، أي أنه قد يلجأ إلى "تزييف" حقيقته وإنكار بعض خصوصياتها، و"التنكر" بقناع يعتقد أنه سيمكنه من تحقيق مراده في الإعلاء من مكانته في نظر نفسه، من خلال ما تحصلت عليه الصورة التي استعرضها من إعجاب، أي أن الفرد قد يقبل هذا "الانفصام" الاجتماعي والنفسي، ويتعايش معه متجاهلاً آثاره الجانبية وما قد تسببه من مشاكل، مقابل كسب تقييم إيجابي لمكانته الاجتماعية في الشبكة الافتراضية.

في مضمون إحدى الصور، في الفايسبوك، تم رصد الخطاب اللفظي التالي (التوانسة الكل في الانستغرام مزيانين وفي الفايسبوك كلهم متقفين وواعين. نموت ونعرف الشعب إلي نرى فيه في الطريق شكونهم)، عرض هذا التعبير الساخر مفارقة تشكلها شخصية الفرد بين اتصاله الافتراضي واتصاله المباشر وعدم تطابق الصورتين، حيث "تتفاعل الذات الفردية مع الآخر كـ"مرآة للأنا" لتعرف نفسها والتعرف إليهم في شبه لعبة وجوه وأقنعة تبحث عن الاعتراف والاعتبار (la reconnaissance) دون أن تكشف بالضرورة عن حقيقة الوجه الاجتماعي للهوية"⁸⁴.

غدا الفرد موزعاً بين عالمين، في كل منهما له ذاته المختلفة، وبما أنه لا يستطيع حجب خصوصياته بصفة كلية في الاتصال المباشر، فإنه يلجأ إلى الفايسبوك وغيره من مواقع التواصل لخلق صورة أخرى، يرمم فيها نقائصه باعتبار أنه يمكنه "ادعاء" ما يشاء.

يتخلى الفرد عن مسؤوليته في تقييم الذات للآخرين الذين قد لا يقومون بذلك على الوجه الذي يتماشى مع انتظارات المستخدم، وهو ما تم التأكيد عليه في الخطاب اللفظي المرافق للمضمون الثاني (من يعرف

⁸⁴ عادل بن الحاج رحومة، "تنشئة الهويات الفردية عند الشباب عبر الفضاءات الاتصالية والمعلوماتية"، مجلة إضافات، العدد التاسع، (بيروت، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، شتاء 2010)، ص.139.



التملق يحسن الافتراء)، وهي مقولة لنابليون بونابرت (Napoléon Bonaparte)، وفي ذلك تأكيد على أن بعض الأفكار ما زالت صالحة لبعض ظواهر العصر الحديث، وتدل الجملة على فتح باب صناعة الأوهام والكذب، لتقديم صورة مثالية عن الذات.

لئن تم تصوير أسلوب الإعجاب الخاص بالفايسبوك، في **المضمون الأول**، على شكل دواء، واعتبار بعض المستخدمين "مرضى" وفي حاجة إليه بنسب متفاوتة، فإن رمزية **المضمون الثاني** تجاوزت هذا الحد الدلالي، باعتبار أن "المريض" يمكن أن يتمثل للشفاء ويدرك عدم حاجته لهذا "الدواء".

نلاحظ أن علامات الإعجاب التي يقوم شخص بصيها في وعاء شبيه بذلك الذي يقدم فيه الطعام للحيوان (قط. كلب) ويكتب عليه اسمه، وهنا نجد أن هذا الوعاء مخصص للذات (EGO) التي تحتاج إلى ملء هذا الوعاء لإسكات جوع ثقتها في النفس وإشباع حاجتها للاعتراف بها.

هذا تشبيه بالخطورة بمكان، حيث تم تجريد الذات البشرية من إنسانيتها، وما تتميز به من قدرة على التفكير لاتخاذ القرارات، فيما يتعلق بتلبية احتياجاتها، لتتحول رهينة ما يقدم إليها الآخرون عبر العملية الاتصالية الافتراضية، وإذا غاب التفاعل الإيجابي غدت الذات "وعاء فارغاً" يعجز الفرد عن تعبئته بما يستحقه لاحتلال مكانة اجتماعية ولمنح وجوده قيمة.

إن هذه الحالة التي وضع فيها المستخدم نفسه بصفة طوعية، قد تكون واعية أو غير واعية، تشكل تهديداً على الحرية الفردية والقدرة على المبادرة الذاتية بسبب ضعف آليات عقلنة الممارسات، فهو يتخلى تلقائياً عن عجلة القيادة والتحكم في الذات للآخرين، فيجد نفسه، بصفة مباشرة أو غير مباشرة، معلنة أو ضمنية، مسيراً في اختياراته التي يسعى جاهداً أن تتطابق مع توقعاتهم أو ما يثير رضاهم، وذلك لمنحه ما يسد به "رقمه" الوجودي والتخلص من "الجوع" للاهتمام.

في هذا الإطار، نتساءل عن تأثير غياب التعبير عن الإعجاب في المستخدم، وماذا إن اختار بقية الأطراف اعتماد سياسة "التجوع التفاعلي"، أو مجرد عدم وجود الرغبة في منح منشوره "ضغطة زر" وإن أعجبهم والاكتفاء بالاطلاع فحسب، وعدم إدراك حجم انتظاره لمفعول تلك الضغطة في إشباع ذاته، وهو ما قد يجعله يسعى إلى الرفع في عدد المنضمين إلى قائمة الأصدقاء "طمعاً" في إعجاب إضافي؟

إذن، بلور استخدام الفايسبوك معايير جديدة لتقييم الفرد، لا لمكانته الاجتماعية فحسب، وإنما لقيمه الوجودية بشكل أعم، وغدا أسلوب الإعجاب، على سبيل المثال لا الحصر، كعلامة تفاعلية، معياراً للتقييم وتحديد المستخدم لما يضطلع به من دور في عملياته الاتصالية، سواء كانت في واقعه



الاجتماعي أو الافتراضي، والحصول على أكبر عدد من "أعجبي" كدليل على القبول الاجتماعي وإثبات الذات وتحقق عملية التواصل بشكل "ناجح".
 إن هذا الأسلوب التفاعلي لا يحقق إلا إشباعاً وقتياً، بما أن الحاجة إليه مستمرة، بل وقد يطلب المستخدم "كمية أكبر" لأن "جوعه" لتحقيق الثقة بالنفس وتعزيز المكانة يشدد، وهو ما قد يتولد عنه "نهم" اتصالي افتراضي، ويتشكل بذلك شيئاً فشيئاً وهم "الشعب والإشباع".

يُحتمل أن يبلغ اختلال موازين التواصل، على مستوى تقييم المكانة الاجتماعية، درجة عدم القدرة على التمييز بين عدم التفاعل مع المحتوى المنشور ورفض شخص القائم بالاتصال، واعتبار عدم التفاعل رفضاً للمحتوى ولصاحبه ولتمثلاته وخطاً من قيمته الاجتماعية والوجودية، مما يجعله يخشى بصفة دائمة من الاستبعاد الاجتماعي (disqualification sociale) وهو ما يدفعه إلى الانصياع لتقييم الآخرين، فيدعم تمثلاته وممارساته في الاتجاه الذي نجح في استقطاب الاهتمام على حساب مبادئه وآرائه.

قد يتساءل المستخدم عن قيمته الوجودية، عندما لا يحصل على التفاعل المطلوب، ويقدم إجابة سلبية تدفعه إلى خيارات من بينها الانسحاب والتفوق على ذاته وسجنها في العجز على التفاعل مع الآخرين، بل وقد يتجاوز الأمر ذلك إلى قرار التخلص من هذه الذات التي لا يعيرها الآخرون أدنى اهتمام افتراضي، فيعتمد إلى الخروج بصفة نهائية من الدائرة الاتصالية عن طريق الانتحار.

يمكن من خلال ما تم استعراضه من مستويات اختلال موازين التواصل رصد استراتيجيات توظيف الأساليب التفاعلية الافتراضية، وتثمين اللحظة الراهنة وتهميش الحاجة إلى بناء صورة اتصالية واضحة، وهو ما يؤثر في المستخدم على مستوى تمثلاته وممارساته وعلاقاته، سواء في الواقع الاجتماعي أي محيطه العلائقي أو في واقعه الافتراضي، إلى درجة تتداخل فيها المفاهيم والأولويات، والتركيز على زاوية واحدة للنظر إلى متطلباته الذاتية والاجتماعية، وهو ما ينجم عنه تفكير العملية الاتصالية.



4- مساهمة منشورات مستخدمي الفاييسبوك في تفكير العملية الاتصالية

الأسباب والنتائج

4.0- تمهيد:

تعتبر الرسالة، في العملية الاتصالية، الدعامية الأساسية للتبادل، حيث يتم توجيهها لتحقيق هدف معين على مستوى المصلحة الشخصية للمستخدم وتلبية لمتطلباته، أو تعمل على تحقيق غاية ذات بعد أوسع يرتبط بالمجموعة التي ينتمي إليها، وقد يكون الهدف أشمل وتتسع للأبعاد المجتمعية المحلية منها والعالمية. تحمل رموز الرسائل دلالات معينة، حيث "يجب على الرسالة أن تحمل معنى ما وأن تقول شيئاً"⁸⁵، وهي بذلك تستجيب لشروط من شروط إنجاح التبادل، وهو التفاعل.

بالتالي، إن المضامين التي يتم إنتاجها من طرف مستخدمي الفاييسبوك تحدد نوع التأثير في العملية الاتصالية، فمثلاً تم التوضيح أن بعضها يسعى عبر رسائله إلى تحقيق الإثراء وبعضها الآخر يشير إلى مواطن الخلل، فإن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد، ويتجاوز إلى مرحلة العقم (infécondité) التي لا تعني عدم الإنتاج والنشر أو إنتاج رسائل لا يمكن فك رموزها من طرف الآخر باعتبار التفاعل المرصود مع المنشورات.

إن المقصود بالعقم الاتصالي، في هذا الإطار، هو إنتاج رسائل عاجزة عن إثراء العملية الاتصالية، ولا تمنحها ما تحتاجه من تنوع، وتقتصر على اعتماد نفس الرمز دون سعي إلى التجديد، وهو ما من شأنه تقديم صورة أحادية البعد لموضوع من المواضيع، أو أن يتم إنتاج مضامين لا ترصد أهدافاً على المدى المتوسط أو البعيد، أو عرض منشورات لا تقدم دلالاتها إضافة نوعية.

⁸⁵ Lucien Sfez, La communication, (Paris, PUF, Que sais-je ?, 2010), p.28.



يبرز الرسم البياني التالي أسباب تفكير العملية الاتصالية التي تؤدي إلى جملة من النتائج:



4.1- قبولية الاتصال: التواصل السلبي:

إن رصد مظاهر القبولية في سياق الاتصال التفاعلي الافتراضي وما ينجم عنه مثير لجملة من التساؤلات لعل أبرزها:

- هل هناك محاولة لإقصاء المواقف الراضية أو المعارضة أو المختلفة والعودة إلى نمط الاتصال الذي يقدم المجتمع بمختلف أفراد واتجاهاتهم في سياق قالب واحد؟

- هل يمكن اعتبار الفرد، في عصر توفرت له فرص التحكم والاختيار والتعبير، مجرد كائن سلبي يمكن التأثير فيه تأثيراً مباشراً بواسطة المضامين في شبكة الفاييسبوك، وكل رسالة من الرسائل التي تشتمل عليها هذه المنشورات تشكل منبهاً قوياً يدفع المتلقي إلى الاستجابة لأهداف القائم بالاتصال، والانسحاق في العملية الاتصالية تحت تأثير الجذب والاستقطاب؟



4.1.1- قولبة الاتصال:

تستخدم بعض الصفحات، في شبكة الفاييسبوك، في عناوينها خاصة وكذلك في صورها، عبارة "كلنا"، وعند التساؤل من المقصود ب"كلنا..."، نجدها تشير إلى كل المستخدمين وبصفة أشمل كل الفاعلين الاجتماعيين.

من المنطقي أن الذي يبعث صفحة يتحدث عن ذاته وقناعاته ويعبر عن رأيه الشخصي، ويترك المجال للآخرين للانضمام إليه ومشاركته آرائه أو رفضها أو التعبير عن مواقفهم المغايرة، دون إدماجهم بطريقة مسبقة وفوقية، وجعلهم يعترفون بما لم يعترفوا به.

نستشف تجاوزا للموضوعية من خلال هذا الاستخدام لضمير الجمع، ففي هذه العبارة شكل من أشكال فرض اتجاه معين على الآخرين، وإلحاقهم به دون استشارتهم أو طرح أسئلة عليهم، لتبين وجهة نظرهم في قضية معينة، وهو ما يتيح فرصة لتفسير رمزية هذه العبارة بأنها قد تكون تمويهها بأن الجميع متحدون ومجتمعون حول موقف واحد، إلى درجة إقناع المستخدم الذي لم يلتحق بعد أن يندمج ولا يبقى معزولا عن "كلنا".

نجد مثلا صفحة تحمل عنوان "كلنا ضد جمعية شمس للمثليين"، في حين، أن هناك فاعلين اجتماعيين ليسوا ضد هذه الجمعية، فمنهم من يؤيدها سواء على مستوى القناعات والممارسات التي اختارها أفرادها، وهناك من ليس ضدها انطلاقا من ضرورة الدفاع عن الحرية وحق الآخر في التصرف حسب ما يلبي حاجياته الفيزيولوجية أو العاطفية، ما دامت ممارسته لا تسبب ضررا للآخرين، ولا يشكل سلوكه "الخاص" خلا وظيفيا في المجتمع، طالما أن الجمعية معترف بها قانونيا.

هناك من يتخذ موقفا محايدا، وآخرون يرفضون هذه الممارسات، لكنهم، ببساطة لا يريدون الانخراط مع مجموعة أو في صفحة للتصريح باستنكارها "فايسبوكيا"، وقد يقفون على موقفهم الراض دون اتخاذ إجراءات تطبيقية وقد ينتهجون أساليب أخرى للتعبير.

نستعرض، في هذا السياق، مثلا آخر من الصفحات التي استخدمت عبارة "كلنا..."، وإن عبرت في المثال الأول عن الرفض، فهي، في هذا المثال، تدل على التأييد والذي يتمثل أساسا



بالتالي، يسعى القائم بالاتصال إلى "حصر" تفكير المستخدمين في إطار معين، كلما اعترضهم منشور من منشورات صفحته، كشكل من أشكال الاستقطاب الذي لا يعتمد على كسب التفاعل عبر ما يقدمه من إضافة، بل يركز بالأساس على المخزون الانفعالي والردود الشرطية العكسية. قد يتحقق هذا الهدف، لكن، قد تكون هذه القولية سببا في عدم الاطلاع على الخطاب اللفظي الذي تشتمل عليه الصورة باعتبار أن المستخدم يراها نوعا من النسخ المتشابهة.

ثانيا، تأثير هذه القوالب في العملية الاتصالية من جهة وفي من اقترحها من جهة أخرى، فهي قد تنعكس سلبا في ثراء العملية الاتصالية التي تتطلب تنوعا أسلوبيا مستمرا، لتحافظ على النجاعة التي تستمدتها من البحث عن التغيير.

قد تؤثر أيضا في الروح الإبداعية للقائم بالاتصال، وحاجته للابتكار والتجديد اللذين يمنحانه القدرة على العطاء الاتصالي، والتحرر من قيد الموضوع الواحد والرسالة المعينة والأسلوب المحدد، ليستغل الإمكانيات المتاحة له لتقديم مضمونه في أشكال تعبيرية متنوعة، والخوض في المواضيع بطرق خلاقة.

4. 1. 1. 2- القولية على مستوى صياغة الرسالة الاتصالية:

نلاحظ اعتماد أسلوب النفي في جميع الأمثلة الموجودة في الوثيقة (لا يجلس.. حتى.. لا يكتب/ لا يرسل/ Ne va pas aimer sa propre photo)، للتصيص على الممارسة التي يعتبرها منتج المضامين مرفوضة، ويجب على المستخدم التخلي عنها والاقتراء بالشخصية النموذج ليطمئن مثله بسمة الذكاء.

حرص منتج المضامين على الإبقاء على التعريف (هذا بلال، ça c'est Camille)، والاستنتاج والدعوة التي تأتي في صيغة أمر للتحريض (بلال ذكي - كن مثل بلال، Camille est intelligente- sois comme Camille)، يحتلان نفس الموقع في القالب الذي يشتمل عليه المضمون، ليحافظ بذلك على ذات أسلوب العرض المتمثل أساسا في ربط السبب بنتيجته والحدث باستنتاجه، لرصد ردود فعل معينة والدعوة إلى الاقتداء بها وتجنب غيرها.

4. 1. 1. 3- السعي إلى قولبة الخطاب اللفظي لمستخدمي الفايسبوك:

في المضمونين الأول والثاني، تم الإعلان عن الغاية منذ البداية (لا يجلس على الفايسبوك.. حتى يكتب - يشاهد تعليقا.. لا يكتب)، ليتعلق **الخطاب اللفظي** بالعملية الاتصالية، في شبكة الفايسبوك، ونستخلص من ذلك فرض نموذج فعل ورد فعل أي سعي لقولية الفعل الاتصالي الافتراضي.

تجدر الإشارة أن المستخدم له الحق في اختيار المضمون الذي يجد أنه يستجيب لحاجته التفاعلية بطريقة أفضل، فقد يضيف حروفا ويكررها لعبارة معينة، مثلما ورد، في **المضمون الأول**، لغاية ما، كالتأكيد



وإكساب هذه العبارة قدرة على التعبير أكثر عن إحساسه، وانزياح اللفظ عن المعهود اللغوي على مستوى الرسم وكتابته حسب الطريقة التي يريد أن ينطقه بها. اعتبر منتج الرسالة، في **المضمون الثاني**، أن الخطاب اللفظي المتمثل في (قصفت الجبهة بنجاح) من التعاليق "السلبية".

يعتمد المستخدم هذا الخطاب نتيجة التأثير بمجريات الواقع ومستجداته، أي مستمد من الحقل الرمزي الذي أصبح متداولاً بصفة كبيرة في الحوارات المتبادلة بين الأفراد، إلى درجة صارت فيها هذه المصطلحات التابعة لمعجم معين دارجة وغير مستغربة لترسخها في اليومي، وهو ما يجعل الفاعل الاجتماعي يطوع رمزيتهما للتعبير عن مدلولات تخرج عن سياقها الذي نجمت عنه وترتبط به، وهو الحرب ضد الجماعات الإرهابية.

يتمتع المستخدم بحرية التفاعل مع منشورات أصدقائه، وإذا كان هناك من يرفض تعليقه ويرى فيه إشكالا، فهو المشارك في هذه العملية الاتصالية، والقادر على فتح باب النقاش معه، والتعبير عن عدم استحسانه لاستخداماته اللفظية مثلاً.

إن القائم بالاتصال (منتج المضمون)، في هذا السياق، يريد الاضطلاع بدور "المشرّع التفاعلي" الذي يضبط ما يكتب في المنشور وما لا يكتب - ما ينشر وما لا ينشر، وعرض قائمة بالعبارات التي يجب على المستخدم أن لا يستعملها (قصفت الجبهة بنجاح- منووووورررررررررر)، حتى يُمنح سمة الذكاء (بلال ذكي - كن مثل بلال). نطرح، في هذا الإطار، استفهاما: هل من يكتب ذلك يتسم بالغباء؟ ومن الإجابات الممكنة أن الفايسبوك مساحة حرة للتعبير، وليست امتحانا للقدرات الذهنية أو المعارف أو المهارات في السلوك الاجتماعي والتصرف، والمستخدم ليس مطالبا بنشر ما يثبت ذكاه أو ينفيه، فممارسته التفاعلية هي لحظة تعبير قد تكون واعية أو غير واعية، لكنها، في جميع الأحوال وليدة لحظة انفعالية إدراكية يتم ترجمتها بردود فعل متعددة.

4.1.1.4- السعي إلى قولبة الممارسة الاتصالية لمستخدمي الفايسبوك:

في المضمونين الثالث والرابع، تم التمهيد للغاية بعرض الوضعية لإبراز تصرف الشخصية، في مرحلة لاحقة، عبر إدراج الحدث المقترن بنتيجة (الفعل ورد الفعل) أي رصد موقف تفاعلي معين ويليه الممارسة الاتصالية المطلوبة، ما يكشف عن محاولة للقولبة على مستوى الممارسة الاتصالية التفاعلية.



في المضمون الثالث، تم المطالبة بالتقيد بتصرف تفاعلي معين على المستوى العلائقي (صادف فتاة لا يعرفها.. لا يرسل لها طلب صداقة...)، في حين أن الفايسبوك هو أساسا موقع للتواصل الاجتماعي لربط صلات مع أشخاص يعرفهم المستخدم، أو يريد التعرف على آخرين لا تربطه بهم علاقة في واقعه، لإثراء رأسماله الاجتماعي والرمزي بربط أكثر ما يمكن من العلاقات من مختلف أنحاء العالم، وإضافتها إلى قائمة الأصدقاء.

ليست هناك حاجة لتوجيه تصرفات الفرد، أثناء استخدامه للفايسبوك، فهو يتصرف مثلما يشاء، ويختار الممارسة التي تلبى حاجياته، والفتاة التي يرسل لها طلب صداقة أو رسائل حب هي التي تقبل الطلب أو ترفضه، وهي التي تجيب عن رسائله أو تتجاهلها أو تطلب منه عدم مواصلة التفاعل معها أو تختار حظره (bloquer).

نلاحظ من خلال هذا الخطاب اللفظي تدخلا صريحا لقبولية الممارسة عن طريق السعي إلى تطبيق مرجعية نابغة من أفكار مجتمعية محددة، وهي تلك التي ترى أن على الذكر عدم ربط علاقات صداقة مع إناث لا يعرفهن، أي هناك سعي لتقييد التفاعل ورصد ضوابط أخلاقية مستمدة من مخزون رمزي معين من جهة، والتقليل من قدرة الآخرين على إدارة العملية الاتصالية واختيار الممارسات "السليمة" من جهة أخرى.

في المضمون الرابع، نرصد محاولة لقبولية الممارسة الاتصالية، فما الذي يمنع المستخدم الذي ينشر صورة، أو غير ذلك من أشكال المضامين على حسابه في الفايسبوك، أن يتفاعل معها بالإعجاب أو التعليق.

إذن، يطلق القائم بالاتصال (admin) الأحكام، حسب المقياس المعتمد في التقييم (إيجابي- سلبي)، ويسعى إلى تضيق الدائرة التفاعلية (افعل- لا تفعل...)، وحصر التصرفات الذكية في تلك التي يحددها.

في هذا السياق، تجدر الإشارة إلى وجود فرق بين إنتاج مضامين تهدف رسائلها إلى رصد تصرف أو ممارسة أو خطاب لفظي أو رد تفاعلي يهدد العملية الاتصالية، فيحاول منتج الرسالة تشخيص الظاهرة، والحث على الابتعاد عنها، وبين توجيه رسائل تتدخل بشكل مباشر في ممارسات المستخدم الاتصالية التي ترتبط باختياراته الشخصية على مستوى التفاعل مع الآخر.

بالتالي، وإن رصدت المضامين في هذه الوثيقة بعض المظاهر الاتصالية المنتشرة، وحثت على الابتعاد عنها والاقتداء بالشخصية النموذج، فقد تنزل ذلك في إطار السعي إلى القولية وتضييق النطاق الاتصالي، وهو ما قد ينجر عنه إنتاج ونشر ذات المضامين، والتفاعل مع المستجدات في الواقع الاجتماعي بأحداثه



المحلية والعالمية بنفس الطريقة والحصول على رد فعل موحد تقريبا، وهو ما يتولد عنه التواصل السلبي كنتيجة.

4.1.2- التواصل السلبي:

سننخذ لتحليل هذا العنصر شعار (Je suis Charlie) مثلا، حيث "تم استخدام العبارة بسرعة في فرنسا كلها، وبعد ذلك في المدن الكبرى في العالم وترجمت إلى العديد من اللغات. كما اختيرت كدليل على الاحترام والولاء من طرف بعض مستخدمي الشبكات الاجتماعية كصورة لصفحتهم أو لحسابهم"⁸⁷.

في هذا السياق، نشير إلى جملة من النقاط:

أولاً، اختلاف على مستوى استخدامات هذا الشعار من حيث درجة التضامن والتبني ونشر الصورة أو الشعار فحسب، وهناك من تجاوز ذلك إلى اعتمادها كصورة غلاف، وحتى صورة شخصية لحسابه، وهي الصورة التي تحمل أكبر بعد رمزي باعتبارها ترتبط بالهوية الافتراضية.

ثانياً، السياسة الاتصالية التسويقية لنشر الرسالة لتحظى بالعالمية من خلال ترجمة الشعارات إلى لغات مختلفة، وهو ما يدفع إلى الملاحظة أن الانتشار ليس عفويا بصفة مطلقة.

ثالثاً، تبني متواتر لنفس ردة الفعل عبر استخدام الشعار، في فترات زمنية لاحقة، مع تغيير اسم المكان الذي وقعت فيه الحادثة الإرهابية (Je suis Bardo, Je suis Sousse, Je suis Bruxelles...)، كما استعمل هذا القالب الجاهز، "بعد هجوم على حافلة مدنية في 13 جانفي 2015 في أوكرانيا، (...) وإطلاق حملة احتجاج من قبل مستخدمي الإنترنت الأوكرانية، معتمدين شعار (Je suis Volnovakha)"⁸⁸، أو تغيير اسم الشخص الذي تعرض إلى العنف بمختلف تجلياته، ف"بعد الحكم على المدون رائف بدوي ب 1000 جلدة و 10 أعوام من السجن في المملكة العربية السعودية، انطلقت حملة دعم دولية تحت شعار "أنا رائف"⁸⁹.

إن هذا التبني للموقف بسرعة وتطبيقه على كل حدث (كثرة الأحداث المتواترة والمتشابهة) مع الاكتفاء بتحوير طفيف يتعلق بالتسمية فحسب، يطرح إشكالية "الاستخدام الآلي"، أي القيام بالدور المطلوب

⁸⁷ « Je suis Charlie », Wikipédia, l'encyclopédie libre, https://fr.wikipedia.org/wiki/Je_suis_Charlie

⁸⁸ « Je suis Charlie », Wikipédia, l'encyclopédie libre, https://fr.wikipedia.org/wiki/Je_suis_Charlie

⁸⁹ Idem.



دون زيادة أو نقصان، والانقياد والتماهي إلى درجة التلاشي، بما أن المستخدم يكتفي بنفس الوسيلة الدفاعية متجاهلا ضرورة التنوع لتحقيق التغيير.

غدا الشعار مخزونا رمزيا، يتم إخراجه من الأرشيف الاحتجاجي للعملية الاتصالية الافتراضية، كلما استدعت الحاجة إليه، ونشره لفترة ثم سحبه، بالتالي، هناك بوادر تفكير للعملية الاتصالية، نظرا لتغييب الإبداع وانعدام الابتكار في مواجهة القضايا المجتمعية وعدم ارتكاز الاتصال على دعائم الاستمرارية التي تحدد أهدافا على المدى البعيد. ترسخ هذه النوعية من الممارسات الاتصالية، التي تستهلك وتقلد، نوعا من التبعية التفاعلية الافتراضية، وتكرس وهم التفاعل والاختيار والحضور الفاعل، ونستعرض من خلال المضمون المدرج، في الوثيقة التالية، إحدى التأثيرات الممكنة للتواصل السلبي:

الوثيقة عدد 41: تأثير التواصل السلبي في التفاعل مع القضايا



ورد الخطاب اللفظي الذي يتصدر أعلى المنشور في أسلوب إخباري تقريرى، ليقدم الموضوع في صيغة عنوان (Attentat à Bagdad)، وفي الجملة الثانية، تم مزج الخبر بالموقف من خلال التوضيح (ذكر عدد ضحايا التفجير في بغداد Plus de 200 morts)، والتعليق على الحادثة عبر النقد الصريح (dans l'indifférence générale).

يمثل المنشور رسما كاريكاتوريا لتصوير جثة تنزف دما، تخرج يديها من خلف الغطاء الذي ألقى عليها لتعلق وتعلن موقفها، أي تم اللجوء إلى السخرية السوداء بإيراد ردة فعل من طرف ميت، إذ تحمل الشخصية - الجثة لافتة للتعليق على ما جاء في الخطاب اللفظي (je suis habitué).



بالتالي، تم تحميلها قصداً نفس قالب الشعار للتعبير عن معنى مغاير تماماً يتضمن نقداً لاذعاً، خاصة أن رافعه من الضحايا - الموتى، للإشارة إلى فشل الشعارات المرفوعة في مواجهة العنف الاجتماعي، فهي لم تؤت أكلها من ناحية، ومن ناحية أخرى، الشعارات ليست معمة، أي أنها شعارات ترفع في قضية دون أخرى، رغم أن لهما نفس درجة الخطورة أو حتى أكثر (العراق- العنف المستمر وسقوط ضحايا التفجيرات والعمليات الانتحارية يومياً تقريباً).

4. 2- الإفراغ من الجدوى: اتصال عشوائي:

سيتم التوقف، في هذا المستوى من مستويات مساهمة منشورات مستخدمي الفاييسبوك في تفكير العملية الاتصالية، عند السبب المتمثل في الإفراغ من الجدوى، للانتقال بعد ذلك إلى ما قد ينجم عنه من تكريس لاتصال عشوائي.

4. 2. 1- الإفراغ من الجدوى:

تم رصد مظهرين لهذا الإفراغ، ويتمثلان أساساً في نقد لا طائل منه أولاً، وعجز الرسالة الاتصالية عن تحقيق التفاعل الهادف ثانياً.

4. 2. 1. 1- نقد لا طائل منه:

ننطلق بالمظهر الأول من مظاهر الإفراغ من الجدوى، من خلال إدراج بعض المضامين المنشورة على صفحات فايسبوكية مختلفة، في الوثيقة التالية:



الوثيقة عدد 42: الإفراغ من الجدوى: نقد لا طائل منه

المضمون الأول



المضمون الثاني

في أوروبا لو كان تقابل كريستيانو
ولا ميسي تتصور معاهم
... بلاش و احنا في تونس
تتصور
مع جمل يقلك ب 10 الاف



في تونس فقط تقول لواحد
" كي وجهك ... " يتغشش
شعب ما عندوش ثقة حتى
في منظرو

المضمون الثالث

ينقسم المضمون الأول إلى ثلاثة أجزاء، على اليمين، صورة لأجرة ومسدس وغيرها من الأدوات، وفي الجهة اليسرى، صورة لشاب جالس على سرير، وفي الأسفل، نجد القسم الثالث من الرسالة الذي جاء في شكل خطاب لفظي (سؤال)، لتفسير الرابط بين العنصرين الأول والثاني، وإبراز موقف منتج الرسالة، ورغبته في إشراك متلقي الرسالة في نفس الموقف الذي لم يضعه محل جدل، وإنما أكده في المرحلة اللاحقة عبر التساؤل (ماهو السلاح الذي تختاره للقضاء على هذا المخلوق؟؟).

إن منتج الرسالة، وإن اعترف بأن الشخص الموجود في الصورة (مخلوق)، على أنه قد لا يرتقي إلى المرتبة البشرية، وفي ذلك احتقار وخط من قيمة الآخر استنادا إلى هيئته (طريقة اختياره لتسريحة



الشعر. الملابس . الجلسة...)، كما تضمن الخطاب اللفظي تحريضا على العنف، وإن كان من باب الدعابة، حيث يبدو أن الغاية الأساسية هي السخرية للمرور إلى إنتاج منشور تفاعلي آخر. يمكن اعتبار نشر منتج الرسالة صورة لشخص دون إذنه للتعبير عن عدم رضاه أو قبوله بهيئته شكلا من أشكال تقييم الآخرين وإصدار الأحكام، وإن بصفة ضمنية، والابتعاد عن التعبير بصفة تفاعلية تحترم القواعد الاتصالية التبادلية.

نشير أن تحليل هذا المضمون لم يكن من منطلق أخلاقي، لكن، لا يجب تجاهل أن الاتصال، كعلم وكفعل إنساني واجتماعي، له أدبياته وقواعده التي من الضروري احترامها. احتل الخطاب اللفظي، في المضمون الثاني، الجزء الأكبر، وأتى على لسان تلك الشخصية ذات الملامح الضاحكة⁹⁰. مع رصد أسلوب المقارنة بين وضعيتين متناقضتين في مكانين مختلفين (في أوروبا- في تونس)، كما تم استخدام اللهجة العامية، وهو ما يجعل المنشور موجه إلى فئة معينة من مستخدمي الفايسبوك.

تتمثل الغاية في الإضحاك عبر إبراز مفارقة، لكن، لا تستند ملاحظة منتج الرسالة إلى بنية حاجية منطقية، وتكشف غياب التمحيص في الموضوع قبل طرحه:

أولاً، الفاعل الاجتماعي مخير، ولم يفرض عليه أحد دفع مال مقابل أخذ صورة مع جمل، وإذا فعل، فهو مقتنع بأنه في عملية تجارية، وأنه بصدد شراء سلعة/ خدمة عليه دفع ثمنها أي أنه قبل شروط التبادل. ثانياً، من يأخذ صورة مع كريستيانو (Cristiano) أو ميسي (Messi) أو غيرهما، فإنه معجب بهؤلاء المشاهير الذين ليسوا بحاجة إلى المال، على عكس صاحب الجمل الذي يتكسب به، ليتمكن من الاستجابة لمتطلبات معيشته (مورد رزقه الوحيد ربما)، كما أن الشخصية الرياضية كلما أخذت صورة مع معجب، واستجابت لطلبه تدعم الإعجاب بها، و تحافظ على هذا الرصيد، وتضمن استمرارية التشجيع.

يندرج ذلك في الخطة التسويقية التي على اللاعب اتباعها، فهو يسعى إلى منح صورة جيدة تتميز بالتواضع واللباقة الاجتماعية، فلو فعل العكس، قد يهدد صورته، وينتشر الخبر ويكون له انعكاسات سلبية، خاصة أن هذه الشخصيات محل اهتمام إعلامي يرصد تحركاتها.

⁹⁰ وهي شخصية حقيقية للاعب كرة سلة صيني، التقطت له صورة فوتوغرافية وهو مغرق في الضحك، ثم تم اتخاذها بعد تحويلها إلى رسم، وانتشرت بسرعة في الفايسبوك، وأصبح استعمالها يشمل صفحات عدة بلغات مختلفة خاصة في المضامين التي يحمل خطابها اللفظي رسالة ساخرة مثيرة للضحك.



تم الاكتفاء بالخطاب اللفظي فحسب، في **المضمون الثالث**، بإدراج العبارات باللون الأسود مع خلفية بيضاء، ونستشف من خلال ذلك اللجوء إلى التبسيط لشد الانتباه، لكن، يمكن استقراء رمزية هذه البساطة من زاوية أخرى، وتتمثل أساسا في عدم بذل مجهود كبير والاكتفاء بالحد الأدنى لإنتاج مضمون ونشره حتى يوضع محل تفاعل.

قد يعود ذلك إلى عدم حاجة مضمون شبيه إلى إخراج فني معين ومميز لدعم دلالاته، لكن هناك استغلال واضح للصورة التي تعتبر من أهم المحامل الرمزية والتعبيرية لتمثيل الخطاب اللفظي الذي قد لا يحظى بنفس الاهتمام ولا يلفت الانتباه، إذا ما تم نشره على الصفحة كخطاب لفظي، بما أن حجم العبارات الذي سيكون أصغر، على عكس ما تسمح به الصورة من تكبير الكلمات وجعلها أكثر وضوحا وقدرة على الجذب للاطلاع عليها.

في هذا الخطاب اللفظي، إصدار حكم مطلق غير قائم على براهين (في تونس فقط)، إضافة إلى التعميم، وهو ما سيتدعم في سياق الجملة بعبارة (شعب)، أي أنه لم يستثنى أحدا، وذلك غير موضوعي نظرا لضرورة التنسيب.

إن عبارة (كي وجهك) تحمل رموزا ذات دلالات معينة لدى التونسي، ومدلولها سلبي، ولا يقصد من يوجهها إلى الغير معنى إيجابيا، قد ينطقها في لحظة غضب أو دعابة.

بالتالي، وبما أن لكل عبارة معناها في المخزون الرمزي للفرد، فهو بشكل طبيعي وحسب الموقف والسياق، سيربطها بذاك المدلول، ويتصرف على أساسه أي أنه قد لا يغضب إذا قيلت له وأريد بها الهزل.

لا ننكر على منتج الرسالة حقه في نشر ما يشاء من المضامين، لكن، نتحدث من منطلق البحث عما تشهده العملية الاتصالية على مستوى الكم والكيف، وحاجة كل حقل من الحقول، وخاصة منها الاتصال، نظرا لارتباطه بميادين عديدة، إلى لعب دور فعال سواء للفرد أو للمجموعة والمجتمع بصفة عامة.

تُطرح، في هذا الإطار، إشكالية عودة "الثقافة الجماهيرية" بشكل لافت للانتباه، ومدى إمكانية اعتبار ما يتم إنتاجه، بالنسبة لهذا النوع من المضامين، في شبكة الفايسبوك، انحدارا بالذوق العام، وتعويدا على إنتاج واستهلاك كل ما هو "سخيف"، خاصة مع الإقرار "أن محتويات وسائل الإعلام



الجديدة تساهم في تسطيح ثقافات الأفراد، وجعلهم يهتمون بالقضايا الهامشية التي لا تهمهم ولا تتعلق بمشاكل مجتمعهم الحقيقية⁹¹.

4. 2. 1. 2- عجز الرسالة الاتصالية عن تحقيق التفاعل الهادف:

تم إدراج أمثلة من المنشورات، في الوثيقة التالية، لتوضيح المظهر الثاني من مظاهر الإفراغ من الجدوى:

الوثيقة عدد 43: الإفراغ من الجدوى: عجز الرسالة الاتصالية عن تحقيق التفاعل الهادف

المضمون الثاني



المضمون الأول

علاش « أربعة » عدد حروفها خمسة
و علاش « خمسة » عدد حروفها أربعة
و علاش كلمة « مع بعضها » متفرقة
و علاش كلمة « متفرقة » مع بعضها
و علاش « كلمتين » في كلمة واحدة
و علاش « كلمة واحدة » في كلمتين
و علاش ماديروش جام ؟

المضمون الرابع



المضمون الثالث

وحدة كاتبة : هل استطيع
اللائتحر بطريقة إسلامية؟
نعم يمكنك الغرق في ماء
زمزم او الففز من جامع او
تخفني روحك بسبحة

⁹¹ إبراهيم بعزیز، "وسائل الاتصال الجديدة وأثرها على ثقافة المستعملين، ورقة قدمت في الملتقى الوطني الأول " وسائل الإعلام والمجتمع"، جامعة محمد خيضر، بسكرة، يومي 28 و 29 نوفمبر 2010.

<http://brahimsearch.r.b.f.unblog.fr/files/2012/05/1.pdf>

اشتمل **المضمون الأول** على خطاب لفظي، يتكون من سبع جمل باللون الأسود على خلفية بيضاء، وفي الأسفل يمينا، شخصية تمسك رأسها بيديها، وتبرز على ملامحها الحيرة، وفي الجهة اليسرى، صورة لشخصية من شخصيات الأفلام المعروفة والتي يرتبط حضورها بالإضحاك (les minions) وهو ما يتم تأكيده من خلال العبارة المكتوبة بجانبها (rire).

يمكن تقسيم الخطاب اللفظي إلى قسمين: يتكون القسم الأول من ست جمل والقسم الثاني من الجملة الأخيرة.

في القسم الأول، جملة من الأسئلة التي طرحتها الشخصية واعتبرتها مثيرة للاستغراب، ما يلاحظ ملاحظته، في هذا السياق، توجيه الانتباه إلى مسائل هامشية، فما الفائدة التي ستحصل عند طرح استفهامات شبيهة (علاش أربعة عدد حروفها خمسة...)? ما الداعي للاستنكار، وما العلاقة بين اسم ما وعدد حروفه؟

تنتضح الغاية من هذا المضمون في القسم الثاني من الخطاب (وعلاش ما ديروش جام)، حيث يصرح منتج الرسالة بالهدف الأساسي الذي دفعه إلى النشر، ليكشف بأن ما طرحه في شكل أسئلة ليست سوى ملاحظات لا تقدم فائدة، حيث ليست لها إجابات، وهدفه الوحيد كسب أكثر ما يمكن من التفاعل بضغط زر الإعجاب تحديداً.

إذن، لا يهتم صاحب المنشور بفحوى ما ينتجه، متجاهلاً، عن قصد أو دون قصد، أهمية الاشتغال على المعنى عبر إدراج الملاحظات التي قد تشير إلى إشكاليات حقيقية ومواضيع مثيرة للتفكير والنقاش، وحتى وإن كان هدفه الترفيه والتسلية، فهو يحتاج إنتاج مضمون قادر على تحقيق ذلك عبر ما يشتمل عليه من مقاصد قادرة على إثارة الضحك.

تمثل **المضمون الثاني** في خطاب لفظي يشمل جزءين: السؤال والإجابة، ونلاحظ علامة الاستفهام التي تعمد منتج الرسالة أن تكون ملفتة للانتباه، فهي ذات حجم كبير وبلون مختلف، وبالقرب من الشخصية لإبراز أنها هي التي توجه السؤال، الذي من المحتمل أن هناك عدداً



من المستخدمين الذين طرحوه، أو عدد منهم يريد الاستفادة بمعلومة جديدة، خاصة وأنا نجد أسفل المضمون عنوان الصفحة (كل يوم معلومة غريبة) ليأتي بعد ذلك الرد على الاستفهام.

يمكن اعتبار كتابة تعليق فارغ شكلا من أشكال التفاعل التي يعبر بها صاحبها أنه اطلع على منشور، دون تقديم رد فعل صريح، سواء كان بالإجابة المرقونة أو اختيار واحدة من أيقونات الوجوه المندمسة أو الغاضبة... أو الضغط على زر الإعجاب.

لكن، الأمر ليس مهما إلى درجة تخصيص منشور لتعليم الآخرين هذه الطريقة التفاعلية، فما هي الإضافة التي يمكن أن تقدمها هذه الطريقة للعملية الاتصالية بالنسبة للأطراف المشاركة فيها، بما أنه لا يمكن تحديد موقف صاحبها؟

تبلور هذه الطريقة التفاعلية انحيازاً عن اللغة المكتوبة التي تسمح بالتعبير عن الموقف بصفة معلنة، للاقتصار على ردود مبهمة تفتح باب التأويل، الذي قد لا يكون له داع ولا طائل منه، كما أن صياغة رد الفعل في خطاب لفظي أمر مهم، لأنه يمنح المتلقي فرصة لصياغة أفكاره والتدرب المستمر على ذلك، لإثارة النقاش وضمان دينامية العملية الاتصالية وإثرائها.

ورد الخطاب اللفظي، في **المضمون الثالث**، على خلفية بيضاء، مرقونا باللون الأسود بخط غامق وحروف ذات حجم كبير، واختيار خط سهل المقروئية، وحضور شخصية بسيطة على مستوى الرسم فهي مجسدة ببعض الخطوط فحسب، وهي كثيرة الحضور، في العديد من المنشورات في صفحات مختلفة في الفاييسبوك، سواء كانت تونسية وغيرها، قد يتم الاكتفاء بالرأس حيناً أو إضافة بعض تفاصيل جسده أحياناً أخرى.

في هذا السياق، نشير إلى العودة إلى نفس القالب الاتصالي الجاهز الذي يتم استدعاؤه في سياق معين، ألا وهو التعرض إلى موقف ساخر بهدف التسلية أو الإضحاك أو النقد، سواء تعلق الأمر بمواضيع ترتبط باستخدامات الفاييسبوك أو قضايا الواقع الاجتماعي، في جميع الشؤون والميادين، وتختلف بطبيعة الحال مستويات الجدية في العرض.

إن النقد الساخر لا يخلو من جدية، بل بالعكس، فهو يقدم القضية أو الموضوع بذلك الأسلوب لغايات عدة، لعل أهمها القدرة على الجذب والتأثير، لكن، عند الاطلاع على الخطاب اللفظي الذي يأتي على لسان تلك الشخصية ذات الوجه الضاحك، نستشف غياب الجدية، فهو مضمون تم إنتاجه من طرف صاحب الصفحة



(وحدة كاتبة هل أستطيع الانتحار بطريقة إسلامية)، ليجيبها باستعراض جملة من الاقتراحات وتعتمد اختيارها من حقل مفاهيمي يتلاءم مع فحوى السؤال.

في الأغلب، هذا الخطاب اللفظي تم تخيله من طرف صاحب الصفحة، فهو غير منطقي من حيث الاستفهام المطروح، فلو كان هذا المنشور موجودا فعلا، لعرضه صاحب الصفحة تعزيزا لخطابه، وحتى إذا تم الافتراض أن هناك من نشرت على حسابها الشخصي هذا السؤال الذي يخلو من الموضوعية، ولا يمكن معرفة هل نشرته جادة أم لمجرد السخرية والخروج عن المؤلف، باعتبار أن الانتحار فعل محرم من منظور إسلامي، وهي تريد تطبيق الفعل بطريقة شرعية، فمن السخف مجاراتها وإجابتها إجابة شبيهة كالتالي قدمها صاحب المنشور.

لا ننكر حق كل مستخدم أن ينشر على حسابه ما يعتبره جديرا بالطرح، مهما كانت غايته، حتى إن كان الهدف الوحيد إثبات الحضور في الشبكة مع انتظار التفاعل مع منشوره من طرف الأشخاص الموجودين في قائمة الأصدقاء، لكن، تعتبر المواصلة في إنتاج ونشر هذه المضامين، انسياقا وراء الإنتاج الكمي دون ترو، ودون البحث عن الإثراء الكيفي، وتغييبا، عمدا أو دون قصد، للإشكاليات الحقيقية، أي الهروب من مواجهة الواقع والانشغال والانغماس في ثقافة التسلية⁹².

وردت، في القسم الثاني، من الخطاب اللفظي الإجابة (نعم). يمكنك الغرق في ماء زمزم أو القفز من جامع أو تخنقي روحك بسبحة)، في هذا السياق، نشير أولا أن الانتحار في المجتمع التونسي يعد إشكالية مطروحة بسبب ارتفاع نسب المنتحرين خاصة من الأطفال والشباب، والموضوع يحتل أهمية بالغة نظرا لخطورته على مستوى البنية المجتمعية وبالنسبة للفرد في علاقته بذاته وبالآخرين وبواقعه، بالتالي، الموضوع ليس موضع تندر، إلى حد الاستخفاف بخطورته، بما أنه يصنف ضمن المشكلات الاجتماعية الراهنة.

ثانيا، الإجابة المتضمنة لجملة من الاقتراحات، والتي تنطلق بكلمة (نعم) أي الإيجاب الذي يدل على الإمكان، وما فيه من تشجيع على الانتحار على سبيل السخرية، لكن هناك من الهزل ما قد يتحول إلى واقع، وهناك من قد يحاول تطبيق التنظير، كما تكشف الإجابة عن مواصلة تعميق العبث الذي انطلق من السؤال.

⁹² مصطلح "ثقافة التسلية" من اقتراح المفكر الاستراتيجي الأمريكي (ZbigniewBrezinski).



يمكن استقراء الرمزية الدلالية للاقتراحات أنها شكل من أشكال السخرية من المرجعية الدينية، فماء زمزم هو رمز للشفاء والتبرك به، والجامع للصلاة، والسبحة لذكر الله، إذن، هناك انحراف كامل عن هذه الرمزية وتحميلها وظائف مناقضة لما جعلت من أجله، وما تحمله من دلالات لدى مستخدمي الفايسبوك والفاعلين الاجتماعيين بصفة أعم.

نستشف من هذا الطرح بروز مشكل يتمثل في جعل كل المواضيع محل سخرية وتهكم، في حين أن الدين جزء من الهوية ومكون من مكوناتها وهو العنصر المقدس فيها، يقبل الاجتهاد والبحث والتساؤل، وليس التحقير والاستهزاء.

في المضمون الرابع، تم إدراج وجه بلامح غاضبة، مع خطاب لفظي باللون الأسود وخط من الحجم الكبير الغامق، وعلى خلفية بيضاء لضمان المقروئية والوضوح لجذب انتباه، كما نرصد الاختصار، فأربعة أسطر لا تستهلك من وقت المستخدم الكثير للاطلاع عليها والانتقال إلى غيرها.

هذا الاستسهال في الإنتاج المتواتر ليست الغاية منه الاستيقاف وبعث الحيرة، نظرا لغياب قضايا تدعم إعمال الفكر، فهذه المضامين شبيهة بسلع استهلاكية تتكاثر استجابة لمتطلبات شريحة من المستخدمين، أو تعويد المتلقي بهذه الطريقة المتكررة على هذا النوع من الاستهلاك، أي أنها متنفس للترويح عن النفس لا تحتاج مجهودا ذهنيًا، لكن، انتشارها الواسع قد يكون سببا في خمول فكري، فهذه المنشورات تجعل المستخدم يبحث عنها كمصدر للتسلية والضحك، وذلك منطقي، لكن، الإضحاك فن السخرية أي أن له قواعد، وإلا تحول إلى "تفاهة" إذا افتقد المضمون لفكرة تثري الاتصال نوعيا بطريقة أو بأخرى.

قد تتحقق الغاية وهي الحصول على التفاعل الافتراضي، لكن، في ذات الوقت، قد تساهم في تسطيح ثقافة الأفراد وتتحدر بالذوق العام، ما يتولد عنه "ازدحام كمي" و "فراغ كفي"، وهو ما نستشفه عبر مدلول الخطاب اللفظي، في هذا المضمون، الذي يغضب صاحبه، فيعبر عن ذلك باستفهامه الإنكاري عن سبب اختلاف نسب التفاعل، (كل شي فهمتو كان نهبط سناتي تجيب 70 جام تسرقها طفلة تجيب 500 جام علاه خطها خير)، مع تقديم إجابة ساخرة غير منطقية باعتبار أن في الفايسبوك يتم رغن الخطاب وليس كتابته بخط اليد.



نتبين من خلال هذا الاستفهام الذي يحمل تصريحاً ضمناً أن غاية منتج الرسالة في هذه الصفحات هي الحصول على أعلى نسب التفاعل بالإعجاب، فذلك محور الاهتمام والغايات الأخرى تحتل مرتبة ثانوية.

تم استخدام اللهجة العامية لغاية التبسيط والعفوية للخروج من الرسمية، هذا إضافة إلى أن اللهجة العامية التونسية تدمج كلمات باللغة الفرنسية (ستاتي- جام)، باعتبار أنها رسائل بغاية الترفيه، لكن، ما المانع إذا تم تبليغ رسالة ما باللغة العربية الفصحى مع السعي إلى اعتماد مصطلحات بسيطة مفهومة، ونطرح، في هذا السياق، تأثير الاستخدام المتواصل للعامية في اللغة كرمز هوية وثقافة وحضارة يجب المحافظة عليها ودعمها، وعدم استخدامها قد يهددها بالتقهقر والاندثار.

من زاوية نظر أخرى، يطرح **المضمون الرابع** مسألة تقييم المنشورات، في الفايسبوك، والآليات المعتمدة ومدى اتسامها بالموضوعية: هل ترتبط أساساً بالمستخدم ومدى تأثيره الرمزي بالعودة إلى رأسماله الاجتماعي (عدد الأصدقاء في الشبكة الافتراضية)؟

لا يعتبر ارتفاع عدد الأصدقاء في الشبكة مولداً حتماً لزيادة نسبة التفاعل، ولا يعدو أن يكون ذلك سوى احتمالاً ممكناً من جملة احتمالات، فقد يكون لدى مستخدمين مثلاً 1000 صديق لكل منهما، وحين ينشران ذات المضمون، أحدهما يحصل على 500 إعجاب، والآخر لا يتجاوز العشرة.

قد يكون المنشور "فقيراً" على مستوى الرمز، أي لا يعالج قضية، مجرد ملاحظة لا تلعب وظيفة "فعلية"، وقد تشتمل أحياناً على تعدد على الآخر بشتى أو تحقير، لكنه، يحظى بنسب تفاعل مرتفعة، على عكس مضمون آخر يكون ثرياً، ويطرح إحدى القضايا التي تشغل الواقع الاجتماعي، على أنه يحظى بنسبة تفاعل ضعيفة.

يتفرع تأثيران عن هذه المسألة:

أولاً، تأثير نسبة الإعجاب المرتفعة المتمثل في التشجيع على المواصلة في منهج، وإن كان لا يقدم إضافة على مستوى المبنى والمعنى.

ثانياً، تأثير نسبة التفاعل المنخفضة، المتمثل في التراجع عن الإنتاج والإبداع، لأن صاحبه لم يحظ بالاهتمام المرجو رغم بذل مجهود في إنتاج مضمون، سواء كان على مستوى الإخراج الفني أو البحث أو التحليل على مستوى المدلولات.



بالتالي، يمكن التأكيد على تحكم المستخدم في الشبكة الافتراضية وتوجيهها وتطوير أساليبها وآلياتها لخدمة مصالحه وتحقيق غاياته، ويبقى بذلك التوجه اختياريًا، فكما يمكنه اللجوء إلى هذه الشبكة لإثراء العملية الاتصالية على المستوى الرمزي والعلائقي، قد يكتفي بجعلها مصدرا للنشر "العشوائي" فحسب، وإنتاج مضامين تستجيب لطموحه الاتصالي في الحصول على أعلى مستويات التفاعل إعجابًا، وكلما حقق بغيته، ترسخ لديه يقين أن عليه المحافظة على هذا "النجاح" و "التفوق" التفاعلي وإنتاج مضامين شبيهة.

لا يتوقف الأمر عند منتج الرسالة فحسب، فالإنتاج المكثف يمكن تفسيره بوجود إقبال، وربما لولا هذا الإقبال التفاعلي، لنقص الإنتاج وتراجع أو غاب، إذن، يتحمل المتلقي مسؤولية الانسياق وراء استهلاك هذه المضامين التي قد تبلغ درجة "السخافة"، وعدم الاهتمام بتأثير ذلك في الذوق، والتعلق برسائلها كجرعات للاكتفاء بالسخرية من كل المواضيع، والابتعاد شيئًا فشيئًا عن طرح الأسئلة وعدم إعمال العقل قصد الارتقاء بالمخزون الرمزي الذي يحتاج بصفة مستمرة للتحيين والتعديل.

إن هذا المظهر من مظاهر الإفراغ من الجدوى قد ينجر عنه اتصال عشوائي.

4. 2. 2- اتصال عشوائي:

إن المقصود بالاتصال العشوائي هو عجز الرسالة عن تحقيق التفاعل الهادف، وإثراء العملية الاتصالية، سواء كانت الافتراضية أو في الواقع الاجتماعي، إضافة إلى تضيق الرؤية والزوايا واختيار منهج واحد لتحقيق غاية معينة نتيجة استسهال النشر والإنتاج باختيار الإخراج الفني الذي لا يكلف وقتًا أو مجهودًا، وبساطة التفاعل فضغطة زر لهذا المنشور أو ذاك لا تتطلب وقتًا، وسرعة الاطلاع على منشور للمرور إلى ما يليه.

4. 2. 2. 1- استسهال إنشاء صفحات على الفاييسبوك:

يمكن للمستخدم أن ينشئ عددًا لا حصر له من الصفحات، قد تكون الغاية الأساسية من وراء ذلك مجرد التعبير عن انفعال مؤقت، وهو ما يتولد عن غياب الجدية في الممارسة الاتصالية، نظرًا لأنه ليس هناك



موضوع يطرح أصلاً، كإنشاء صفحة ترتبط بلقطة في مسلسل (مسلسل رمضاني أولاد مفيدة- العرض في 2017) لا تعالج قضية (صفحة المنشقة إلي لبستها إناس - صفحة الكف إلي كلاه بدر ولد مفيدة)⁹³. لا يمكن لهذه الصفحات مواصلة البقاء لأنها مفتقرة إلى مقومات الديمومة، حيث يتخلى عنها أصحابها غالباً لإنشاء أخرى ربما، أو إهمالها دون العودة إليها حتى لإغلاقها. بالتالي، قد يمثل إنشاؤها تصرفاً عشوائياً، وما دام المستخدم مطمئناً أنه لن ينجر عنه محاسبة أو مطالبته بتفسيرات، يستطيع إنشاء بعث ما يشاء من الصفحات، في اليوم الواحد. تكشف هذه الممارسة الاتصالية عن تغييب لدور العقل، وما يجب أن يتمتع به الفعل الاتصالي من الحد الأدنى من المنطق، ومساهمة الفايسبوك بما أفسحه من إمكانيات في غياب الانضباط والمراقبة الذاتية.

نشير إلى نقطة أخرى، في هذا السياق، وهي وجود من يعبر عن إعجابه بهذه الصفحات (692 personnes aiment ça)، ليتم التأكيد من جديد أن المسؤولية مشتركة في منح الاتصال العشوائي فرصة لينتشر أكثر، ويحتل حيزاً يكبر تدريجياً، وقد يغدو ذلك مشكلاً حقيقياً يهدد العملية الاتصالية، بسبب استنزاف الرمز من المعنى والقيمة والدور، وإدمان "تعاطي السخافة". في هذا الإطار، لا يمكن أن ننكر أن كل مستخدم حر في تصرفه الاتصالي، سواء كان منتجاً للمضامين أو متفاعلاً معها ومستهلكاً لرسائلها، لكن الحرية لا تتناقض مع المسؤولية الفردية والجماعية.

4. 2. 2 - إرساء ثقافة السخافة:

يعتبر تكريس السخافة كفلسفة حياتية المظهر الثاني من مظاهر الاتصال العشوائي، وتم إدراج مضمونين في الوثيقة التالية لتوضيحه بشكل أكثر تفصيلاً:

الوثيقة عدد 45: اتصال عشوائي: إرساء ثقافة السخافة



⁹³ انظر الوثيقة عدد 44 في الملاحق صفحة 230



يمثل **المضمون الأول** صفحة عنوانها (خرطر) ومعناه هراء باللهجة العامية التونسية. تم الاكتفاء في صورة الغلاف بكلمة واحدة (تخلويض) تتوسط الفضاء بخلفيته السوداء بخط كبير وسهل المقرئية، وهو ما جعلها واضحة لجلب الانتباه دون عناء.

نلاحظ سرعة الإنتاج بأقل مجهود ممكن، مع اختيار صورة الحساب المتمثلة في امرأة مسنة تدخن سيجارا، وقد يرمز ذلك إلى الاستهزاء بكل ما هو جدي والاستهتار وعدم أخذ الأمور باعتناء، من خلال المفارقة ربما التي اعتقد باعث الصفحة أنها قادرة على إثارة الضحك حسب تقييم معين ومخزون رمزي محدد، باعتبار أن الأمر قد يكون عاديا وغير مثير للدهشة أو السخرية.

يؤكد العنوان نفس ما جاء في الخطاب اللفظي (خر طر = تخلويض)، وفي ذلك تصريح مبدئي باللامعنى أي اللاجدوى التي قد تتبلور عبر المنشورات، كما أن الفعل الذي تقوم به المرأة في الصورة فعل عبثي باعتبار أن التدخين هو نفث دخان في الهواء أي يذهب دون ترك أثر في جزء منه، وإن منح القائم به متعة، وهو ما قد ينطبق على الحديث الذي لا يثري، وإنما يتم التفوه به ترويجا عن النفس.

تجدر الإشارة إلى شيء مهم، وهو أن التدخين مضر بالصحة وقاتل، وإن كان ضرره غير مرئي، ولا يتزامن مع أوان القيام بالفعل، وإنما بالتراكم والاستمرار حد الإدمان، وإذا تم ربط ذلك بالسياق التحليلي، نجد أن الممارسة المتكررة لإنتاج واستهلاك تمثيلات شبيهة قد تغدو إدمانا مهددا لسلامة مختلف عناصر العملية الاتصالية بسبب التعود على نشر مضامين لا تعالج قضايا، وإنما مجرد تفريج عن الأفكار قبل عقلنتها وإخضاعها للمنطق.

إذن، كما يهدد الاستمرار في التدخين (سيجار) صحة الفرد والمحيطين به ويلحق الضرر بالبيئة عامة، فإن من ينشرون دون تمحيص يكرسون السخف في الخطاب اللفظي، ما قد يهدد المنتج والمتلقي في العملية الاتصالية في الفايسبوك.

يشتمل **المضمون الثاني** على خطاب لفظي يتكون من ست كلمات مع إدراج أيقونة القلب ونقطتان، ليثبه الخطاب رسالة في المحاوراة الفورية على مستوى السرعة والبساطة وعدم الحاجة إلى نوع خاص من الابتكار.

ما يهم، في هذا المضمون، هو المدلول أي المعنى أو المعاني التي تحملها الرسالة عبر هذا الخطاب اللفظي المتمثل أساسا في (غدا سأحتل العالم والآن سأنام)، وهو ينقسم إلى جزئين هما إعلان كلاهما في المستقبل القريب وإن سبق أحدهما الآخر.



نرصد من خلال (غدا سأحتل العالم) خطابا تقريريا يؤكد صاحبه يقينه من إمكانية التحقيق، ونستفهم في هذا السياق: ما المقصود باحتلال العالم؟ هل هي أمنية والأمني مستحيلة التحقق؟ أم "احتلال" على سبيل المجاز وفي ذلك مغالاة، وما الغاية منها؟

لا يقدم الخطاب اللفظي توضيحا، بالتالي، هناك نوع من الغموض، وترك المتلقي حرا في التأويل: قد يرتبط احتلال العالم بسعي الإنسان إلى التحكم في الطبيعة وتسييرها حسب قوانينه الخاصة وإخضاعها لمشيئته، ويبقى نجاحه نسبيا لذلك يواصل المحاولة باستمرار، وتغيير الاستراتيجيات النظرية والتطبيقية حسب القوانين المجتمعية، وفي هذا السياق، يمكنه استغلال ما توفره التكنولوجيا.

لكن، هل يمكن اعتبار نشر مضامين شبيهة في الفاييسبوك استراتيجية نظرية ناجعة، علما أن من بين المقومات التي يقاس بها نجاح الإستراتيجية الواقعية وقابلية التطبيق؟

يأتي بعد ذلك الفعل الثاني المسبوق بعبارة تدل على زمن الحاضر (الآن) ليلبها فعل المستقبل القريب (سأنام)، وهو فعل يدل على حدث عادي روتيني يأتي بعد التعب أو رغبة صاحبه في الراحة، على عكس الفعل الأول.

يكشف الخطاب اللفظي عن سعي المستخدم لعرض نفسه بصورة الذات "الخارقة" القادرة على تنفيذ ما تريد دون ارتباك أو توتر (سينام)، ملفتة للانتباه بسلوكها وثقتها وتصرفاتها الافتراضية، وبما أن الخيال لا يمنع أو يعرقل، فلها أن تدعي ما تشاء وكأن الأمر عادي.

يمكن لمستخدم شبكة الفاييسبوك أن يتخيل وينشر ما يريد، ويدعي القيام بأفعال قد تكون مستحيلة التحقق أو غير منطقية على سبيل المجاز دون حرج، ليدخل طواعية إلى مجال إيهام النفس بالقوة وتحويل المستحيل إلى ممكن، وهو ما يكشف عن عجزه الواعي أو اللاواعي عن تحقيق أحلامه وبلوغ أهدافه، فيضطر إلى ادعاء إقدامه على القيام بأفعال تتجاوز حدود المنطق.

إذن، لا تعدو أن تكون سوى ظاهرة كلامية وقوة وهمية، وفي ذلك شكل من أشكال السخافة عبر إرساء ثقافة وهمية يصول ويجول فيها المستخدم، قد تحقق له في البداية نوعا من الاكتفاء، لكن ليتسع الخواء في كل مرة، ويتعمق العجز.

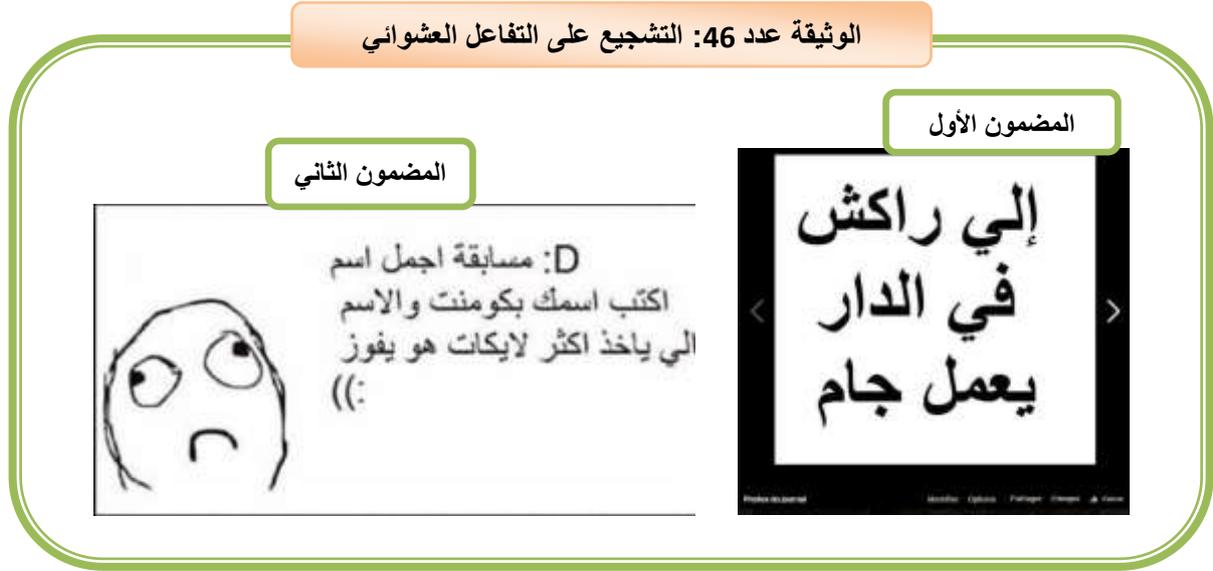
قد يدرك المستخدم هذا المأزق التواصلية، ويحاول الخروج منه، وقد يقر بعدم قدرته على التدارك، فلا يجد وسيلة سوى المواصلة في هذا المنهج الذي يجعل المسافة بين الواقع والافتراض بعيدة، فيسقط



في "هوة افتراضية"، وقد لا يكون واعيا بما تشكله تمثلاته من تهديد، وهو ما يمكن تبويبه في نطاق المشكل الأشد وطأة على العملية الاتصالية.

4. 2. 2. 3- التشجيع على الاتصال العشوائي:

تم رصد منشورات في الفايسبوك تقوم بالتشجيع على التفاعل مع مضامين تقتقر إلى الجدوى الاتصالية، ومنها المثالين المدرجين في الوثيقة التالية:



يتمثل المضمون الأول في خطاب لفظي باللون الأسود على خلفية بيضاء (إلي راكش في الدار يعمل جام)، وتم استخدام اللهجة العامية التونسية التي تعني (من هو موجود في المنزل)، للتعبير عن الرغبة في الحصول على التفاعل فحسب (يعمل جام).

بالتالي، إن كانت المضامين السابقة تشتمل على رسالة، وإن كان فحواها يقتصر على السخرية لإثارة الضحك، وعدم توضيح الغاية الأساسية من وراء هذا النشر أو ذكر ذلك في النهاية، ففي هذا المضمون، دعوة صريحة للحصول على التفاعل بالإعجاب من كل مستخدم بصدد التواصل عبر شبكة الفايسبوك، وإن تم تحديد وضعية معينة لهؤلاء المستخدمين (راكش في الدار).



نستفهم: ماذا يهم صاحب المنشور مكان تواجد المستخدم (في المنزل- في العمل- في الشارع....)؟ ما الفائدة من إثبات الحضور ب"جام" بالنسبة لمن سيستجيب ويتفاعل مع هذا المضمون، إذا توقفت العملية الاتصالية عند هذا الحد:

(لن يخسر شيئا - مجرد ضغطة/ لن يربح شيئا - مجرد ضغطة = الحاصل لا شيء ~ اتصال عشوائي).

تم الاعتماد على الأيقونات البسيطة للدلالة على الوجه الضاحك في بداية ونهاية الخطاب اللفظي المرفق بصورة، في المضمون الثاني، المتمثل في رسم بسيط لا يتعدى بعض الخطوط والدوائر، ويمكن القول أن في ذلك استسهال إلى حد الاستهتار، وعدم العناية بما يُقدم للمتلقي من حيث الجمالية والتصوير الفني. يرمز الرسم إلى وجه تدل ملامحه على الحمق من خلال شكل عينيه، ونظراته تبرز عدم الفهم وتشي بالغباء انطلاقاً من وضعية فمه نصف الدائرية المقلوبة.

اشتمل المضمون أيضاً على خطاب لفظي بلهجة عامية ممزوجة بلغات أجنبية مكتوبة بالعربية حسب طريقة نطقها (كومننت ولايكات)، وهي مصطلحات ترتبط أساساً بالفايسبوك وأساليبه التفاعلية، للإعلان عن مسابقة (مسابقة أجمل اسم).

إن الاسم مسألة شخصية ترتبط أساساً بالذوق الذي يختلف من شخص لآخر، وما قد يعجب فرداً من الأسماء قد لا يعجب آخر، وأحياناً الشخص نفسه لا يعجبه اسمه، ولا تجرى مسابقات لتقييم الأسماء وأكثرها جمالاً، باعتبار أنها ليست من اختيار الشخص، ولا تعبر بصفة مطلقة عن صاحبها، إنما هي إثبات للهوية حسب القوانين المجتمعية.

تتمثل طريقة التقييم في الحصول على (أكثر لايكات)، إذن، الشخص مرهون في ردة الفعل التفاعلية الافتراضية، بما أن (الاسم إلي يأخذ أكثر لايكات هو يفوز).

نطرح، في هذا السياق، استفهاماً: بماذا سيفوز؟ ماذا يعني الفوز الافتراضي: هل هو كسب للثقة وإشباع نفسي لصاحب الاسم؟ وفي جميع الحالات، يمكن الإقرار أن "الفائز" الوحيد هو صاحب المنشور لأنه سيحقق غايته في الحصول على التفاعل.



إن الحصول على أعلى قدر ممكن من التفاعل، ليس غاية في حد ذاته، إنما هو نتيجة وكل نتيجة تسبقها أسباب، وإذا أراد منتج الرسالة الحصول على نتيجة موجبة عليه تجهيز الأسباب الملائمة، وبغيابها، يغدو الاتصال عشوائيا وهو الاتصال الذي تغيب فيه الأهداف ويفتقر إلى الغايات.

4.3- الابتزاز والاستغلال للتكسب التفاعلي: التنفير من المساهمة في العملية الاتصالية:

4.3.1- الابتزاز والاستغلال التفاعلي:

تقوم بعض المنشورات بتوجيه رسائل تحاول تقييد حرية مستخدمي الفاييسبوك، عن طريق إطلاق الأحكام على ممارساتهم الاتصالية واختياراتهم التفاعلية (اعمل جام... و إلا/ برطاجي... والإ.../ لا تنس فقد حلفت/ الله لا ترحم والدين إلي يشوف الصورة وما يعملش جام.. ما تنساش راهم والديك...)

يمكن تسمية هذه الوضعية الاتصالية بـ"الابتزاز" التفاعلي، عن طريق المتاجرة بالدين والاستدراج العاطفي أولا واستغلال المعاناة الإنسانية للتكسب التفاعلي ثانيا.

4.3.1- الابتزاز التفاعلي من خلال المتاجرة بالدين:

ندرج في الوثيقة التالية أمثلة عن المنشورات التي تمارس الابتزاز التفاعلي عبر رسائلها:



الوثيقة عدد 47: من مظاهر الابتزاز التفاعلي: الابتزاز من خلال المتاجرة بالدين

الصف الأول من المضامين



الصف الثاني من المضامين



الصف الثالث من المضامين



ينقسم الخطاب اللفظي، في أغلب هذه المضامين، إلى قسمين، قسم لتوضيح الموضوع (رؤية الرسول في المنام- شرب ماء زمزم...)، ويأتي القسم الثاني في شكل دعاء أو إقرار أو طلب أو استفهام.



ترتبط المضامين الأربعة في الصف الأول من الوثيقة بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم:

يلجأ منتج هذه المضامين إلى أسلوب تسويقي (ستبدأ دون توقف والدليل أمامكم)، حيث يتعمد إقرار رد فعل معين تصرح به الرسالة التي أنتجها، على أساس الحصول على أعلى مستوى تفاعل، مع تحديد النتيجة دون ترك مجال للمتلقي للتفكير، فصاحب المنشور يفكر ويتخذ القرار بدلا عنه، ولا يترك له سوى الانصياع للتنفيذ.

تستبطن الرسالة معنى ضمنا يتمثل في أن من لا يستجيب للطلب التفاعلي، فهو لا يحب الرسول، رغم أن منتجها يكتفي بذكر العبارة فحسب (عندما أقول سيدنا محمد)، ولم يذكر على الأقل صفة من صفاته أو عملا للحث على الاقتداء به.

ارتكز الخطاب اللفظي (هل نستطيع أن نهدي 500 صلاة لسيدنا محمد) على أسلوب استفهامي طلبى ينتظر تعليقا مع تحديد العدد المطلوب من التعليقات، تم إيراد الحد الأدنى، وإذا زاد عنه، فذلك يصب في مصلحة منتج الرسالة، ونتساءل في هذا السياق: هل يمكن الجزم بأن المستخدمين الذين لا يضغطون على زر الإعجاب غير (عاشقين لسيدنا محمد)، خاصة وأن هناك "عشاقا" لا يريدون الإعلان افتراضيا ولا يجدون داعيا لفعل ذلك.

يرتبط المضمونان الأول والثاني، في الصف الثاني، بمواقع أو أماكن مقدسة، وهي مدخل المدينة المنورة (مدخل مدينة مكة المكرمة يا رب إلي ينزل جام إن شاء الله يزورها)، وماء زمزم (كم مسلم يتمنى يشرب من ماء زمزم ينزل جام)

يرتبط المضمونان الثالث والرابع، في الصف الثاني، بالقرآن وتحديد المصحف في مجمله: في المضمون الثالث، نرى سيدة تبكي مخفية عينها بكفها، وتحمل كتاب القرآن باليد الأخرى رافعة إياه (مين يبحب القرآن الكريم يعمل لايك)، وفي المضمون الرابع، تم إدراج رسم في صيغة معادلة (وجه عابس + كتاب قرآن = وجه باسم)، مع خطاب لفظي (إلي موافق ينزل جام).

تتعلق المضامين الثلاثة في الصف الثالث من الوثيقة بعبارات منها:

- الآية القرآنية: يمكن الإشارة فيما يرتبط بالخطاب اللفظي التالي (بربي شوف محلاها هل آية "ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام قداش تستحق من جام) :



أولاً، تعتمد اختيار قسم معين من الآية بهدف الطمأنينة، أن هناك قوة تسيطر على العالم، ووحدها الذات الإلهية باقية وترث الأرض ومن عليها، وعدم إدراج بدايتها "كل من عليها فان".

ثانياً، القرآن كل لا يتجزأ، ولا يمكن، موضوعياً، القول أن هذه الآية "أعلى" من أخرى، لأن كل آية لها سبب تنزيل وغايته.

ثالثاً، يمكن لصاحب هذه الصفحة، في كل مرة، اختيار آية ونشرها، معتمداً نفس الأسلوب في تقديمها أو أساليب أخرى، بهدف التفاعل، ما يمكن تنزيهه في إطار "المتاجرة بالقرآن بالتفصيل/ بالتقسيم" عن طريق عرض الآيات بصفة مستمرة.

- الشهادتان: نلاحظ فيما يتعلق بالخطاب اللفظي (نريد جمع ألف محب لهذه الكلمة...)، أنها ليست كلمة وإنما جملتان (لا إله إلا الله / محمد رسول الله)، وأن كل مسلم بصفة منطقية محب لهما ما دام آمن، وهما أول أركان الإسلام.

- الله: ماذا يحصل إذا تحققت الأمنية (أمنيته نلقى 500 جام لكلمة الله)؟

إن الخطاب اللفظي الوارد، في هذه المضامين، يدفع إلى الاستفهام: هل هذه الأساليب قادرة على نصرته الإسلام كدين متهم بالإرهاب، بصفة مباشرة أو غير مباشرة؟ هل تساعد هذه المضامين على التعمق في العقيدة وترسيخ أحكامها؟ ما الفائدة من الأسئلة المطروحة، باستثناء تحقق غاية منتج الرسالة أو عدم تحققها، وما ينجر عن ذلك من ارتفاع مستوى التفاعل أو ضعفه؟

لا يمكن إدراج هذه الأسئلة في إطار سبر آراء، باعتبار أن كل سبر في أي مجال من المجالات له أهداف محددة يسعى إلى بلوغها، وليس مجرد أصوات وإجابات يتم جمعها، وتتمثل الإجابة في هذا السياق في ردود تفاعلية بالإعجاب أو التعليق حسب ما يطلبه منتج الرسالة.

يدفع منتج هذه المضامين إلى التصريح بالخبايا والمطامح العقائدية (من يتمنى أن يرى الرسول، من يحب القرآن...)، في حين، أن المستخدم ليس مطالباً بتقديم إثبات للآخر، فالتدين صلة بين الإنسان وخالقه، ومنطقياً الأمر أعمق من ضغطة زر (جام. جامات. لايك) أو تعليق، كدليل عشق أو حجة على الإيمان وبرهانا على التقوى.



تم الاشتغال، في هذه المنشورات، على جملة من "المواد الأولية" (الرسول والأماكن المقدسة والقرآن وكلمة الله والشهادتان)، و"تعليها" في قالب "سُلع" دينية ونشرها في انتظار الإقبال عليها. يمكن الحديث في هذا الإطار عن شكل من أشكال المتاجرة، عبر استغلال المرجعية الدينية، لتحقيق أغراض تفاعلية، حيث تم الاكتفاء بالجزء النظري وعدم التعمق في الأحكام والسنن والتعاليم مثلاً، وهو ما يجعلها لا ترتقي إلى رتبة الدعوة الدينية، بالتالي، عاجزة عن تقديم الإضافة.

4. 3. 1. 2- الابتزاز التفاعلي من خلال الاستدراج العاطفي:

يوضح المضمونان المدرجان، في الوثيقة التالية، هذا المظهر من مظاهر الابتزاز:

الوثيقة عدد 48: الابتزاز التفاعلي من خلال الاستدراج العاطفي

المضمون الثاني



المضمون الأول

كان أمك موجودة و
بخير حط جام وقول
الحمد لله

في المضمون الأول، تم الاكتفاء بخطاب لفظي باللون الأسود على خلفية بيضاء بخط غامق وحجم كبير سهل المقروئية، ويشتمل على قسمين: الاحتمالان (كان أمك موجودة/ و بخير) ثم ما يتبعهما من تصرفين افتراضيين مطلوبين، وهما إعلان في صيغة أمر (حط جام/ قول الحمد لله).

تم تحديد طريقة التفاعل الافتراضي، حيث لا يمكن الاقتصار على تصرف واحد أو اختيار تصرف مغاير، ليمرر صاحب المضمون رسالة مفادها أن عدم التنفيذ يعبر عن "عقوق افتراضي"،



وهو ما يحاول إبلاغه بهذه الطريقة إلى المتلقي الذي قد ينساق، خاصة وأن المطلوب ليس صعبا، سعيًا للتخلص من الشعور بالذنب الذي يولده "التقصير" التفاعلي الافتراضي، فيتبع التعليمات الواردة في المنشور.

نستشف استدراج المتلقي عبر الاعتماد على حيلة اتصالية مضمنة في رسالة تتوجه إلى العاطفة، لتثيرها بمواضيع تتدرج في الحقل الشعوري وبوسائل من هذا النوع.

إن المتلقي يجد نفسه شبيها بالمحاصر، حتى إذا لم يكن عضوا منضما إلى إحدى هذه الصفحات، إلا أن هناك من بين قائمة أصدقائه من ينضم ويتقاسم المنشورات، وهو ما يجعله يتلقاها بصفة مباشرة عند تصفحه لحسابه الشخصي، ليشكل ذلك إلحاحا تفاعليا، قد يستجيب له المستخدم وقد يرفضه، حيث تم رصد ردود فعل يعبر من خلالها المستخدمون عن انزعاجهم من هذه المضامين، ويصرحون عبر الخطاب اللفظي التالي (كرهتونا في الفايسبوك وفي أرواحنا).

تحتل الصورة، في المضمون الثاني، القسم الأكبر، وهي عبارة عن رجل يقبل قدم سيدة مسنة، ويكشف الخطاب اللفظي العلاقة التي تربطهما، لنعرف أنهما ابن وأمه (إلى مستعد يبوس ساق أمو ينزل جام)،

ونستفهم في هذا السياق: هل تقبيل القدم برهان على البر والمحبة؟ هل الفرد مطالب بالبرهنة على ذلك افتراضيا؟ هل يمكن اعتبار ضغطه على زر الإعجاب دليل قطعي على التأييد والاستعداد للقيام بالفعل، خاصة وأنه قد لا يكون المستخدم مستعدا للتقبيل، ويضغط على الزر ليكون إقراره مجرد ادعاء؟

كان من الممكن الاكتفاء بهذا الخطاب، لكن قصدا تم إيراد الصورة، باعتبار ما تتميز به من قدرة تعبيرية أبلغ وأكثر تأثيرا في النفس، رغم أن التقاط صورة شبيهة لنشرها في الفايسبوك يطرح جملة من الملاحظات، لعل أهمها مدى مصداقية هذه الحركة خاصة إذا تم تصويرها، أي أن القائم بالفعل لم يتصرف بصفة تلقائية لبلوغ هدف شخصي، وهو التعبير عن تقديره لأمه، إنما تهيأ مسبقا، وكلف شخصا ليلتقط له صورة وهو بصدد القيام بهذا الفعل.

إن التوثيق في شكل صورة ليست عفوية يقلل من قيمة المبادرة، ويجعلها أشبه بلقطة في مسلسل تحتاج استعدادا مسبقا وتحضيرا، أي يحيد عن صدق التصرف بهذه المشهدية التمثيلية، فهو لا يقوم بذلك للتعبير عن احترامه لأمه فحسب، إنما استعراض أمام الآخرين للبرهنة على الملأ على إحساس، من المنطقي،



أنه نابع عن قناعة ولا يحتاج إثباته بالحجة للآخرين، ليكون الدافع الأساسي للفعل هو النشر على حسابه على الفايسبوك وانتظار التفاعل الافتراضي.

يحاول ناشر الصورة في هذه الحالة الابتزاز، فهو يتاجر بها ليتكسب تفاعليا بشكل صريح (انزل جام) لربح أعلى نسب التفاعل، معولا في كل مرة على استبطان رسالة أخرى غير معلنة، وهي أن من لا يستجيب لطلبه، فهو عاق وجاحد ولا يحمد الله على ما رزقه من نعم، وفي محاولة لاستبعاد هذه التهم، على المتلقي الاستجابة لطلب منتج الرسالة.

لكن، إذا تم إعمال العقل، سيجد المستخدم أن تعبيره بالإعجاب سيتحول إلى مجرد رقم يضاف في رصيد هذا المنشور، ومهما علا هذا العدد أو انخفض، فهو لا يحدث تغييرا على المستوى العلائقي الاجتماعي، إنما هو مجرد إرضاء نفسي مؤقت.

4. 3. 1-3 استغلال المعاناة الإنسانية للتكسب التفاعلي:

يتم تسخير مضامين تشترك في نوعية المواضيع، التي تتطرق إلى ما يمكن أن يواجهه الفرد من مرض أو فقدان عزيز أو العجز الجسدي، وهو ما توضحه الأمثلة المدرجة في الوثيقة التالية:



الوثيقة عدد 49: استغلال المعاناة الإنسانية للتكسب التفاعلي

المضمون الثاني



المضمون الأول



المضمون الرابع



المضمون الثالث



يشارك المضمونان الأول والثاني في الموضوع المتمثل في المرض، وإن اختلفت الأساليب. نلاحظ في المضمون الأول، تصدر الصورة واحتلالها الجزء الأكبر من المنشور، في حين تم تخصيص الجزء السفلي ذي المساحة الأصغر للخطاب اللفظي.

يمكن القول أن هذا التوزيع ليس عشوائياً، إنما يعود إلى إدراك أهمية ما تعرضه الصورة، بالتالي، تتمثل الخطوة الأولى في القدرة على نشر ما يستوقف مستخدم الفايسبوك الذي يتصفح بشكل سريع، لذلك وجب



اختيار المضمون القادر على جذب اهتمامه، ليطلع كخطوة ثانية على الخطاب اللفظي الذي ينقسم إلى جزئين، وهما عرض الحالة وطلب التفاعل، وإن كان بأساليب مختلفة.

يستعرض **المضمون الأول** صورة طفل مريض، ونستشف ذلك من خلال السرير الذي يوجد عادة في المصحات، وفم الطفل المكتم، وكفه الموصولة بإبرة المصل، وهو بصدد التشهد على سجادة مفروشة.

تم توجيه خطاب مباشر عبر استخدام ضمير المخاطب المفرد (تشعر- تنزل- تدعيو)، وهو ما يمكن اعتباره إقرار ممارسة معينة، بواسطة أسلوب لا يضع للمتلقي إمكانية الاختيار، مبرزاً أن ردة الفعل التفاعلية ستتبلور آلياً كتصرف لا إرادي ولا واع (من غير ما تشعر).

إن الهدف من تسويق الفكرة بهذه الطريقة هو "التكسب" التفاعلي عن طريق المطالبة بالإعجاب والتعليق (باش تنزل جام/ تدعيو الله يشفيه).

اقتصر **المضمون الثاني** على خطاب لفظي، وهو عبارة عن سؤال يستفهم من خلاله القائم بالاتصال عن العدد الذي يمكن أن يحققه الدعاء الذي اقترحه (كيف نقول الله يشفي كل مريض ضاق بيه الحال) من إعجاب (قداش نلقى من جام).

تخدم هذه المضامين أساساً صاحب المنشور لبلوغ غايته التفاعلية، مستخدماً لتحقيقها العبارات الأكثر تداولاً والتي يضمن أنها تجد تفاعلاً لدى المتلقي، في حين أنها لا تقدم خدمة للمريض الذي يعرض صورته أو يدعو له افتراضياً.

قد يكون في ذلك دعوة للتفكير في من يتكبدون معاناة من نوع ما، لكن، هذا الإعلان الصريح بالتفاعل عبر الإعجاب أو التعليق يحيد بالمضامين عن غايات إنسانية محضة تطلب الشفاء للآخرين، وتحت المستخدمين على عدم تجاهلهم وتذكرهم بصفة مستمرة.

بالتالي، نستشف تعمد استدعاء هذه المواقف الإنسانية، وعرضها على صفحات الفايسبوك للتكسب تفاعلياً بما يمكن أن تثيره من ردود فعل، باعتبار أنها رسائل تتوجه بشكل رئيسي العواطف والانفعالات، وتغيب المنطق والتفكير بعقلانية (ماذا سيستفيد المريض من الجام؟).

في **المضمون الثالث**، يسبق الصورة خطاب لفظي (لا تغلق الصفحة قبل أن تدعو لها بأن يصبرها الله على مصيبتها)، وهو خطاب مباشر يقوم على أسلوب النهي، يفرض عن طريقه منتج الرسالة



على المستخدمين جملة من الأوامر التي عليهم التقيد بها، ولا يمكن تحديد ماهي ردة الفعل المطلوبة: هل هي دعاء يردده المستخدم بينه وبين نفسه سرا أو علانية أم يصرح به افتراضيا عن طريق التعليق؟

ستتوضح معالم الإجابة عن هذا الاستفهام عبر النص الذي يتضمنه المنشور، والذي يتناقض أسلوبيا مع الخطاب اللفظي الأول، ففيه احتمال (لو).

هناك تباين بين الخطابين أسلوبيا (التأكيد والاحتمال)، ويشتركان في الغاية التي تم التصريح بها (اضغط لايك وقول الله يصبرها)، وهي أفعال يأمر منتج الرسالة القيام بها، وهي ذاتها التي تتكرر في مضامين أخرى.

يدعم هذا التكرار فرضية أن هذه النوعية من المنشورات لا هدف لها إلا الحصول على التفاعل بأية طريقة ومهما كان الأسلوب، حتى إذا اضطر الأمر إلى المتاجرة بأحزان الناس، والبحث عن الصور الأكثر قدرة على تهيج المشاعر وكسب التعاطف، مثلما هو الشأن بالنسبة للمضمون الثالث الذي نجد فيه صورة انتشرت كثيرا على صفحات الفايسبوك، ومن بينها صفحات القنوات التلفزيونية المختصة في الأخبار، وهي عبارة عن سيدة تفتش الأرض قرب قبر وتشي ملامحها بالحزن وشديد التأثير حد البكاء.

رافق المضمون الرابع خطاب لفظي والمتمثل في (ربي سامحنا على تقصيرنا في حق هؤلاء المعاقين الفقراء)، وهو خطاب يسبق المنشور الذي يتضمن صورة لفنأة يبدو من ملامحها انتماءها إلى القارة الآسيوية، وهي فاقدة لرجليها، لكنها، تنجح بطريقتها التي ابتكرتها في التنقل.

يعبر الخطاب اللفظي عن موقف شخصي لصاحب الرسالة، لكنه استخدم ضمير الجمع (سامحنا- تقصيرنا)، أي أنه جمع نفسه (أنا المتكلم) مع من سيتلقى هذه الرسالة ويطلع عليها (أنتم)، بهدف التأكيد أنه ليس المقصر الوحيد، وإنما كل من سيقراً رسالته، وهو ما يكشف عن الرغبة في بث تأنيب الضمير لدى المتلقي بصفة صريحة وعدم ترك سبيل للإنكار، فالجملة وردت في صيغة تقريرية لا تدع مجالاً لإيراد افتراض آخر.

يتعمد هذا النوع من الرسائل، عند عملية إنتاج المضمون اللفظي، عدم مخاطبة العقل، إنما يختار الأساليب الحاسمة التي يتوجه معناها إلى الانفعال واللاوعي، انطلاقاً من فكرة امتلاك كل مستخدم مخزوناً رمزياً



يجعله يتعاطف مع هذه الحالات التي قد لا يمكنه مساعدتها، لكنه، يجد نفسه مدفوعاً إنسانياً إلى مسانبتها معنوياً.

أصبح التعبير افتراضياً عن التضامن المعنوي بمثابة الإجماع، بل و يتجاوز الأمر إلى جعل المتلقي يقر بما لم يصرح به علانية، أو حتى لم يشعر به من تقصير تجاه حالات معينة.

نرصد أيضاً، على مستوى الخطاب اللفظي، عدم احترام الذات البشرية باختيار ألفاظ من المستحسن عدم اللجوء إليها، والمتمثلة أساساً في (المعاقين)، فهي في حد ذاتها إهانة لهم، ما يجعل منتج الرسالة لا ينشر ثقافة رمزية ذات مدلولات تحترم الآخر، مهما كانت وضعيته.

تجدر الإشارة إلى أن الصورة استخدمت في غير سياق نسختها الأصلية حيث عُرضت لإبراز قدرة الذات البشرية على التحدي وتجاوز العراقيل، فهذه الطفلة ولدت دون رجلين، لكنها، لم تستسلم وبحثت عن طريقة للتنقل لمواصلة حياتها بشكل أقرب ما يكون للعادي.

إذن، تم تحويل وجهة الصورة رمزياً للتكسب بمدلولاتها تفاعلياً. في هذا السياق، تحققت غاية منتج الرسالة باعتبار العدد الكبير للمتفاعلين (6.5k)

تتمثل بعض التعليقات على الصورة رغم اختلاف المستخدمين، وهو ما يحيل إلى الاكتفاء بعملية (نسخ - لصق)، حتى أصبح الأمر شبيهاً بالتقليد لا غير، لغياب الإحساس الحقيقي الذي يدفع المشارك في هذه العملية الاتصالية أن يثريها بطريقته الخاصة، وإنتاج خطاب لفظي نابع من موقفه، وليس مجرد إعادة ذات التعليق، ليغدو بمثابة قالب الذي يلجأ إليه دون عناء التفكير والصيغة.

إن التعليق سيجعل العملية الاتصالية تدور بصفة متواصلة، وإذا كان المحتوى لا يرتقي إلى متطلبات الرسالة ويثريها، فإن التفاعل سيستمر في حركيته ظاهرياً، ويستبطن فراغاً رمزياً، وهو ما ينتج عنه اتصال أجوف.

4.3.2- التنفير من المساهمة في العملية الاتصالية:

يعتبر التنفير نتيجة محتملة من بين نتائج الابتزاز والتكسب التفاعليين عبر الاستدراج للتحريض على التعبير عن الإعجاب أو التعليق، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، إنما يتجاوزهُ للاثهام، وهو ما يمكن ملاحظته من خلال الخطاب اللفظي في المضمون المدرج في الوثيقة التالية:



الوثيقة عدد 50: التنفير من عملية الاتصال الافتراضية عبر اتهام المستخدم بالقصور التفاعلي



قد يكتفي المستخدم بالتفاعل السلبي أي الاطلاع دون رد فعل أو تمرير هذه المنشورات عند التصفح وعدم التوقف عندها، لأنه يعرف فحواها الذي لا يثير اهتمامه، وتتكون لديه فكرة الرفض لها وتترسخ، وقد يعلن عن استيائه عبر التعليق على المنشور نفسه، أي توجيه الخطاب إلى منتج الرسالة بصفة مباشرة، وهو ما يمكن رصده من خلال هذا المضمون الذي تم فيه اتهام المستخدم صراحة بالعنصرية، ومن بين هذه التعليقات (هذا الأسلوب غير محترم...أسلوبكم مستفز جدا.. فكرو في أسلوب طرح اللايك بدون اتهامات حقيرة) وأيضا (نعم أنا عنصرية لا ضد اللون ولا العرق لكن ضد التكفير السلبي وقلة الأدب).

نستشف قدرة المستخدم على النقد والاحتجاج، فهو غير مجبر أو مسير للقيام بممارسة اتصالية معينة أو تصرف تفاعلي يفرضه صاحب المنشور، الذي له الحق في نشر ما يشاء والمطالبة بما يحقق غايته، واستخدام شتى الأساليب، وللمتلقي القدرة على توجيه سلوكه التفاعلي حسب ما يستجيب لمصالحه وقناعاته.



4.4- استنتاج:

بعد تحليل المستويات الثلاثة لمساهمة المضامين في تفكير العملية الاتصالية، والمتمثلة بالأساس في قولبة الاتصال وما ينجم عنه من تواصل سلبي أولاً، والإفراغ من الجدوى وما يتسبب فيه من تواصل عشوائي ثانياً، والابتزاز والاستغلال التفاعليين الذي قد ينجر عنهما تنفير المتلقي للرسائل من خلال الاستدراج واتهامه بالقصور ثالثاً، نستنتج ضرورة التساؤل وإعمال العقل والتفكير.

إن من المهم توجيه النقد البناء القادر على الإشارة إلى مواطن الخلل لتقديم حلول، وهو ما من شأنه إبراز الفرد كذات واعية لا تنساق للانفعالي على أهميته، فهي لا تلغيه عندما لا تعبر عن إعجابها بمنشور أو تمتنع عن التعليق، إنما ترى من الضروري عدم المتاجرة التفاعلية بمواضيع معينة، كما أنه نقد يستعرض البديل ويؤكد على اهتمامه بسلامة العملية الاتصالية الافتراضية دون فرض قوالب على نفسه وعلى الآخرين.

يحتاج المستخدم لبلوغ ذلك إلى جهد ودربة وعدم الانسياق وعدم الركون إلى الاستسهال مبني ومعنى، إلى درجة التسطیح، وليس ذلك فحسب، إنما قد يتجاوز الأمر إلى تحييد عدم الخوض في المسائل الحساسة وعدم التطرق إلى عناصرها الأساسية بجوانبها المختلفة، والاكتفاء بملاحظات ثانوية تتعلق ببعض التفاصيل، ما يتسبب في الحط من قيمة القضايا وتعميق الإحساس بالعجز ضمناً وترسيخه كقاعدة.

5- الخاتمة العامة

1.5- تذكير بالسياق النظري والمنهجي:

تم استعراض المستويات المختلفة لتأثير استخدامات الفايسبوك في العملية الاتصالية من جهة وعملية التغيير الاجتماعي من جهة أخرى بعد طرح الإشكالية وتحديد الفرضيات واختيار المنهج الملائم واعتماد البراديجم الذي يتماشى مع متطلبات البحث.



1.5.1- إشكالية البحث:

تضمنت ثلاثة محاور رئيسية وتمثلت أساسا في:

* إلى أي مدى ساهم الفايسبوك في إثراء العملية الاتصالية من ناحية ومساندة التغيير الاجتماعي من ناحية أخرى في المجالين الافتراضي والعمومي؟

* إلى أي حد قد تتسبب أساليب الفايسبوك التفاعلية في إحداث خلل اتصالي؟

* إلى أي مدى يمكن تحميل مستخدمي الفايسبوك مسؤولية تفكير العملية الاتصالية؟

2.1.5- فرضيات البحث:

تم ضبط ثلاث فرضيات كإجابات محتملة على الإشكالية وهي كالآتي:

أولاً، مساهمة الأساليب التفاعلية للفايسبوك في إثراء العملية الاتصالية في المجال الافتراضي وفي الواقع الاجتماعي من خلال ديمقراطية الاتصال وعولمة القضايا الاجتماعية والسعي لعقلنة الممارسة الاتصالية.

ثانياً، تهديد استخدامات الفايسبوك للعملية الاتصالية متنسبة في خلل اتصالي نتيجة تراكم أساليب التفاعل واختلال موازين التواصل.

ثالثاً، مساهمة استخدامات الفايسبوك في تفكير العملية الاتصالية وهو ما قد ينجم عنه عرقلة عملية التغيير الاجتماعي على مستوى التمثلات والأدوار والممارسات.

3.1.5- المقاربة البحثية والمنهج المعتمد:

استوجبت متطلبات البحث الارتكاز على المقاربة الوثائقية واللجوء إلى منهج تحاليل المضمون لتناول أمثلة من المنشورات المأخوذة من صفحات فيسبوك تونسية وأجنبية في الفترة التي تلت الثورات العربية، استناداً إلى عينة قصدية يتمشى محتواها مع متطلبات الإشكالية، والقادرة على تقديم إجابات موضوعية على الفرضيات المقترحة لتأكيد صحتها أو نفيها أو تعديلها، مع الإشارة إلى السعي حتى تكون العينة متنوعة من حيث الرموز التي تشتمل عليها قدر الإمكان، للإحاطة بالظاهرة في أبعادها المتعددة.



تم استعراض مستويات تأثير الفاييسبوك في العملية الاتصالية والواقع الاجتماعي بواسطة تحاليل المضمون البسيطة والمقارنة، عبر رصد العديد من المنشورات التي اختيرت الصورة محملا لها، سواء كانت مرفقة أو غير مرفقة بخطاب لفظي، والعمل على استقراء دلالات الأساليب التفاعلية والتمثلات الاتصالية والعلاقات والممارسات الاجتماعية، وذلك بطبيعة الحال حسب سياق محدد تميز بجملة من الأحداث والقضايا، وطرح مواضيع تستدعي الانتباه لها لما تثيره من تساؤلات وحاجة معطياتها للفهم.

4.1.5- الإطار النظري:

تم اعتماد التفاعلية الرمزية كنموذج للمساعدة على التدقيق في فهم ممارسات الفاعل الاجتماعي وأساليب تعامله مع القضايا المجتمعية والاستناد على الواقع الافتراضي مجالاً للتغيير الاجتماعي. تجدر الإشارة في هذا السياق، أهمية الابتعاد عن الحتميتين التكنولوجية والاجتماعية في الفهم والتحليل والاستنتاج، إنما على العكس محاولة تفصيل الكل نظراً لأهمية الجزئيات، إضافة إلى عدم الاقتصار على زاوية بحثية أحادية باعتبار العلاقة التكاملية بين ما هو تقني واجتماعي، على مستوى استخدامات الأفراد لهذه الشبكة الافتراضية من خلال تمثلاتهم وما يستجد في واقعهم الاجتماعي.

بالتالي، تم تحليل الفرضيات تباعاً باستعراض كل مستوى من مستويات الإشكالية، ودعم الفكرة بتحليل مضمون أو أكثر من مضامين صفحات الفاييسبوك، إضافة إلى إدراج آراء بعض الباحثين، وذلك لدعم ما ورد في التحليل أو وضعه محل تساؤل عن مدى صحة الإقرار بهذا الرأي أو ذلك، أي وضعه محل نقاش ولتنسيب الاستنتاج المستخلص ومنح رؤية علمية تعددية للموضوع بعرضه من زواياه المختلفة إلى حد التباين أحياناً.

2.5- الاستنتاجات الأساسية:

تم التوصل من خلال محاولة رصد المستويات المختلفة لتأثير استخدامات الفاييسبوك في العملية الاتصالية وفي الواقع الاجتماعي إلى جملة من الاستنتاجات لعل أهمها ما يلي:

أولاً، إن تحليل العوامل المساهمة في إثراء العملية الاتصالية والوقوف عند أبرز مظاهرها، يدفع إلى القول أن الفاييسبوك، كفضاء للتواصل، يسعى بصفة مستمرة إلى إرساء رؤية تفاعلية تتميز



بما تقترحه من أساليب تمنح الفرد فرصة بلورة تمثلاته والتعبير عنها لإثبات فردانيته من جهة، وتدعيم حضوره كذات فاعلة تضطلع بدور في النقاش العام الدائر في الواجهة الافتراضية العالمية حول القضايا المجتمعية على أوسع نطاق من جهة أخرى، مع الأخذ بعين الاعتبار المحافظة على سلامة العملية الاتصالية واحترام المبادئ الجوهرية للفعل التواصلية بأبعاده العلانية التي ترتبط بالذات والآخر والمجتمع.

ثانياً، إن استعراض مظاهر وانعكاسات تراكم أساليب التفاعل في شبكة الفاييسبوك، أبرز ترابط أبعاده بشكل ما، فالبعد الأول المتمثل في سلعة الاتصال وتغليب العقل الوسائلي على العقل الإيجابي ولد محاصرة المستخدم والسيطرة عليه، إلى حد بلوغ البعد الثالث، الذي قد يفقد فيه المستخدم السيطرة، ما ينجم عنه عدم التحكم في اتخاذ القرار.

من ناحية ثانية، كشفت مظاهر اختلال موازين التواصل عن استراتيجيات توظيف الأساليب التفاعلية الافتراضية، وتثمين اللحظة الراهنة وتهميش الحاجة إلى بناء صورة اتصالية قادرة على البقاء وقابلة للتطور، وهو ما قد يؤثر في المستخدم على مستوى تمثلاته وممارساته وعلاقاته، سواء كانت في الواقع الاجتماعي أي محيطه العلاني الضيق وشبكاته بصورة أشمل، أو في واقعه الافتراضي إلى درجة تتداخل فيها آليات تقييم المكانة الاجتماعية.

ثالثاً، تساهم بعض استخدامات الفاييسبوك في تفكير العملية الاتصالية عبر قولبة الاتصال وما ينجم عنه من تواصل سلبي، والإفراغ من الجدوى وما يتسبب فيه من تواصل عشوائي، والابتزاز والاستغلال التفاعليين الذي قد ينجر عنهما تنفير المتلقي للرسائل من خلال الاستدراج واتهامه بالقصور إذا لم يتقيد بالنمط التفاعلي المقترح.

3.5- علاقة الاستنتاجات بالتيارات الفكرية المرتبطة بمسألة البحث:

1.3.5- الاتصال الافتراضي والتيار النسقي السيبرنيتيقي:

يقوم الاتصال أساساً على التبادل، وهو ما كان محددًا فيما يتعلق بالاتصال المباشر والاتصال الجماهيري، لكن الأمر غداً أكثر تعقيداً وتشعباً منذ ترسخ الاتصال الافتراضي الذي لا يعتمد على نموذج موحد، وتتنبثق التمثلات من كل صوب وفي جميع الاتجاهات، وقد يتقاطع بعضها ويتوازي بعضها الآخر،



وقد تتمكن من فرض وجودها للانضمام إلى رأس المال الرمزي وتنتشر ويتم مقاسمتها، فنتغلغل شيئاً فشيئاً في الممارسات، وتتحول من تمثّل منفرد إلى ممارسة اتصالية متداولة بين عدد كبير من مستخدمي الفايسبوك، فيتحقق الهدف الأساسي للتفاعل المتمثّل في إقامة علاقة متصالحة مع الذات ومع الآخر.

وهو ما دفع إلى الاستفسار حول مدى القدرة على التحكم في نسق الاتصال في هذه الشبكة الافتراضية، وهل هناك نسق موحد أم مجموعة من الأنساق، التي تؤمّن ترابط عناصر العملية الاتصالية لضمان تماسكها والحصول على التغذية المرتدة، حسب المصطلح السيبرنيتيقي، الذي اقترحه الباحث في علوم الرياضيات نوربير فينير (Norbert Wiener)، ونظريته منبثقة أساساً من بحوث سابقة لرياضيين وفيزيائيين من بينهم باسكال (Pascal) و ليبنيتز (Leibnitz).

لا يختلف التمثّل السيبرنيتيقي عن نموذج شانون (Shannon) وويفر (Weaver) إلا بعنصر واحد، وهو إقرار رجوع الصدى كمفهوم مركزي في التحليل النسقي، واكتملت السيبرنيتيكا بالنظرية العامة للإنسان التي وضعها لودويغ فون برتلانفي (Ludwig Von Bertalanfy)، وتهدف هذه النظرية إلى تحديد المبادئ العامة التي تحكم عمل كل الأنساق إن كانت إيدولوجية أو ميكانيكية أو فيزيائية وحتى اتصالية.

إن العودة إلى الحديث عن النمط النسقي، في عصر الاتصال التفاعلي في الشبكات الاجتماعية الافتراضية، يعتبر في حد ذاته مسألة على درجة من الأهمية لما تثيره من تساؤلات تحتاج إلى وقفة تحليلية، بما أن العملية الاتصالية في شبكة الفايسبوك هي تدفق متواصل وليست مجرد تبادل ظرفي أو قصير المدى أو محدد النتائج، أي على عكس التعامل مع الآلة التي يتم برمجتها لتلقي رجوع صدى معين عند عملية الاستقبال التي تلت الإرسال، فالموضوع في هذه الحالة ليس مجرد بيانات تحتاج للمراقبة والتعديل، إنما هو الذات البشرية التي يعسر ضبط ردود أفعالها بصفة نهائية بالنسبة لجميع الاحتمالات المتوفرة.

إن المقصود بالتعديل هو تمكين النسق من أداء مهمته، وتجاوز الصعوبات التي تعترضه وذلك بجعله قادراً على معرفة مساره، إن معرفة موقع الهدف بدقة وفي كل لحظة يمكن من تحديد ردة الفعل المحتملة التي تكون فيها الرسالة الإقناعية قادرة على الالتقاء بحاجة المستخدم وإصابتها.



هل يمكن تطبيق هذه الأحكام على الإنسان عامة والفاعل الاجتماعي بوصفه مستخدماً للفايسبوك بصفة خاصة؟ هل من الموضوعي تطويع قوانين تم استنباطها انطلاقاً من بحوث في العلوم الصحيحة كالرياضيات والفيزياء والميكانيك، التي ترتبط بمواضيع بحثية تختلف خصائصها عن خصوصيات الذات البشرية؟ هل تحتاج دراسة الفرد والواقع الاجتماعي والعملية الاتصالية إلى الضبط والقياس والتكميم والتقنين، أم إلى التفصيل والأخذ بعين الاعتبار للذاتي والانفعالي والفرداني للتفسير والفهم وتنسيب الاستنتاجات؟

هل تقدم لنا هذه النماذج، وليدة حقول علمية مختلفة تمام الاختلاف عن العلوم الإنسانية والاجتماعية، إمكانيات للفهم بشكل دقيق والتعمق في الرمز ودلالاته، أم أنها لا تسمح سوى بالنظر إلى الظاهرة في كليتها لتقديم جملة من المعادلات، فيغدو الأمر بمثابة إصدار نتائج لا استنتاجات، فهي وإن تطرقت إلى بعض الحالات الخاصة التي لا تستجيب للمعادلة، فإنها تقدم حلاً لا يعترف بالذاتية والخصوصية، وإنما تؤكد على ضرورة تعديل المسار والتنبيه لضرورة انضمام هذه الحالات المتفرقة في الإطار المحدد؟

في ذات السياق، تم التأكيد على ضرورة التفكير في خطورة اليوتوبيا المقلوبة *utopie inversée*، حيث "يمكن أن لا تقود آثار التغذية المرتدة إلى تحسينات هائلة وثابتة، وإنما على العكس تؤدي إلى حالات عرقلة (blocages)، وتتسبب في آثار التشبع (les effets de saturation). إن آثار التغذية المرتدة تتمثل في "تعزيز القوي" و "إضعاف الضعيف"⁹⁴، كما أن فيليب بروتون (Philippe Breton) أستاذ صحافة في جامعة ستراسبورغ (Strasbourg) لم يكتف بالحديث عن ظهور الإنسان دون أعماق، وإنما رصد يوتوبيا الاتصال من زاوية أخرى، معلناً أن القرية الكونية ليست سوى وهما أو خرافة.

2.3.5- مسألة الهوية ومنطق السوق (الثقافة الجماهيرية):

إن ثراء الاتصال من ناحية أولى، وفرض الفاييسبوك أساليبه التفاعلية كواجهة افتراضية من ناحية ثانية، والأحداث التي تجري في المجتمعات من ناحية ثالثة، واختلاف تمثيلات الأفراد لواقع اجتماعي يشهد

⁹⁴ Patrik Yves Badillo, "De l'euphorie de la société de l'information à l'utopie inversée", Penser la société de l'information, Actes du colloque, (Institut de Presse et des sciences de l'information et Fondation Konrad Adenauer, Tunis, Université de la Manouba, 07 et 08 Avril 2005), p.66.



تطورات من جهة، واختلالات من جهة أخرى، إلى حد هزات قد تملك من القوة لزعة دعائمه الأشد ثباتاً، ونعني بالأساس الهوية بما تتضمنه من ثقافة ومبادئ ومعايير لم يكن رسوخها محل شك ولم يتم التنبؤ بإمكانية "فردنتها" أو "عولمتها" أو إلغائها وتشكيل أخرى أو غير ذلك من الاحتمالات التي ما انفكت تتنازل في صلب العملية الاتصالية.

تختلف الإجابات المقدمة لهذا الطرح، فمنها من تصطف حججها البحثية لتدعم فكرة أن التعدد يولد الوفرة، ودليلاً على خصوبة العملية الاتصالية الناتجة عن ديناميكية عناصرها، في حين يجزم البعض أن تزواج الفردانية والكلية يشكل تهديداً حقيقياً للاتصال حيث لم يعد من الممكن تحديد القائم بالاتصال، إضافة إلى الرسائل المتباينة التي يتم توجيهها دون احترام جملة من الضوابط، مما ينجم عنه تكاثرها بصفة مستمرة، وهو ما من شأنه حسب ما يتبنى هذه الفكرة التسبب في "انفجار اتصالي" يقضي على التفاعل، ف"في عالم تقني حيث نتواجد نحن وفي هذا الكون دون هرمية أو تتداخل فيه الطبقات حيث القاعدة هي القمة، يموت الاتصال بفائض من الاتصال وينتهي به الحال إلى احتضار لا ينتهي لحلقته"⁹⁵.

تمنح أساليب التفاعل في شبكة الفاييسبوك لكل مستخدم فرصة إعادة بلورة هويته، عن طريق عمليتي مساءلة واختيار مستمرتين، باعتبار أنها ليست هوية ثابتة وإنما متحولة ومتطورة حسب ما تتطلبه الحاجات النفسية والاجتماعية والاتصالية لكل فرد، وتخول له هذه الأساليب إمكانية التجربة قبل القبول بالصورة النهائية التي سيقدمها عن ذاته في الشبكة الاجتماعية الافتراضية، كما أنها ليست هوية ضيقة، وإنما يمكن لصاحبها توسيعها بإنتاج الرموز، والتعبير عن وجهات النظر استناداً إلى الترسانة التفاعلية التي تسمح له اختيار موقعه التفاعلي (الاقتراح. الدفاع. التشجيع. النقد. الرفض...)، إضافة إلى استقبال رموز الآخرين وتفاعلاتهم، وإذا نالت إعجابهم يقومون بالاستفادة منها و"استهلاكها".

يرى البعض في استخدام مصطلحات "إنتاج- استهلاك"، وهي مصطلحات تنتمي أساساً إلى منطق السوق، بما فيه من عرض وطلب وبيع وشراء وغير ذلك من العمليات المتداولة في مجال التجارة، أمراً معزراً للتبادل الذي يثري الهوية الفردية ويجعلها تمنح كما تأخذ، وتجذب وتستنقطب كما تنجذب نحو الآخر، وتنهل من حقل دلالي شاسع الأبعاد، وتجذر خصوصيتها، وتحرر من الجمود لتتسم بالحركية.

⁹⁵Lucien Sfez, La communication, ibid, p.21.



في حين تعتبر وجهة النظر الثانية أن استخدام هذه المصطلحات، وانسحاق المستخدمين لتشكيل هوياتهم الذاتية بهذه الطريقة، والركون إلى ما يوفره الفايسبوك من أساليب تفاعل تدعم نظرية السوق، وتعتمد على استراتيجيات التسويق يشكل خطراً، حيث "بدا كأنما تأكلت اليقينيّات القديمة ونقاط الإحالة السابقة، ليحل محلها عالم سطحي جديد من اختيار المستهلك وخيارات الهوية الجاهزة، وبالنتيجة ينظر إلى العولمة بوصفها بشيراً بأزمة هوية"⁹⁶.

تسعى هذه الرؤية إلى الإشارة إلى وجود تهديد للمخزون الرمزي الجماعي، وعلى الأسس التي ترتكز عليها شخصية أفراد المجتمع الواحد التي تعتبر هامة، بما أنها تحدد ركائزهم ومرجعياتهم واتجاهاتهم، فالبحث عن الخصوصية الذاتية في تشكيل الهوية قد يجعل المستخدم يتخلى، عن وعي أو دون وعي، عن هويته الجمعية التي تمنحه الانتماء ودونها قد يغدو نكرة، أو يحتاج في كل مرة إلى البحث عن تعريف لهويته، فبلورة الهوية الذاتية لا يعني الانفصال فكما يعرف الفرد الكل، فالكل يعرف الفرد.

تتراوح المواقف بين التشبث بفردانية لا تعترف بالآخر الذي لا يخدم مصالحها، وإقصائه والاكتفاء بتأنيث عالم ذاتي تصدر فيه الأنا قراراتها دون إعارة الاهتمام للنقاش والتفاعل لتبادل وجهات النظر، واستسهال ربط العلاقات وفكها.

نجد أيضاً موقفاً لمستخدم يبحث بصفة دائبة عن الاعتراف عبر عرض تمثلاته وانتظار تفاعل الآخر معها لقياس درجة عمق مكانته، لينحصر تفكيره في كسب هذا الاهتمام الافتراضي، ما قد يدفعه إلى الحياد عن التفكير المنطقي كمنهج لتحقيق غاياته الوجودية التي تتجاوز مجرد الحصول على توثيق أسلوبه على مضمون معين، وهو بذلك يجعل ذاته وإرضاء أناه محور التفكير، فينزاح عن البحث الجدي والعقلاني لدعم ذاته الفاعلة وتعزيز قدراتها للارتقاء بها.

تم التنبيه أيضاً إلى خطر آخر وهو "خطر الهوية الجاهزة"، أي أن المستخدم لا يقوم بتشكيل هويته والمحافظة على خصائصها ودعمها وإثرائها بالبحث والإنتاج والتساؤل والتغيير، وإنما يختار هوية من بين جملة من الخيارات الممكنة، على أساس تلبيتها لمتطلباته الآنية، وبذلك تغدو الهوية ذاتها شبيهة بسلعة، قد تصلح لاستعمال واحد ليتم استبدالها بأخرى حسب الطلب وحسب ما تقتضيه الوضعية وحاجة الفاعل الاجتماعي، وقد تكون لأكثر من استعمال ويتزود الفرد الواحد بهويتين أو أكثر.

⁹⁶ طوني بينيت ولورانس غروسبيرغ وميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة. معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، مصدر سابق، ص. 704.



في كلتا الحالتين، يكون المستخدم مستهلكا سلبيًا وليس فاعلاً، وهو ما يجعله يلجأ إلى المنطق النفعي السريع الذي يحقق له مصلحته في أسرع وقت ممكن دون التفكير في الانعكاسات، وينحصر الاهتمام في المصلحة الشخصية دون الأخذ بعين الاعتبار لمصلحة المجموعة، واللجوء إلى أساليب التفاعل المحققة لمآربه التي قد تكون فردانية ضيقة ولا تقدم خدمة فعلية، وإنما مجرد استجابة لانفعالات، متنازلاً بذلك عن دوره كذات فاعلة.

يمكن، في هذا الإطار، ذكر القوالب الجاهزة التي أصبح الفاييسبوك يعدها للغرض، وينتج ويعرض الكثير منها لنفس الموضوع، والمستخدم عليه الاختيار فحسب، وليس مضطراً إلى حذف صورة حسابه وتغييرها، وإنما يخول له الموقع دمجها مع قالب - الصورة المحمل برسالة حول قضية ما (القدس- حقوق المرأة - السلام - قانون المصالحة...)، وهي استراتيجية أخرى للاستجابة لحاجيات المستخدمين الرمزية والتعبيرية: هناك مراقبة مستمرة وترسيخ للقولبة، بما أن الفاييسبوك يعتبر المزود والمنتج والمسوق والموزع لهذه القوالب الاتصالية الجاهزة، حيث غدا لدينا الشعارات السريعة الشبيهة بالوجبات السريعة (fast foods)، وفي ذات السياق، تحدث بيار بورديو عن نوع جديد من المفكرين (Fast thinkers).

إن اللجوء إلى "الهوية الجاهزة" قد يعود المستخدم على الانسياق والاستسهال إلى درجة يغدو فيها استخدام أساليب التفاعل في شبكة الفاييسبوك عادة لا يمكن الاستغناء عنها، خاصة مع ما تقوم به هذه الشبكة الافتراضية لإرضاء جميع الأذواق عن طريق توفير الخدمات المتنوعة وسهلة الاستخدام، وتلك الاستمرارية المنبثقة منها تجذب الفرد إلى محاولة متابعة مستجدات التيار الافتراضي إلى درجة لا يستطيع الفكاك منه، وهو ما يدفع إلى التساؤل إلى أي مدى يمكن الإقرار أن الذات البشرية انساقت وراء الرأسمالية المعلوماتية العالمية التي تحدث عنه مانويل كاستيلز (Manuel Castells)، وانضمت إلى هذا النظام بإرادتها الواعية أو غير الواعية، فأصبحت المضامين والعلاقات في حد ذاتها "بضائع" محل بيع وشراء؟

يكمن المشكل في عدم وعي المستخدم بهذا التداخل أو قبوله به، بل ومساهمة في تعزيز الدور الذي يخول له تقديم ذاته في الشبكة الافتراضية عبر المضامين التي ينشرها، حيث هناك من يتقاسم منتجاً اتصالياً ويحاول الظفر باستحسان المستخدمين وهناك من يقدم نفسه منتجاً بالاعتماد على الأساليب التفاعلية للفايسبوك التي مكنته من "عرض" نفسه على الملأ.



بالتالي، يحتاج الفرد إلى الاعتراف بقيمته: هل يمكن القول أن هناك بوادر أزمة ثقة في الذات خشية الإقصاء والاستبعاد؟ ما هو دور الفايسبوك بأساليبه التفاعلية في تعزيز هذه الثقة واسترجاعها أو تضخيمها أو إضعافها أو سلبها؟

3.3.5- الممارسات الاتصالية في الفايسبوك من منظور نفسي (نظرية المنبه - الاستجابة):

يجدر الأخذ بعين الاعتبار العوامل النفسية المرتبطة بزمن الإنتاج أو الاستقبال للرسائل، بما أنها ستؤثر بصفة مباشرة أو غير مباشرة في أسلوب التفاعل المختار ومضمونه الذي سيحمل جملة من الدلالات الواعية وربما غير الواعية المستبطنة في الذات الداخلية أو المخفية عن الآخرين (soi caché) والمجهولة من طرفهم، عكس الذات المكشوفة (soi dévoilé).

قد يجد المستخدم نفسه نتيجة تفاعلاته الافتراضية يكتشف نواتا كامنة فيه كالذات العمياء (soi aveugle)، التي وإن كانت سماتها بالنسبة إليه غير معلومة، فالآخرون يدركونها عند التواصل معه، كما قد يصطدم بذاته المجهولة (soi inconnu) التي أفسح لها المجال للظهور والحضور.

بالتالي، الذوات الأربع التي تم تحديدها من خلال ما تم تسميته "نافذة جو-هاري" (La fenêtre de Johari - 1955) نسبة إلى جوزيف ليفت وهارينغتون انغهام (Joseph Luft et Harington Ingham) قد تتداخل وتتزوج وتتكامل وتتنافر وقد يتحكم الفرد وقد يفلت الزمام في خضم التفاعل، في هذا الإطار، تطرح التساؤلات التالية:

- هل هناك اعتماد مدروس أو عشوائي، سواء من طرف الفايسبوك أو مستخدميه، للجوء إلى "القانون النفسي للوحدة الذهنية للجماهير" الذي تحدث عنه غوستاف لوبون (Gustave Lebon)؟، الذي أكد أن "نفسية الجماهير (... تبدو عاجزة عن تشكيل رأي شخصي، ما عدا الآراء التي لقت لها أو أوحيت إليها من قبل الآخرين (...))، وحدها الانطباعات التي يمكن توليدها في روحها تستطيع أن تجذبها"⁹⁷؟

⁹⁷ غوستاف لوبون، ترجمة وتقديم هاشم صالح، سيكولوجية الجماهير، مصدر سابق، ص ص 48-49.



- إلى أي مدى يمكن العودة إلى تفسيرات علم النفس الفطري الغريزي (البيكولوجيا اليبهافيورية) الذي يرى أن طبيعة الأفراد طبيعة متجانسة تستجيب لنفس المنبه بنفس الكيفية، بمعنى أن كل رسالة في الفايسبوك هي منبه يؤدي إلى تحقيق استجابة مباشرة، فيتلقي "جمهور" الفايسبوك هذه الرسالة بنفس الكيفية ويستجيب لها بصفة مماثلة، بالتالي، سحب ملكة العقل والتفكير من الإنسان؟

إلى أي حد قد يتحول مستخدم الفايسبوك نتيجة التبني الافتراضي لنفس ردة الفعل إلى كائنات سلبية يمكن التأثير فيها تأثيرا مباشرا، بما أن كل رسالة تشكل "منبها قويا" يدفعهم إلى الاستجابة لأهداف حدها قائم بالاتصال، بمعنى أن الرسالة أي "المنبه" تؤدي إلى تحقيق استجابة مباشرة، فيتلقاها "جمهور" هذه الشبكة بنفس الكيفية، ويستجيب لها بصفة مماثلة؟

هل يمكن القول أن الفايسبوك، بأساليبه التفاعلية واستراتيجياته الاتصالية، حول الفاعل الاجتماعي إلى ذات مسلوقة الإرادة، ليس لها القدرة على التحكم في الفعل أو رد الفعل، أي أنه يحتل دور المفعول به، في حين أن الفايسبوك لا يخدمه بقدر ما يسعى إلى تحقيق مصالحه النفعية والأهداف التي خطط لبلوغها؟

هل تسبب عدد من مستخدمي الفايسبوك في خلق نوع من الاستعباد التفاعلي عن طواعية، ولا يجدون في هذا الانقياد شكلا من أشكال الخلل الاتصالي الذي يؤثر فيهم وفي العملية الاتصالية وفي الواقع الاجتماعي؟

يمكن القول أن الكم الهائل والمتنوع من الأساليب التفاعلية والمضامين يعمل على إجبار المتلقي على الامتثال والخضوع، إنه ليس إجبارا عنيفا بواسطة القمع، بل هو إلزام عذب ومحبيب للنفس.

نتحدث في هذا السياق بلوغ المستخدم حد الإدمان، فلا أحد يجبره على هذا الفعل أو يحدد له الوقت الذي يقضيه في الشبكة، لكنه، لا يستطيع أن يكبح جماح رغبة التواصل، وإن لإلقاء نظرة سريعة على حسابه وقد تطول هذه الزيارة الخاطفة، إذا وجد رسائل موجهة إليه وعليه أن يجيب أصحابها وقد تمتد المحاور، ويستعرض المنشورات التي تجذبه للاطلاع على فحواها والتعليق عليها، وأخرى يتقاسمها وينتظر ردود فعل بقية المستخدمين الموجودين في قائمته، وغير ذلك من الممارسات التفاعلية في العملية الاتصالية الافتراضية.



في هذا السياق، وبالإشارة إلى هذه النقطة بالذات، نبدأ في التساؤل عن مدى نجاح هذا التطور التكنولوجي، وهذا التنوع والتعدد في المساحات المفتوحة والمشجعة على التعبير في ترسيخ جوهر الحرية، عن أي حرية نتحدث في واقع الاتصال الافتراضي؟

4.3.5- التأثيرات المختلفة لاستخدامات الفاييسبوك والحرية (نظرية الاستخدامات والإشباع):

أصبح الفاعل الاجتماعي سيد قراره، ويمكن اعتبار ذلك إحدى تبعات ديمقراطية الاتصال التي أتاحتها المجال الافتراضي عموماً والميديا الاجتماعية بصفة خاصة، فهو الذي يستخدم ويتحكم في نمط استخدامه، هو الذي يوجه وينتج وينشر ويشارك على صعيد محلي وعالمي، له قنواته الاتصالية الخاصة، وبإمكانه تحديد القنوات الاتصالية الافتراضية التي يريد متابعتها والاطلاع على مضامينها.

في هذا الإطار، نعود إلى نظرية الاستخدامات والإشباع والتأثير المحدود لوسائل الاتصال، بما أن مستخدم الفاييسبوك هو الذي يختار رأسماله الاجتماعي العلني، أي الأصدقاء والصفحات والمجموعات التي ينضم إليها، ويتفاعل مع منشورات تستجيب لقناعاته أو مواقفه، أو يعلق عليها رفضاً ونقداً، بل يتجاوز الأمر ذلك، ما دام لديه الفرصة لنشر مضمونه الخاص على حسابه أو صفحته التي ينشئها، وينتج مضمونا حسب الخصائص التي تعبر بدقة عن فكرته مبنى ومعنى.

في ذات السياق، دعت مدرسة الاثنوميتودولوجيا (ethnométhodologie) التي أسسها هارولد غارفينكل (Harold Garfinkel) إلى مراجعة الفصل بين الثقافة العالمية – النخبوية والثقافة العامة أي التخلي عن النظرة المتعالية للعالم الاجتماعي والفرد والإقناع بكفاءة جميع الأطراف في فهم وإدراك قوانين الحياة الاجتماعية.

إذن، هناك اعتراف صريح بأن كل مستخدم يتمتع بقدرات تخول له طرح ما هو مميز من خلال تجاوز المتداول، بالانطلاق من رموز متفق عليها لتشكيل رسائل ذات أبعاد مختلفة وذلك لضمان التواصل، إضافة إلى اقتراح أخرى جديدة جزئياً أو كلياً مع إيراد التوضيحات اللازمة أو الاكتفاء بعرضها، لمنح كل متلقي حرية التأويل وعدم تقييده بدلالات معينة وفرض رسائل محددة.

نرصد في المقابل، التأكيد على قوة تأثيرات تكنولوجيات الإعلام والاتصال عامة، ومواقع التواصل الافتراضي ومن بينها الفاييسبوك، وإدراج لإمكانية الانتصار التكنولوجي على حساب البعد الإنساني،



بالتالي، الاعتراف بهيمنتها وسيطرتها على الفاعل الاجتماعي، الذي يغدو تابعا لها، ويقبل كل ما تقدمه له بانبهار، وينغمس في عوالمها التي تتحكم في تمثلاته وممارساته الاتصالية.

لا يمكن إنكار هذا الاحتمال، لكن ذلك لا يعتبر هزيمة أو اضمحلالا للاتصال البشري، بل يجب الاستفادة من خدمات الفايسبوك بما يثري المصلحة الإنسانية وليس العكس، وكما طوع الإنسان الطبيعة لبلوغ أهدافه، عليه أن يحسن تكييف التطور التقني لفائدته سواء كان منتجا أو مستخدما، لتحقيق مطالبه وتوطيد علاقته بذاته وبالأخر وتفاعلا مع واقعه الاجتماعي.

تحدث هابرماس عن الحرص على ضمان "المسافة التحررية"، وهي شبيهة بالاستخدامات والاشباعات، لكنها تتجاوزها، وتتمثل في قدرة الإنسان على حسن إدارة ممارساته الاتصالية وعدم الانقياد، لتجنب تداخل الحدود بين العالمين الافتراضي والواقعي، وهو ما تضمنه مسافة الأمان، باعتبار أن العالم الافتراضي بأساليبه التفاعلية قد يخطف الاهتمام والتركيز كله لصالحه، ويدفع إلى الاستخدام دون انقطاع تقريبا.

بالتالي، ضرورة استحضار الذات الفاعلة وإعادة بلورتها، لأن التأثير الافتراضي قد يكون أكثر حدة وتشعبا من وسائل الاتصال الجماهيري، ونقصد أساسا وسائل الاتصال الكلاسيكية، باعتبار أن مواقع التواصل الاجتماعي قد تعتبر في حد ذاتها وسيلة اتصالية جماهيرية، فهي تتضمن الحشود أي تكتلات اتصالية، لا يمكن فيها تحديد الهويات الفردية المنضمة إليها بصفة جازمة وموضوعية.

يسعى المستخدم إلى الظفر بمكانة في الفايسبوك عبر الاضطلاع بدور فاعل فيه، وعدم الاقتصار على المشاركة في جميع الاتجاهات الممكنة، وإنما العمل على التحول إلى محور جاذب، ونسائل عن مدى النجاح في تحقيق هذا الهدف المتمثل في التحرر من التبعية والانقياد وعدم الاكتفاء برتبة المشارك من بين عدد كبير من المشاركين، وهو ما يجعل ممارسته الاتصالية لا تلقى ما ينتظره من تأثير، مع الإشارة في هذا السياق، أن هذا السعي المستمر يعني الاستخدام لفترة أطول، والانجذاب أكثر فأكثر إلى الشبكة الافتراضية والانغماس في أساليبها التفاعلية، وفي ذلك تهديد للحرية.



5.3.5- مسألة نشر المضامين في الفايسبوك وعلاقتها بنظرية ترتيب الأولويات:

في إطار العولمة الاجتماعية، يمكن ملاحظة أن القضايا لا تحظى جميعها بنفس التغطية "الإعلامية" الافتراضية، وهو ما يجعل نسب انتشارها في شبكة الفايسبوك متفاوتة، سواء على مستوى عدد الصفحات التي يتم إنشاؤها للغرض، أو كثافة المضامين التي تنتج وتنتشر ويتم تقاسمها، وعدد المنضمين، وهو ما يحيل إلى مسألة ترتيب الأولويات، للتساؤل حول وجود أجندا معينة تفرض من طرف قائمين بالاتصال في الشبكة الافتراضية، تجعل بقية المستخدمين يولون اهتماما لحدث دون آخر، وإن تساوى الحدثان في الأهمية وما يكتسبانه من خطورة، مثلا إذا ارتبط بعملية إرهابية وما ينبثق عنهما من إشكاليات في كافة المجالات.

هذه النقطة تطرح دورها تساؤلات من بينها: "من يرتب الأولويات؟ على أي أساس تجري هذه العملية، إذا أخذنا بعين الاعتبار تأكيد البعض على أهمية ما يشهده العالم من تحولات متواترة تسعى وسائل الإعلام إلى ترتيبها؟

هل يمكن الحديث عن ترتيب الأولويات، في عصر الاتصال التفاعلي الشبكي الذي تتوالى فيه الأحداث، وتتغير المشاغل بصفة يعسر ضبطها، والوقوف عندها بشكل تفصيلي والتدقيق في خصوصياتها، باعتبار أن هناك تلاحق للقضايا الفردية والاجتماعية، ويجد المستخدم نفسه في حالة تأهب مستمر للخبر التالي والصورة الأحدث ومقطع الفيديو الفوري، بالتالي، لا يطول اهتمامه بموضوع معين، ليواصل متابعة "السباق" التفاعلي الذي يجعله منضما وحاضرا ومشاركا في دائرة اتصالية مفتوحة لا يخرج منها إلا لبعض الوقت للعودة سريعا؟

نشير أن التغييرات التي تحصل نتيجة التطور المستمر لتكنولوجيات الإعلام والاتصال على المستوى التقني من ناحية، وتأثيراتها المختلفة في تمثيلات الأفراد وممارساتهم العلائقية من ناحية أخرى، كانت وما تزال من المسائل البحثية الأكثر تطلبا لمساءلة مظاهرها وظواهرها والوقوف عند مستوياتها المتعددة، وتحليل كل عنصر من عناصرها على حدة أولا ثم إيجاد الترابط المنطقي بينها للتعرف على خصائصها بشكل نسبي ثانيا، باعتبار أنها تشهد تحولات متواصلة.



تبقى نتائج البحث، التي تم التوصل إليها من خلال تحليل عناصره المختلفة، نسبية ومنقوصة، إذن، يجب التسلح برؤية نقدية، والقدرة على استنباط التفسير النظري الموضوعي الذي يتيح فرصة التطبيق والتبلور كمقاربة تتماشى مع خصوصية الإشكالية وأنيته، والإبقاء على استنتاجاتها مفتوحة للإلزامية تعديلها وتطويرها بصفة مستمرة حتى تتبوأ مكانة البراديجم الذي يتم التعويل عليه لدراسة ما يستجد من مواضيع ترتبط بالميديا الاجتماعية الرقمية.

4.5- تساؤلات جديدة:

من المهم الاعتراف بأن سؤال "عن أي دور للاتصال الافتراضي نتحدث في الواقع الراهن؟"، هو إشكالية معقدة ومتشعبة، إذ لا يكفي تقديم إجابات محددة لها، إنما هناك زوايا نظر عديدة ينجم عنها فرضيات مختلفة لتواكب التحولات التي يشهدها المجتمع على جميع الأصعدة، وليس على مستوى تطور التقنيات الاتصالية فحسب.

لا يمكن الاستمرار في دراسة إشكاليات الاتصال على أساس نقل المعلومات بين باث / مرسل / منتج ومتلق فحسب، إنما من الضروري استعراض طرق استخدام الأساليب التفاعلية التي يوفرها الفايسبوك، عن طريق تحليل المضامين التي ينتجها وينشرها ويعلق عليها مستخدمو هذه الشبكة الافتراضية.

1.4.5- ازدواجية مواقف مستخدمي الفايسبوك من العملية الاتصالية:

يتسم السلوك الإنساني بالازدواجية الذي وإن غلب فيه الوعي والإدراك للأفعال التي يختار الفرد القيام بها في موقف معين حسب السياقات المختلفة، إلا أن بعض الممارسات قد تخرج عن نطاق المراقبة الذاتية خاصة منها تلك التي تتولد عن الانفعال أو يعبر اللاوعي عما تستبطنه الذات البشرية.

إلى أي حد نستشف هذه الازدواجية من خلال اختلاف مواقف مستخدمي الفايسبوك الموزعة بين الاستحسان والتفضيل على الواقعي أولا ووعي بتأزم الاتصال ثانيا ونقد لممارسات القائم بالاتصال والعملية الاتصالية الافتراضية ثالثا؟



قد يدفع التباين في المواقف إلى التشكيك في إمكانية ارتقاء الفايسبوك من مجرد موقع تواصل اجتماعي إلى منبر للتغيير الاجتماعي، خاصة وأن هناك نقد للشبكات الاجتماعية الرقمية عموماً، واعتبار أن مستخدميها أصبحوا يلجؤون إليها لاستغلالها في سياق مناقض للغايات التي يرتكز عليها الفضاء الافتراضي بمواقعه ومدوناته وتطبيقاته الداعمة لحرية التعبير في مختلف المواضيع والشؤون المجتمعية المحلية والعالمية، حسب وجهة النظر المقابلة التي تذهب إلى اعتباره "فضاء عابراً للقوميات"، يفسح المجال لتبادل وجهات النظر، مع التأكيد على إمكانية التعايش بين الأفكار والإيديولوجيات المتناقضة، وهو ما من شأنه توسيع الدائرة الاتصالية وضمان تعدد زواياها التي تنبثق منها الأقطار التفاعلية التي تلتقي وتتقاطع دون إلغائها الأخر.

إلى أي مدى نجح الفضاء الافتراضي في تحويل العالم إلى "قرية كونية" حقا، لا تعترف بالحدود وتجمع بين مختلف الانتماءات والتوجهات في نسق تضامني، لتشكيل وحدة تعترف بالتعددية وتكرس الديمقراطية في آن، في نفس الإطار الذي يصرح فيه مستخدم الفايسبوك برفضه للآخر المختلف؟

في سياق الوعي بتأزم الاتصال بمستوياته المختلفة، ونقد استخدامات الفايسبوك والعملية الاتصالية الافتراضية بصفة عامة، هناك من شدد على ضرورة تحديد السبل الكفيلة بتوجيه التطور التكنولوجي لفائدة الإنسان، وتوجيه الإمكانيات التفاعلية لدعم ذاته الفاعلة، معتبرا أن "السؤال الذي يطرح يتمحور حول معرفة كيف يمكن إنقاذ البعد الإنساني للاتصال عندما ينتصر الجانب الأداتي/ التقني"⁹⁸، وهو ما يولد استفهاماً آخر: إلى أي مدى يمكن القول أن التطور التكنولوجي يعمل على إلغاء الأبعاد الإنسانية للاتصال؟

تستدعي هذه الإشكالية تشخيص الوضع الاتصالي الراهن، في علاقته بالفايسبوك بالأساس من زوايا مختلفة، لتحديد التهديدات المباشرة أو غير المباشرة للتفاعل الافتراضي، وهل هي ثابتة لا تتطور، أي قد تكون مؤقتة وتنتقل شيئاً فشيئاً، أم هي مستمرة وفي طريقها إلى التعمق واتخاذ أبعاد أخرى أكثر خطورة؟ وهل يمتلك المستخدم الوعي بهذا التهديد؟ هل لديه الكفاءة اللازمة لمواجهته وتحويله لصالحه؟

⁹⁸ Philippe Delacroix, "La communication de masse tue-t-elle la pensée ?", Cahiers sociale et politique, n° 79-80, (France, Autres temps, 2003), p.124.



2.4.5- جدلية الاتصال الحر و وهم الحرية:

ما تزال الحرية في عصر تطور تكنولوجيات الإعلام والاتصال و"عصر الشبكات" و"ثورة الاتصالات" محل استفسارات كثيرة، حيث لم يمنح التطور التكنولوجي هذا المفهوم استقراراً اصطلاحياً وتطبيقاً عملياً، وتتناقض حوله الرؤى بين التحقق وعدمه، بين الوضوح والضبابية، بين الواقعي والافتراضي، بين الوصول إلى نتيجة، ونشأة معادلات أكثر تعقيداً.

يرى البعض في عولمة الاتصال دافعاً للمجتمعات المعاصرة لمزيد الانفتاح وبلوغ الأفراد أهدافهم، مانحة لهم الحرية، التي لطالما تم السعي لنيلها، سواء كان على المستوى الشخصي أو على الصعيد المجتمعي، في محاولة لإثبات الذات من ناحية وتفعيل دورهم في المجتمع من ناحية أخرى، متجاوزين كل ما من شأنه تحديد تمثلاتهم وتقييد ممارساتهم.

تم التأكيد أن "شبكة الشبكات"، أي الانترنت حسب عبارة دومينيك كاردون (Dominique Cardon)، تمثل قناة اتصالية ناجعة حققت للفاعل الاجتماعي غايته الإنسانية الأسمى، وهي الحرية بفسح المجال له للتعبير والدفاع عن أفكاره بالأسلوب والمضمون الذين يتلاءمان مع رسالته، للتفاعل مع الآخر انطلاقاً من الخبرة المشتركة في إطار السياقات المختلفة، حيث تم الإقرار "أن المساهمة الأكثر وضوحاً للانترنت هي دون شك تكمن في حرية التعبير وقدرة أي شخص على الاتصال لممارسة هذا الحق بطريقة فعلية"⁹⁹.

في حين، نجد وجهة نظر مناقضة لهذا الإقرار إلى درجة اعتبار الرموز، التي تمثل ركيزة العملية الاتصالية، والتي لا يستطيع الفاعل الاجتماعي الاستمرار دون فهم مدلولاتها وتبادلها وتقاسمها، لكونها وسيلة لتسهيل التواصل، غدت مصدراً للتقييد عوض التحرير، نتيجة التطور الشبكي الافتراضي الذي أصبح بمثابة "الرحى" الرمزية، التي من المفترض أن يتحكم فيها الفرد، لاستقبال وإنتاج رسائله الاتصالية حسب مخزونه الدلالي، لنتم بعد ذلك مرحلة التوزيع والتفاعل، إلا أنه قد يفقد السيطرة لتجذبه إليها، فيتحول إلى مجرد رمز.

اعتبر من يتبنى هذا الرأي "أن الحياة التي نعيش فيها والكون الذي يحيط بنا مشبعان بالعلامات التي نقرأها يومياً وتخرقنا، لكن دون التوقف عندها، إننا نعيش وسط أنظمة من العلامات نتواصل

⁹⁹Mona Chollet et Philippe Rivière, "Internet, révolution culturelle, Manière de voir", Le monde diplomatique, n° 109, (France, Février- Mars 2010), <http://www.monde-diplomatique.fr/mav/109/>



من خلالها ونمارس حياتنا وننجز أفعالنا، حتى أبسطها، بواسطتها كذلك. لقد تطور عالم العلامة وتعقد حتى صرنا أسرى الكون العلامي، بل تحولنا إلى علامة دون أن ندري¹⁰⁰. وهو ما يدفع إلى الاستفهام: إلى أي مدى نستطيع رصد جدلية الاتصال الحر و وهم الحرية: إلى أي حد تم تدعيم الاتصال الحر من ناحية وتقييد الحرية من ناحية أخرى من طرف الفايسبوك أولاً والمجال العمومي ثانياً والأطراف المشاركة في العملية الاتصالية في هذه الشبكة الافتراضية ثالثاً ومن طرف المستخدم نفسه رابعاً؟

3.4.5- ضرورة مساءلة الموروث النظري والحاجة إلى قطيعة إبستمولوجية:

نتساءل: هل ما زالت المقاربات التي ترتبط أساساً بوسائل الإعلام والاتصال الكلاسيكية، التي تختلف خصائصها عن المجال الافتراضي بمكوناته العديدة، ناجعة ومجدية لإيجاد تفسيرات والحصول على استنتاجات كفيلة بفهم الوضعية، لمعرفة أنسب الطرق للتعامل معها، وتطوير التطور التكنولوجي لخدمة العملية الاتصالية؟

إن العودة للنماذج والنظريات السابقة لاعتماد مصطلحاتها، أمر يحتاج إلى مراجعة، خاصة في البحوث العربية، التي تتخذ الإنسان موضوعاً وهدفاً، وهو ما يجعلها مطالبة بالمراجعة نقداً وتعديلاً وتجاوزاً، لاقتراح مقاربات جديدة تنسجم مع السياق المجتمعي الخاص من جهة، والعالمية من جهة أخرى، وتكثيف الدراسات حول استخدامات الفاعل الاجتماعي العربي للشبكات الاجتماعية للوقوف عند حقيقة الوضع، وهو ما يحتاج إلى جهود بحثية تعود بالفائدة على ميدان علم اجتماع الاتصال وعلى المستخدم والمجتمع بأكمله، وبذلك يستطيع الباحث المرور إلى الجانب التطبيقي من منطلق الاستنتاجات المتحصل عليها.

4.4.5- الحاجة إلى بلورة نظريات جديدة:

إن أغلب النظريات التي يلجأ إليها الباحثون في الوقت الراهن مرتبطة بسياقات تاريخية واجتماعية وسياسية واقتصادية مغايرة، حيث بدأت الدراسات حول الفايسبوك وغيره من مواقع التواصل الاجتماعي تنتشر، فالملاحظ هو اللجوء الدائم تقريباً إلى العدة النظرية الكلاسيكية، وحتى بعض البحوث التي حاول

¹⁰⁰ محسن بوعزيزي، السيميولوجيا الاجتماعية، مصدر سابق، ص.72.



أصحابها استنباط مقاربات جديدة، فهي ليست سوى محاولات تستمد نظريات من حقول أخرى كالرياضيات والفيزياء، وتعتمد إلى تطويع جهازها المفاهيمي لدراسة الظواهر الاتصالية الإنسانية في واقع اجتماعي متحول، والمقصود بالأساس، في هذا السياق، هو نموذج تحليل الشبكات الاجتماعية الرقمية الذي بدأ الاعتماد عليه ينتشر مع ظهور العديد من البرمجيات الخاصة به، فهو يهتم بجانب القياس والتكميم أكثر من سعيه للتعمق للفهم وتفسير خصوصيات المستخدمين لهذه الشبكات في الفضاء الافتراضي، وهو ما يجعل الاستنتاجات منقوصة لتجاهلها جانب البحث الكيفي وأهميته.

إذن، نحتاج إلى اقتراح نظرية متولدة عن الإشكاليات، التي ما تنفك تطرح في الوقت الراهن بصفة متواترة، لتحليلها انطلاقاً من طبيعتها الخاصة وسياقها المعين، وعدم الاكتفاء بالعدة المعرفية الكلاسيكية ونظرياتها المرتبطة أساساً بظرفيات مختلفة عن السياق الحالي الذي تنصده تكنولوجيات الإعلام والاتصال، وما تثيره قضاياها من حيرة علمية وجدل على مستوى الفهم والتقنين.



6- تلاخيص البحث

1.6- تلخيص باللغة العربية:

يتنزل البحث في ميدان علم اجتماع الاتصال، ويحمل عنوان "الفايسبوك من فضاء للتواصل إلى مجال للتغيير الاجتماعي. ازدواجية التأثير"، وتضمن سبع محاور رئيسية تتمثل في:

أولاً، مدخل إلى البحث، ثانياً، مساهمة استخدام الفايسبوك في إثراء العملية الاتصالية الذي اشتمل على ثلاثة عناصر وهي ديمقراطية الاتصال وعولمة القضايا الاجتماعية ودور المضامين التي ينشرها المستخدمون في عقلنة الاتصال، ثالثاً، توضيح مساهمة الأساليب التفاعلية للفايسبوك في إحداث خلل اتصالي، وتم توضيح ذلك عبر استعراض مظاهر ونتائج تراكم أساليب التفاعل واختلال موازين التواصل على مستوى العلاقات والممارسات وتقييم المكانة الاجتماعية، رابعاً، تحليل أسباب ونتائج مساهمة منشورات مستخدمي الفايسبوك في تفكير العملية الاتصالية، خامساً، الخاتمة العامة، سادساً، تلاخيص البحث وسابعاً، الهوامش.

تتمثل المصطلحات المفتاحية للبحث في: الشبكات الاجتماعية الافتراضية - مواقع التواصل الاجتماعي- العملية الاتصالية - التفاعلية - التفاعل الاجتماعي- التأثير - التغيير الاجتماعي.

تطلبت الإشكالية السعي إلى توضيح مختلف الأدوار التي اضطلع بها مستخدمو الفايسبوك، بتوظيفهم للأساليب التفاعلية التي وفرتها هذه الشبكة الاجتماعية الافتراضية، التي أثرت في تمثالتهم وممارساتهم الاتصالية من ناحية، وعلاقتهم بواقعهم الاجتماعي وتعاملهم مع القضايا المطروحة في المجال العمومي من ناحية ثانية، إضافة إلى رصد مظاهر ومستويات مساهمة الفاعل الاجتماعي في عملية التغيير الاجتماعي عن طريق استخدامه لشبكة الفايسبوك، لذلك تم طرح الفرضيات التالية: أولاً، مساهمة الأساليب التفاعلية للفايسبوك في إثراء العملية الاتصالية، في المجال الافتراضي وفي الواقع الاجتماعي، ثانياً، تسبب استخدامات الفايسبوك في خلل اتصالي، ثالثاً، مساهمة بعض المضامين الفايسبوكية في تفكير



العملية الاتصالية نشرا وتفاعلا، وهو ما قد ينجم عنه عرقلة عملية التغيير الاجتماعي فيما يتعلق بالتمثلات والأدوار والممارسات.

يمكن الاستنتاج من خلال استعراض مستويات التأثير المختلفة للفايسبوك في العملية الاتصالية الافتراضية والواقع الاجتماعي، مساهمة الأنماط المتباينة للاستخدام في تحقيق نقلة تثري العملية الاتصالية، أو ما تتسبب فيه من تهديد لها، قد يبلغ درجة الخلل والتفكير، وهو ما يحيل إلى ازدواجية هذا التأثير.

2.6- تلخيص باللغة الفرنسية:

La recherche appartient à la sociologie de la communication, intitulée " Le Facebook d'un espace de communication à un champ de changement social: Dualité d'influence", elle comprend sept axes principaux:

Premièrement, une introduction à la recherche, **deuxièmement**, la contribution de l'utilisation de Facebook à l'enrichissement du processus de communication, cet axe comprenait trois éléments, à savoir la démocratisation de la communication, la mondialisation des enjeux sociaux et la rationalisation de la communication, **troisièmement**, la rôle des méthodes interactives de Facebook à provoquer une défaillance communicationnelle, en raison de l'accumulation des méthodes d'interaction d'une part et le déséquilibre au niveau des relations et des pratiques et de l'évaluation de la position sociale d'autre part. **Quatrièmement**, l'analyse des causes et des résultats de l'apport des publications des utilisateurs de Facebook à l'appauvrissement du processus de communication. **Cinquièmement**, la conclusion générale, **sixièmement**, les résumés de recherche et **septièmement**, les marges.

Les termes - clés de la recherche sont: **les réseaux sociaux virtuels - le processus de communication – l'interaction sociale – l'influence – le changement social.**

La problématique cherche à clarifier les différents rôles joués par les utilisateurs de Facebook, en employant les méthodes interactives fournies par ce réseau social virtuel, qui à leur tour affectent les représentations et les pratiques de communication d'une part, et leur rapport aux enjeux de la sphère publique d'autre part. Cela permet de suivre les niveaux de contribution de l'acteur social à travers son utilisation du Facebook dans le processus de changement social.



Les hypothèses suivantes ont été proposées :

Premièrement, l'apport des méthodes interactives de Facebook à enrichir le processus de communication, à travers la démocratisation et la mondialisation des enjeux sociaux et les efforts de rationalisation des pratiques communicationnelles.

Deuxièmement, la probabilité de provoquer un dysfonctionnement communicationnel, à cause de l'accumulation de méthodes d'interaction et la perturbation des équilibres de communication.

Troisièmement, certaines utilisations du Facebook sont capables d'appauvrir la communication, ce qui puisse avoir pour effet d'entraver le processus de changement social au niveau des représentations, des rôles et des pratiques.

En examinant les différents niveaux d'influence de Facebook, nous discernons que les différents modes d'utilisation puissent contribuer à l'enrichissement de communication et le développement du changement social, ou participer à la création des différentes menaces, qui atteindraient le degré de déséquilibre et l'appauvrissement, ce qui assure la dualité de cette influence.

7- هوامش الدراسة

7.1- البيبليو غرافيا:

7.1.1- الكتب:

أ- باللغة العربية:

- بينيت(طوني) وغروسبيرغ(لورانس) وموريس(ميغان)، مفاتيح اصطلاحية جديدة. معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع (New keywords. A Revised Vocabulary of Culture and Society)، ترجمة سعيد الغانمي، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، سبتمبر 2010، 816 صفحة.



- حجازي(مصطفى)، الإنسان المهدور، الدار البيضاء. المغرب، المركز الثقافي العربي، 2005، 352 صفحة.
- حرب(علي)، ثورات القوة الناعمة في العالم العربي. من المنظومة إلى الشبكة، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2012، 242 صفحة.
- خلف عبد الجواد(مصطفى)، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، القاهرة، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2002، 450 صفحة.
- طلعت محمود(منال)، مدخل إلى علم الاتصال، الإسكندرية، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، 2002، 254 صفحة.
- عبد الجواد رأفت(أحمد)، مبادئ علم الاجتماع، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، 1983، 176 صفحة.
- عبد المعطي(عبد الباسط)، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، الكويت، المجلس الوطني لثقافة والفنون والآداب، 1981، 221 صفحة.
- عبد الغني مسعودي(محمد) و أحمد الخضيرى(محسن)، الأسس العلمية لكتابة رسائل الماجستير والدكتوراه، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1992، 154 صفحة.
- عودة(محمود)، أسس علم الاجتماع، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1995، 259 صفحة.
- لوبون(غوستاف)، سيكولوجية الجماهير(Psychologie des foules)، ترجمة وتقديم هاشم صالح، بيروت، دار الساقى، 1991، 228 صفحة.
- مجموعة من المؤلفين، إعداد وتقديم وتحرير محمود حيدر، ثورات قلقة، مقاربات سوسيو- استراتيجية للحراك العربي، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2012، 394 صفحة.

ب- بغير اللغة العربية:

- Aktouf(Omar), Méthodologie des sciences sociales et approche qualitative des organisations: Une introduction à la démarche classique et une critique, Montréal, Les presses de l'Université du Québec, 1987, 213 pages.
- Bertho(Alain), Nous autres. Nous-mêmes. Ethnographie politique du présent, Broissieux, Editions du croquant, 2008, 144 pages.



- Berthelot(Jean-Michel), La construction de la sociologie, Paris, PUF, Que sais-je ?, 2001, 127 pages.
- Corno(Christian), Une approche multidisciplinaire de la recherche en sciences humaines, Montréal, Chenelière Education, 2010, 208 pages.
- Dictionnaire des idées, Encyclopaedia universalis, France, Les services éditoriaux et techniques d'e.universalis, 2012, 2435 pages.
- Field(John), Social Capital, London, Routledge, 2003 , 193 pages.
- Gauthier(Benoît), Recherche sociale. De la problématique à la collecte des données, Québec, Canada, Presses de l'université, 2009, 780 pages.
- M'Rad(Hatem), l'opinion publique mondiale, Tunis, Centre de publication universitaire, 2006, 214 pages.
- Paugam(Serge), les 100 mots de la sociologie, Paris, PUF, Que sais-je ?, 2010, 128 pages.
- Rummel (J.Francis), in Introduction to research procedure, New York, Harper and Row, 1964,379 pages.
- Rebillard(Frank), Le web 2.0 en perspective, une analyse socio-économique de l'internet, Paris, L'Harmattan, 2007, 160 pages.
- Sfez(Lucien), La communication, Paris, PUF, Que sais-je ?, 2010, 128 pages.

2.1.7 - المقالات:

أ- باللغة العربية:

- الحمّامي(صادق)، "كيف نفكر في مواقع الشبكات الاجتماعية؟ إحدى عشرة مسألة أساسية"، أكاديميا، العدد السادس، جوان 2012، تونس، المنشورات الجامعية بمنوبة، ص ص: 18-22.



- الحمامي(صادق)، "المجال العمومي والفايسبوك وحرية الصحافة"،

[http://www.essahafa.info.tn/index.php?id=76&tx_ttnews\[tt_news\]=15027&tx_ttnews\[backPid\]=37&cHash=3Quijano\(Yves bb0ed75b8](http://www.essahafa.info.tn/index.php?id=76&tx_ttnews[tt_news]=15027&tx_ttnews[backPid]=37&cHash=3Quijano(Yves bb0ed75b8)

- الحيدري(عبد الله الزين)، "الميديا الاجتماعية: المصانع الجديدة للرأي العام"، مركز الجزيرة للدراسات، دراسات إعلامية، 25 جانفي 2017.

<http://studies.aljazeera.net/ar/mediastudies/2017/01/170125101407970.html>

- العياضي(نصر الدين)، "الرهانات الابستمولوجية والفلسفية للبحث الكيفي: نحو آفاق جديدة لبحوث الإعلام والاتصال في المنطقة العربية"، مجلة شؤون اجتماعية، عدد 107، 2010، الإمارات، الجامعة الأمريكية بالشارقة وجمعية الاجتماعيين والاقتصاديين، ص ص: 111-137.

- بعزيز(إبراهيم)، "وسائل الاتصال الجديدة وأثرها على ثقافة المستعملين"، ورقة قدمت في الملتقى الوطني الأول "وسائل الإعلام و المجتمع"، بسكرة، جامعة محمد خيضر، يومي 28 و 29 نوفمبر 2010.

<http://brahimsearch.r.b.f.unblog.fr/files/2012/05/1.pdf>

- بعزيز (إبراهيم)، "دور وسائل الإعلام الجديدة في تحول المتلقي إلى مرسل وظهور صحافة المواطن"، مجلة الإذاعات العربية، العدد 3، 2011، تونس، اتحاد إذاعات الدول العربية، ص ص: 45-56.

- بن الحاج رحومة(عادل)، "تنشئة الهويات الفردية عند الشباب عبر الفضاءات الاتصالية والمعلوماتية"، مجلة إضافات العدد التاسع، شتاء 2010، بيروت، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، ص ص: 133-146.

- بوعزيزي(محسن)، "السيمولوجيا الاجتماعية"، مجلة إضافات، العدد التاسع، شتاء 2010، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، ص ص: 71-87.

- جميل الراوي(بشرى)، "دور مواقع التواصل الاجتماعي في التغيير. مدخل نظري"، تاريخ الزيارة 27 فيفري 2014،

16.00، الرابط: <http://www.mmascom.com/?p=615>



- حمدوش(رشيد)، "مسألة الرابط الاجتماعي وسوسولوجيا الحياة اليومية أو المعاش"، مجلة إضافات، العددان 17 و 18،
شئاء وربيع 2012، بيروت، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، ص: 111-
125.

- عبد الله(محمود أحمد)، "تأويل الفعل الاجتماعي عند بول ريكور. قراءة نقدية"، مجلة إضافات، العدد الثامن خريف
2009، بيروت، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، ص: 24-34.

- علوش(نور الدين)، "تحولات الفضاء العمومي في الفلسفة السياسية المعاصرة : من هابرماس إلى نانسي فرايزر"، مجلة
إضافات، العددان 26- 27، ربيع- صيف 2014، بيروت، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات
الوحدة العربية، ص: 77-90.

- ناشف(إسماعيل)، "صمت الظواهر. مقاربات في سؤال المنهج"، مجلة إضافات، العدد العاشر، ربيع 2010، بيروت،
الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، ص: 118-144.

- وناس(المنصف)، "عناصر أساسية لبناء علم اجتماع الاتصال(محاولة فهم في ثنائية الاتصال والهيمنة)"، المجلة التونسية
لعلوم الاتصال، عدد 47/48، جويلية 2006/ جوان 2007، تونس، جامعة منوبة، ص: 11- 36.

ب- بغير اللغة العربية :

- Badillo(Patrik Yves) , "De l'euphorie de la société de l'information à l'utopie inversée ",
Penser la société de l'information, Actes du colloque, 07 et 08 Avril 2005, Institut de Presse et
des sciences de l'information et Fondation Konrad Adenauer, Tunis, Université de la
Manouba, pp: 53-68.

- Ben Romdhane(Youssef), "Médias, communication et sociétés actuelles: paradoxes, désordres
collectifs et représentation inédite de la société et de la culture ", Penser la société de l'information,
Actes du colloque 07 et 08 Avril 2005, Institut de Presse et des sciences de l'information et
Fondation Konrad Adenauer, Tunis, Université de la Manouba, pp.33-38.

- Boulidoires (Alain), "Du monde virtuel au monde réel", Communication et langages, N°123,
1er trimestre 2000, p. 115.



http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/colan_0336-

1500_2000_num_123_1_2994

-Bui(Doan), "Sur Facebook, les morts continuent d'exister", le nouvel observateur, publié le 02-11-2013 à 17h21, <http://tempsreel.nouvelobs.com/societe/20131030.OBS3270/sur-facebook-les-morts-continuent-d-exister.html>

- Cardon(Dominique), "Réseaux sociaux de l'Internet", Communication, N°88, 2011, Paris, Le seuil, pp. 141-148.

- Delacroix(Philippe), "La communication de masse tue-t-elle la pensée ? ", Cahiers sociale et politique, n° 79-80, France, Autres temps, 2003, pp 123-131.

- Ferjani(Riadh), "la révolution Facebook n'a pas eu lieu", Akademia, n.1, Janvier 2012, Tunis, Université de la Manouba, pp:10-12.

- Gavard-Perret (Jean-Paul), "Multimédia : l'ère du simulacre", Communication et langages. N°124, 2ème trimestre 2000. pp. 90-96.

http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/colan_0336-

1500_2000_num_124_1_3008

- Gueguen(Claude), "Une société de l'information par la technologie, entre inquiétude et espoir ", Communication et langages, n°107, 1^{er} trimestre, 1996, France, Armand Colin, pp:33-46.

- Hubert(Guillaud), "Refaire société : comment s'engager aujourd'hui ?", <http://www.internetactu.net/2011/11/23/refaire-societe-comment-sengager-aujourd'hui/>



- Ignasse(Joel), "Un logiciel pour adapter Facebook aux non-voyants", sciences et avenir, publié le 23-01-2013 à 12h26, <http://www.sciencesetavenir.fr/high-tech/20130122.OBS6251/un-logiciel-pour-adapter-facebook-aux-non-voyants.html>
- Klein(Annabelle) et Proulx(Serge), "La sociologie de la communication au prisme des études sur la science et la technologie", 2012, Namur, Presses universitaires de Namur, pp.17-37.
- Laulan(Anne-Marie), "La sociologie de la communication ", Communication et langages. N°41-42, 1er-2ème trimestre, 1979, France, Armand Colin, pp.147-163
- Lellouche(Serge), "L'ère des réseaux", Entretien avec Manuel Castells, publié le 01/06/2000, lien : http://www.scienceshumaines.com/l-ere-des-reseaux-entretien-avec-manuel-castells_fr_12093.html
- Le Marec (Joëlle), "Dialogue interdisciplinaire sur "l'interactivité", Communication et langages, N°128, 2ème trimestre 2001, France, Armand Colin, pp. 97-110.
http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/colan_0336-1500_2001_num_128_1_3079
- Le Nouvel observateur avec AFP, "Facebook et Twitter seraient plus tentants que le sexe", 08/10/12, <http://obsession.nouvelobs.com/facebook/20121008.OBS4882/facebook-et-twitter-seraient-plus-tendants-que-le-sexe.html>
- Merzeau(Louise), "Les périmètres de la personne en hypersphère ", Médium, n24-25, Juin 2010, France, Gallimard, pp: 218-236.
- Miège (Bernard), "Tics et société de l'information, état de l'art de la recherche", Penser la société de l'information, Actes du colloque 07 et 08 Avril 2005 Institut de Presse et des



sciences de l'information et Fondation Konrad Adenauer, Tunis, Université de la Manouba,, pp.23-31.

- Papilloud(Christin), " Interactivité et lien social. L'interactivité",

<https://ticetsociete.revues.org/769>

- Pène(Sophie), "Facebook mort ou vif . Deuils intimes et causes communes", Questions de communication, 2011, 19, 91- 112, revues.org,

<https://questionsdecommunication.revues.org/2617>

- Quéau (Philippe), "Le virtuel: une utopie réalisée", Quaderni, N. 28, Hiver 1996, France, La maison des sciences de l'homme, p.119.

-Triki(Fethi), "Etiques et communication", Penser la société de l'information, Actes du colloque, 07 et 08 Avril 2005, Institut de Presse et des sciences de l'information et Fondation Konrad Adenauer, Tunis, Université de la Manouba, pp: 39-46.

-Vieira(Lise), Pinède (Nathalie W.), "Internet et les théories du chaos", Communication et langages. N°124, 2ème trimestre, 2000, France, Armand Colin, pp: 58-74,

http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/colan_0336-

[1500_2000_num_124_1_3006](http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/colan_0336-1500_2000_num_124_1_3006)

- Viers(Aurélien), "Vous allez passer encore plus de temps sur Facebook", interview avec Sandrine Plasseraud (directrice générale de l'agence "We are social", Le nouvel observateur, 04/02/2014, <http://obsession.nouvelobs.com/high-tech/20140203.OBS4898/vous-allez-passer-encore-plus-de-temps-sur-facebook.html>

- "Je suis Charlie", Wikipédia, l'encyclopédie libre,

https://fr.wikipedia.org/wiki/Je_suis_Charlie



7.2 - الفهارست:

7.2.1 - فهرست الرسوم البيانية:

الصفحة	العنوان	العدد
46	مساهمة الفايسبوك في إثراء العملية الاتصالية	1
49	وفرة أساليب التفاعل وتنوع الخدمات	2
68	تنوع الأدوار التي يطلع بها المضمون التفاعلي الافتراضي	3
80	إرساء تواصل محابر للحدود والأوطان	4
89	أساليب عقلنة الاتصال	5
106	خصائص النقلة الاتصالية	6
108	إحداثيات ظل اتصالي	7
111	مظاهر ونتائج تراكم أساليب التفاعل	8
139	مستويات اختلاف موازين التواصل	9
157	أسباب ونتائج تدهور العملية الاتصالية	10

7.2.2 - فهرست الوثائق:

الصفحة	العنوان	العدد
225	سهولة الانضمام إلى شبكة الفايسبوك: المرافقة بخطوات توضيحية	1
56	تفعيل دور المستخدم من خلال حرية الاختيار واتخاذ القرار	2
226	توفير الفايسبوك لأساليب التحكم في المضمون	3
58	قيام الفايسبوك باستبيان وتشريك المستخدمين في تقييم الشبكة	4



63	اختلاف الأساليب المعتمدة في طرح المواضيع	5
65	تنوع المواضيع في المضامين التفاعلية في شبكة الفايسبوك	6
69	اضطلاح المنشورات على الفايسبوك بدور توعوي / تحسيبي	7
72	اضطلاح المنشورات على الفايسبوك بدور تثقيفي	8
74	الوعي بأهمية التطبيق على أرض الواقع وعدم الاكتفاء بالتنظير	9
75	تحميل مستخدمي الفايسبوك بعدا نقديا للمضامين	10
78	اضطلاح المنشورات على الفايسبوك بدور إعلامي	11
81	تبني نفس المضمون التفاعلي في مناطق مختلفة من العالم	12
226	تواتر الاستخدام الموحد لنفس صيغة الشعار في أبحاث متشابهة في مناطق مختلفة من العالم	13
84	الالتزام بنفس الشعار مع إضافة مضامين ملتصقة بالهوية والحدث	14
85	عولمة القضية من خلال تدويل الحدث ونقله من المجال الافتراضي إلى الفضاء العمومي	15
87	التعبئة الاتصالية الافتراضية	16
91	التوضيح من خلال تقديم نموذج متحكم في استخدامه لشبكة الفايسبوك ولوسائل الاتصال الحديثة	17
94	الإشارة إلى السلوك غير المقبول أثناء العملية الاتصالية الافتراضية	18
227	مقارنة الاتصال: الإشارة إلى السلوك غير المقبول أثناء العملية الاتصالية	19
227	التشابه والفروق بين الرسائل في الصفحات الفرنسية والعربية	20
97	نقد الممارسات الاتصالية في شبكة الفايسبوك الافتراضية	21
228	نقد الاستخدام المفرط للصورة كسلوب تفاعل في الفايسبوك	22
100	مقارنة الاتصال: اعتماد أسلوب المقارنة	23
101	التشجيع على حسن التعامل مع المواقع في الحياة الاجتماعية وعدم الاكتفاء بعرضها في الفايسبوك	24
104	مقارنة الاتصال من خلال التشجيع على الاستخدام السليم للغة	25
114	سلعة الاتصال: استيراد نفس الفكرة وترويجها	26
115	سلعة الاتصال: استخدام مبدئي العرض والطلب	27
229	سلعة الاتصال: عرض المضامين كسلعة على واجهة الفايسبوك	28
119	سلعة الاتصال: تحويل مستخدم الفايسبوك إلى حريص يبحث عن المنتج المخصص له	29



122	ساعة الاتصال: تغييب العقل الوسائلي على العقل الإيجابي	30
125	تضخيم الأنا مع تغييب النحن	31
129	الصيغة الافتراضية: تأثير تكنولوجيا الاتصال ومصادرتها للفرد	32
136	استبعاد أساليب التفاعل لمستخدمي الفايسبوك: عدم التحكم وفقدان السيطرة	33
140	اختلال موازين التواصل: التشجيع على عدم احترام أدبيات الحوار والنقاش	34
230	عدم احترام أدبيات الحوار والتعبير عن الكراهية والتشهير	35
144	اختلال موازين التواصل والتفاعل مع الآخر	36
146	اختلال موازين التواصل على مستوى العلاقات الاجتماعية	37
149	الاعتراف برغبة المستخدم في التستر وعدم كشفه حضوره في الشبكة	38
152	اختلاف معايير تقييم المكانة الاجتماعية	39
159	محاولة قبولية الممارسات الاتصالية والتحكم فيها بفرض ممارسة - نموذج	40
164	تأثير التواصل السلبي في التفاعل مع القضايا	41
166	الإفراغ من الجدوى: نقد لا طائل منه	42
169	الإفراغ من الجدوى: مجز الرسالة الاتصالية عن تحقيق التفاعل المادني	43
230	اتصال عشوائي من خلال الإفراغ من الجدوى	44
176	اتصال عشوائي: إرساء ثقافة الصحافة	45
179	التشجيع على التفاعل العشوائي	46
182	من مظاهر الابتزاز التفاعلي: الابتزاز من خلال المتاجرة بالدين	47
185	الابتزاز التفاعلي من خلال الاستدراج العاطفي	48
188	استغلال المعاناة الإنسانية للتكسب التفاعلي	49
192	التنهير من عملية الاتصال الافتراضية من خلال اتهام المستخدم بالقصور التفاعلي	50



7.3- الملاحق:

الوثيقة عدد 1: سهولة الانضمام إلى شبكة الفايسبوك: المرافقة بخطوات توضيحية

Ajouter des contacts personnels à votre liste d'amis sur Facebook

Choisissez comment communiquer avec vos amis. Découvrez comment faire ou gérez les contacts importés.

Étape 1
Retrouver des amis

Étape 2
Ajouter des ami(e)s

Étape 3
Inviter des amis

 Yahoo!

Votre adresse :

[Retrouver des amis](#)



Windows Live Hotmail

[Retrouver des amis](#)



Skype

[Retrouver des amis](#)



Windows Live Messenger

[Retrouver des amis](#)



mail.ru

[Retrouver des amis](#)



Autre service de courrier électronique

[Retrouver des amis](#)



Autres outils

[Retrouver des amis](#)



Super ! Vos publications futures seront partagées avec l'audience que vous avez choisie jusqu'à ce que vous la changiez. Vous pouvez la changer lors de chaque publication ou sur votre page Paramètres de confidentialité.



Bravo ! Vous pouvez consulter les applications auxquelles vous êtes connecté(e) à tout moment sur votre page Paramètres des applications.



Parfait ! Vos changements ont été effectués. Pour effectuer des mises à jour supplémentaires, allez dans votre page À propos.



Voilà Raja, c'est fait !

Merci d'avoir pris le temps de vérifier avec qui vous partagez. Vous pouvez consulter d'autres paramètres à tout moment dans vos Paramètres de confidentialité. Vous pouvez également effectuer une vérification de la confidentialité quand vous le souhaitez en cliquant sur l'icône  en haut à droite de n'importe quelle page.



الوثيقة عدد 3: توفير الفايسبوك لأساليب التحكم في المضمون



الوثيقة عدد 13: تواتر الاستخدام الموحد لنفس الشعار في أحداث متشابهة في مناطق مختلفة من العالم



الوثيقة عدد 19: عقلنة الاتصال: الإشارة إلى السلوك غير المقبول أثناء العملية الاتصالية



الوثيقة عدد 20: التشابه والفروق بين الرسائل في الصفحات الفرنسية والعربية

Ça, c'est Bill

Bill a trop bu

Bill ne prend pas de photos de lui en train de vomir

Et ne les partage pas sur les réseaux sociaux

Sois comme Bill.



Ça, c'est Bill

Bill vas au bar à chaque fin de semaine

Bill ramène une fille différente chaque fois, et la baise

Bill n'est pas intelligent.

Sois pas comme Bill.



الوثيقة عدد 22: نقد الاستخدام المفرط للصورة كأسلوب تفاعل في الفاييسبوك

ça, c'est Camille.

Camille va au gym.

Camille fait des exercices au lieu de prendre des selfies.

Camille est intelligente.

Sois comme Camille.

ça, c'est Bill

Bill vas au gym

Bill prend des selfies et les partage sur les réseaux sociaux.

Bill n'est pas intelligent.

Sois pas comme Bill.

ça, c'est Camille.

Camille viens d'avoir un enfant.

Camille ne met pas des photos de son bébé toutes les 5 minutes sur Facebook.

Camille est intelligente.

Sois comme Camille.

بلال ذهب ليحتفل ولم يشر 50 صورة في الدقيقة بلال يعلم ان من يستمتع ان يكون عنده وقت للصور

بلال ذكي
كن مثل بلال

ça, c'est Bill

Bill sais qu'ils est beau .

Bill ne partage pas des selfies de lui tous le temps.

Bill est intelligent.

Sois comme Bill



ça, c'est Camille.

Camille poste une photo sur Facebook.

Camille n'identifie pas 1000 personnes pour avoir assez de like.

Camille est intelligente.

Sois comme Camille.



الوثيقة عدد 28: سلعة الاتصال: عرض المضامين كسلعة على واجهة الفايسبوك

<p>كيفاش ولينا نجبو بعضنا في الحلقة الاخيرة</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>	<p>تحتب نصير مع الحمام و نمشي الجزيرة الاحلام</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>	<p>تحتب نصير مع الحمام في من حياي قران</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>	<p>تحتب نصير مع الحمام في من حياي قران</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>
<p>الترجي الرياضي التونسي</p> <p>انا في تونس كل الجهات يشجعوني كل الولايات مكنتح و فرحان شجع المكشخ و ابقى مطمان ديما فرح الجمهور متلقاش كيفو قد ما دور بورتاجي و خليه في فايسبوك نور</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>	<p>انا الحمامات</p> <p>اخلى ايامات تعديهم في الحمامات لا ينساها الحي و لا اللي مات في الحمامات تسمع اخلى حكايات و تشوف اروغ بنات ور كل الجهات و متلقاش خير مالحما</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>	<p>انا صابر</p> <p>مع الصحاب ديما طابير عمري لا كنت حابر لد حوما وناكل العسل والفظاير اصحابي نخليهم في عيوني واللي يكرهوني عالحيط خاطرني لاهي باللي يحون</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>	<p>النجم الرياضي الساحلي</p> <p>اني في السماء نجمة ضوايه ميجي حتى نايي بحذايا جمهوري ديما رافع راسو بيا اخلى جمهور السواحلية هذي مني ليكم هدية بورتاجها من هوننا و فرح بيها السواحلية</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>
<p>انا باك تقنية</p> <p>عمري ما نصفي بنية عندي قوه حديدية الميكانيك غرامي ميجي شي قدامي ننجح و نحقق احلامي</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>	<p>انا النادي الافريقي</p> <p>اسمي كبير و جمهوري غفير في الملعب نحل جوانحي و نظير جمهوري ديما فرحانين من بئزرت المدينين ديما يتسجوا فيا و رافعين راسهم بيا</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>	<p>انا الاستاذ</p> <p>راجل كيف الناس اما شماتي و يهناس نحب اداب الحواز و تعطيهم برشا خدمة في الدار لازم يخدمو كي الصفاة بعد الليس التل تقعد بطالة منخليلهمش حتى وقت باش يقرزو للمراية نخدم عام الجاي بحذايا مزالو يتفسو زديهم قرابة</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>	<p>اليوم عيد ميلادي</p> <p>كيتا اليوم فلما مزي شحورة جابت لدنيا هذي اسطورة من نهاره اللي جيت و الخير عسى البيت من غير فخرة الدنيا ولات دنيا اخري شكون يقول عكس كلامي بعد من قدامي اليوم عيد ميلادي انا خلت الدنيا مزينا اتقاء الله كل عام و انا بخير كل عام و انت حبيبي</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>
<p>الترجي الرياضي التونسي</p> <p>انا في تونس كل الجهات يشجعوني كل الولايات مكنتح و فرحان</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>	<p>انا النادي الصفاقسي</p> <p>راسي ديما عالي الباقي التل التالي تلبخ كسا و محفود غف</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>	<p>انا مالك</p> <p>راجل في الحومة و الدار</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>	<p>انا هيثم</p> <p>تومة و الدار</p> <p>Discussion insta</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>
<p>تلقاني وقت الغصرة مش كي برشا ناس</p> <p>انا كمي فيناش تفلط معايا نضريك مهران</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>	<p>ديما منخليلهم عليا ما يقولو انا من الناس اللي في وحي يضحكولو و قفاه يحفرولو اما هو يقدم و هوما يغرولو يقعدو طول حياتهم يصولو و يجولو خاطر انا مش اللي يجي انا علي</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>	<p>اللي ياتق فيا نزيقلو امورو اما فما جماعه كي توفنا مصلحتهم عليك يدورو هاذم اللي ميساوش دورو كل واحد هكا انشاء الله زني بفرسو شوغورو و ميجي في يدو حتى اورو</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>	<p>انا طفلة مسراره قلبي صافي كي البلارة معنديش ضحكة مصفارة تضرنني نذوقك لمرارة</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>
<p>انا سمورة</p> <p>طفلة مزيانة منيش شقنوسة و منيش رهدانة اما عندي الفيانة نحب اللي يحبني و اللي يكرهني نقلو راك متساوش عندي ذبانه كون ذكيه و مش مفرورة</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>	<p>انا اسومة</p> <p>مزيانة و تحفونة نحب المقرونة منحش شكون يقلي قصرونة مع الجو نولي مجنونة اللي يجديني نجبلو عيوننا</p> <p>Photos du journal كون كيفي انا كون ذكي</p>	<p>انا عبير</p> <p>زين و عين تربيه و قلبي حنين انا عسل انا فيتامين تخسرني تندم و ترجع حزنا ايه هاذي هي خلود و عين الحسود فيها عود</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>	<p>هتو</p> <p>قلبي على محنّو و تطويبي على مينو زيني مفاشايش منو و من غير فخرة اما كي تتسلط عليا نتحول مقله اخرى</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>
<p>انا ميسونة</p> <p>مزيانة و تحفونة نحب المقرونة منحش شكون يقلي قصرونة مع الجو نولي مجنونة اللي يجديني نجبلو عيوننا</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>	<p>انا مروة</p> <p>حلوه و مسراره طبيعتي طيارة تضرنني عنيا تولى كلها شراره و نظيتك في شكاره هذي نواره</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>	<p>انا فتونة</p> <p>مزيانة و تحفونة نحب المقرونة منحش شكون يقلي قصرونة مع الجو نولي مجنونة اللي يجديني نجبلو عيوننا</p> <p>كون كيفي انا كون ذكي</p>	<p>انا زينوينة</p> <p>بين الناس التل محبوبة يشرق عليا السروال و الروبة خاطرني مش ديدوية ستيلي مزبان و قلبي ديما فرحان</p> <p>Discussion insta كون كيفي انا كون ذكي</p>

الوثيقة عدد 35: عدم احترام أدبيات الحوار والتعبير عن الكراهية والتشفي

الله لا يرفع شدة عن الكفار كلهم اللهم سمعنا الأخبار الطيبة
2 hours ago · Like · 1 · Reply

الله لا يردهم
2 hours ago · Like · 1 · Reply

مالنا وبالمهم خيلنا بحالنا
2 hours ago · Like · Reply

الله يزيدهم
1 hour ago · Like · 1 · Reply

كله على جهنم الداعس والمدعوس الله لا يستر عليهم
1 hour ago · Like · Reply

ربنا معيك تحط الناس بالجنة والنار ولا كيف؟؟؟
1 hour ago · Like · Reply

اللهم اشغلهم بنفسهم ورد كيدهم لنحرمهم .
يعنى هم حرام وأطفال العرب والمسلمين قتلهم وتجويعهم
حلال !!!
1 hour ago · Like · 2 · Reply

له لا يردهم الله يزيدهم انشالله ليش هم احسن من الحجاج
للي توفوا بالتدافع عندهم الف شهيد
1 hour ago · Like · 2 · Reply

كلاب وفتنوسو
1 hour ago · Like · Reply

احم
1 hour ago · Like · Reply

طنز. يستين داويه ...
1 hour ago · Like · Reply

خليهم يشربو من الكاس شويه ربنا ينتقم منهم كمان وكمان
13 minutes ago · Like · Reply

الوثيقة عدد 44: اتصال عشوائي من خلال الإفراغ من الجدوى

https://m.facebook.com/%[

الشفقة الي
لستها انامتي
Communauté

الشفقة الي
لستها انامتي
Communauté

J'aime Contacter Partager Plus

J'aime Contacter Partager Plus

بسم الله الرحمان الرحيم

"وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً"

الإسراء. الآية 85



